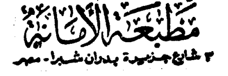
١٥

دكتور
محمد احمد محمد
مدرس التاريخ الاسلامي
كلية الآداب - جامعة سوهاج

مظاهر الحضارة في مصر العليا
في عصر سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م



٣ شارع جزيرة بدران شبرا - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أ. د. عصام الدين عبد الرؤوف
أستاذ التاريخ الإسلامي - جامعة القاهرة

يسعدنى أن أقدم للقارىء الكريم كتابا ممتعا عنوانه

« مظاهر الحضارة فى مصر العليا فى عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك »

يقع الكتاب فى ثلاثة أبواب ، يتناول الدكتور محمد أحمد محمد فى الباب الأول الحالة الاقتصادية فى عصر دولتى الأيوبيين والمماليك وتتضمن الثروة الزراعية ، والتقدم الصناعى ، والنشاط التجارى والموارد المالية فى اقليم الصعيد .

وفى الباب الثانى كتب الدكتور محمد أحمد محمد عن الحياة الاجتماعية فى الوجه القبلى فى عصر الأيوبيين والمماليك ، وتتضمن عناصر السكان ، ومظاهر الحياة الاجتماعية .

وفى الباب الثالث درس الدكتور محمد أحمد الحياة الثقافية فى الوجه القبلى فى عصر الأيوبيين والمماليك .

وهذا الكتاب من كتب التاريخ القيمة التى ألفها نمط من المؤرخين الشبان تعتز بهم مصر ، وتفخر بهم ، لأنهم جددوا فى منهج دراسة التاريخ الاسلامى . فالدارسون السابقون للدكتور محمد أحمد محمد كتبوا عن مصر ككل ، وأغفلوا الأقاليم تماما ، وفى كتاباتهم تظهر أمامهم مصر ، وكأنها العاصمة فقط . أما الدكتور محمد أحد فقد أبرز فى دراسته هذه مظاهر الحضارة اقتصادية واجتماعية وثقافية فى بلاد الصعيد فى

عصر الأيوبيين والماليك ، لذلك فهذا الموضوع جديد ، ويسد ثغرة فى المكتبة العربية ، ويضيف الجديد الى الدراسات التاريخية بصفة عامة ، والحضارية بصفة خاصة •

ومما يدعو الى التقدير والاعجاب أن الدكتور محمد أحمد اعتمد تماما فى دراسته على المصادر الأصلية ، وطبق منهج البحث التاريخى فى دراسته وبذل كل جهد ممكن فى استقصاء الحقائق التاريخية من بطون الكتب ، وعرضها بأسلوب يتميز بالوضوح •

وأرجو أن يوفقه الله ويسدد خطاه فى كتابة المزيد من الكتب والبحوث فى مجال التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية •

وهذا الكتاب هو رسالة الدكتوراة التى كان لى شرف الاشراف عليها ، وحصل بموجبها على مرتبة الشرف الأولى ، وشارك فى مناقشتها الأستاذان الجليلان،الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين سرور والاستاذ الدكتور ابراهيم العدوى •

وللسيد الدكتور محمد أحمد دراسة سابقة عن المنيا فى العصر الاسلامى نالت درجة الماجستير بتقدير ممتاز •

هذا وبالله التوفيق •

د • عصام الدين عبد الرءوف الفقى
استاذ التاريخ الاسلامى ــ بكلية الآداب
جامعة القاهرة •

مقدمة

ترجع أهمية الوجه القبلى فى العصر الاسلامى ، وفى عصر الأيوبيين والمماليك ــ بالذات ــ الى ما تمتع به من موقع فريد ، وكان الوجه القبلى يشمل فى ذلك العصر عدة أقاليم أولها من الجنوب اقليم القوصية ثم اقليم الأخميمية ، واقليم السيوطية ، والمنفلوطية ، والأشمونين ، والبهنساوية والأطفيحية ، والفيومية والجيزية(١) ، وتعد هذه الأقاليم مركز الاشعاع ومحور الارتكاز فى مصر بعامة ، كما أن تاريخ تلك البلاد حافل بشتى الأحداث السياسية والاجتماعية والتى كان لها أكبر الأثر على مصر .

وفضلا عن ذلك فان أقاليم الصعيد فى عصر الأيوبيين والمماليك قد لعبت دورا كبيرا فى بناء مصر فى المجالين الزراعى والصناعى وقد ربطت الطرق البرية والنهرية والبحرية بين أجزاء هذه البلاد وبين

---

(١) قسمت مصر فى أوائل العصر الاسلامى الى سبعة أقاليم ، وكانت هذه الأقاليم تنقسم الى ثمانية كور ، واستمر هذا التقسيم حتى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله (٤٢٧هـ ــ ٤٨٧هـ) ، فعدل عنه وقسمت البلاد الى كور كبيرة بلغ عددها ثلاث وعشرين كورة ، ثلاث‌عشر كوره بالوجه البحرى ، وتسع بالوجه القبلى ، وظل نظام الكور الكبرى باقيا حتى عام ٧١٥هـ الذى أجرى فيه السلطان الناصر محمد بن قلاوون تعديلا كبيرا على التقسيم الادارى فى مصر ، فحلت الأعمال محل الكور الكبرى ، ووقع على الوجه القبلى تغيرا فى تقسيماته الادارية ، فأنشئت الأعمال المنفلوطية وحذفت قرية النوصيرية ، فأضيفت بعض نواحى الأشمونين الى الأعمال المنفلوطية ، وبعضها الى البهنساوية ، كما أدمجت بعض نواحى الأخميمية فى الأسيوطية ، والحقت بعض نواحى الفيومية بالبهنساويه (المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٨٨ ــ أبو المحاسن : النجوم) .

العاصمة وبينها وبين العالم الخارجى ، ومن ثم احتلت بلاد الوجه القبلى مكانا بارزا ، وازدهرت بفضل دورها فى التجارة مع الشرق ، فضلا عن انها كانت أحد المحطات الهامة لقوافل الحج ، ولا ريب أن مصر استطاعت أن تظفر بمركز ممتاز بين الدول منذ أن أسهمت أقاليم الصعيد فى تجارتها — وبالذات — زمن الأيوبيين والمماليك ، ومن هنا يتبين لنا أن أهم ما يتميز به الوجه القبلى تطور الحضارة فيه ، وظهورها بمظهر يعتبر نواة لعصر الأيوبيين والمماليك •

ولم يقتصر تاريخ أقاليم الصعيد فى هذا العصر على ذلك بل شمل شيئا آخر أكثر أهمية يتصل بدورها التاريخى ومجال العلم والأدب ، فقد قدمت هذه البلاد مجموعة من أبنائها العلماء والفقهاء والمتصوفين الذين أسهموا مع اخوانهم فى البناء الحضارى ، بعضهم من أبنائها مولدا ونشأة ، وبعضهم وفد اليها ، وطاب له الاقامة فيها •

ومما يدل على أهمية أقاليم الصعيد ودورها فى تاريخ مصر سوء الحالة الاقتصادية التى منيت بها تلك الأقاليم فى أوائل القرن التاسع الهجرى ، قد أثر بشكل مباشر على حياة المصريين ، فازدادت أعباء الحياة على أفراد الشعب ، وعدمت الأقوات بسبب ضعف الثروات ونقص المحصولات •

وعلى الرغم من الأهمية البالغة للوجه القبلى فى تاريخ مصر الاسلامية زمن الأيوبيين والمماليك الا أنه لم يتعرض حتى الآن أحد من الدارسين لدراسته ، اللهم الا بعض الاشارات المتناثرة فى المصادر والمراجع ، وهى اشارات غير كافية ، لذلك آثرت أن أعرض لتاريخ هذا

---

(١) الزاهرة جـ ٨ ، ص ٩٠ ، ٩١ — ابن الجيعان : التحفة السنية ص ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٨٤ ، ١٨٧ — ابن اياس : بدائع الزهور جـ ١ ص١٣٧ — انظر الخرائط بملاحق الرسالة •

الاقليم كجزء من تاريخ مصر ، جاهدا فى أن أسلك مسلكا أوضح فيه ما تعرض له هذا الاقليم من احداث اقتصادية واجتماعية وثقافية ، وأثر ذلك على تاريخ مصر .

هذا وستتناول دراستى « مظاهر الحضارة فى الوجه القبلى منذ قيام الدولة الأيوبية حتى نهاية العصر المملوكى » ، وقد قمت فى بحثى بدراسة تاريخية وحضارية لهذا الاقليم ، وقسمته الى ثلاثة أبواب وخاتمة ، بدأتها بمقدمة .

أما المقدمة ، فقد تحدثت فيها عن نظرة عامة حول المؤثرات الجغرافية فى الوجه القبلى فى العصر الاسلامى وأثر ذلك على ترقية الزراعة والصناعة فى كافة ارجاء البلاد .

لذلك تحدثت فى الباب الأول عن الحالة الاقتصادية فى الوجه القبلى فى عصر الأيوبيين والمماليك ، فتناولت بالشرح الأحوال الزراعية مبينا نظم الرى والزراعة فى الفترة التى عالجها موضوع البحث ، وتعرضت بالاشارة الى أشهر المحاصيل الزراعية فى بلاد الصعيد ، كذلك أشرت الى نظام ملكية الأرض وادارة الضياع فى مصر مبينا الارتباط الوثيق بين ذلك النظام والنظام القائم فى بلاد الوجه القبلى .

كما تناولت بالدراسة التقدم الصناعى فى بلاد الوجه القبلى فأبرزت أشهر الصناعات التى قامت بها خلال الفترة التى عالجها موضوع البحث ، فبينت كيف ازدهرت بها الصناعات الغذائية والمعدنية وصناعة المنسوجات ، وأوضحت فيه مراكز التجارة الداخلية فى بلاد الصعيد مبينا فى ذلك الصلات التجارية بين تلك البلاد وبين العاصمة ، وبينها وبين العالم الخارجى ، وبينت كيف شجعت هذه البلاد التجارة مع الشرق والى أى حد لقيت هذه السياسة قبولا لدى السلاطين ، كما أشرت الى الموارد المالية لبلاد الوجه القبلى من خراج وزكاة

وجزية ومكوس ، وغير ذلك ، وأوضحت مدى ما وصلت اليه هذه البلاد من تقدم فى تنمية ثروة البلاد .

أما الباب الثانى فجعلته بعنوان « الحياة الاجتماعية فى الوجه القبلى فى عصر الأيوبيين والمماليك » ، وفيه تحدثت عن عناصر السكان، وأبرزت دور كل عنصر فى الحياة العامة فبينت أحوال القبط الذين ظلوا على مسيحيتهم حتى نهاية عصر المماليك ، كذلك تناولت بالشرح والتحليل هجرة القبائل العربية ومراكز استقرارها ببلاد الصعيد ودورها فى الحياة العامة فى عصر الأيوبيين والمماليك مبينا موقف السلطة الحاكمة من هذه القبائل ، مع عرض لأحوال البربر الذين قدموا تلك البلاد منذ العصر الفاطمى .

كذلك تحدثت فى هذا الباب عن الحياة العامة فى بلاد الصعيد فتعرضت لدراسة الأخلاق والعادات لأهالى الوجه القبلى ، ثم أوضحت كيف كانت الحياة العامة فى القرية والمدينة ، ولم يفوتنى فى هذا الجزء أن أتحدث عن دور المرأة فى الحياة العامة ، والمواسم والأعياد والمجالس الاجتماعية التى اقبل عليها أهالى الصعيد .

أما الباب الثالث — والأخير — فجعلته بعنوان الحياة الثقافية فى الوجه القبلى فى عصر الأيوبيين والمماليك ، فبدأت الحديث ببحث أسباب ازدهار الحياة الثقافية فى الصعيد فى ذلك العصر ، كذلك تحدثت عن دور التعليم والعلم فى بلاد الصعيد ودورها فى خلق جيل من العلماء أسهم فى النهضة العلمية فى مصر واستمرارها ، ومن الموضوعات التى أوليتها اهتمامى تطور الحركة الفكرية فى الصعيد فى الفترة التى عالجها موضوع البحث ، وتناول ذلك دراسة للعلوم الدينية والعقلية وأشهر العلماء المتخصصين فى كل علم ، وكان لهذا الميدان حظ كبير من عنايتى، فبينتما أحرزته اجتهادات العلماء من رقى فى الحياة العلمية والأدبية .

وأرجو أن أكون قد وفقت فى كتابة هذا البحث واخراجه على هذا النحو •

عرض لأهم المصادر التى اعتمدت عليها :

لم تتعرض المصادر التاريخية بشكل مباشر للأحداث التى مرت على بلاد الوجه القبلى الا عندما تمس تلك الأحداث السلطة المركزية فى مصر ، لذا تطلب الأمر قراءة من المصادر والمراجع بكافة أجزائها ، وقد اعتمدت على عدد لا بأس به من المصادر الأصلية ، أهمها كتب الخطط ، وكتب الأدب ، وكتب الطبقات ، وكتب الرحالة ، وكتب الجغرافيا ، وكتب الفقه ، فضلا عن المصادر المادية ، وقد صنف هذه الكتب علماء معاصرين للفترة التى عالجها موضوع البحث ، وقد عثرت على شذرات مبعثرة من بطون هذه الكتب أفدت منها كثيرا فى علاج كثير من الجوانب الحضارية فى الوجه القبلى زمن الأيوبيين والمماليك، وسأقتصر الحديث على أهم المصادر التى تتصل اتصالا مباشرا بموضوع البحث والتى برزت أهميتها من خلال معالجتى لهذه الرسالة •

أولا : كتب الرحلات :

ومن أهمها « كتاب الرحلة » لابن جبير الذى رحل الى مصر من الأندلس ثلاث مرات ثم أدركته الوفاة فى الاسكندرية عام ٦٠٤ هـ ، وقد زار ابن جبير الوجه القبلى فى عهد السلطان صلاح الدين ، وأودع كتابه كل مشاهداته فى الصعيد ، وأمدنى بمعلومات هامة أفادتنى كثيرا فى دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الوجه القبلى فى عصر الأيوبيين •

أما الرحالة « ابن بطوطة » المتوفى سنة ٧٧٩هـ ، فقد أمدنى بمشاهداته فى صعيد مصر بمعلومات غاية فى الأهمية استطعت من

خلالها التعرف على كثير من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية فى الوجه القبلى فى القرنين السابع والثامن الهجريين .

ثانيا : المصادر التاريخية المطبوعة :

من المصادر الأصلية التى أفدت منها فى بحثى كتاب كنائس وأديرة مصر المعروف بتاريخ أبى صالح الأرمنى ، وقد وقف أبو صالح الأرمنى على اخبار الدولة الفاطمية فى أواخر أيامها عن طريق ما سمعه من الرهبان والقساوسة ، وأمدنى بمعلومات شيقة عن تاريخ الكنائس وأحوال قبط مصر وصعيدها فى ذلك الوقت ، وهى تمثل صورة حية عن حياة الأقباط فى العصر الأيوبى ، ومدى ما أسهمت به هذه الفئة فى تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى .

أما ابن مماتى (ت ٦٠٦ هـ) فيعتبر كتابه قوانين الدواوين وثيقة من أهم الوثائق عن أحوال الزراعة ونظم الدواوين المصرية فى عصر الدولة الأيوبية ، وقد أظهر لنا الكتاب الثروة العلمية التى جمعها المؤلف ،والتراث التاريخى والجغرافى والزراعى الذى انطوى عليه،وقد أفاض ابن مماتى فى شؤون البلاد الزراعية،والفصول الزراعية ، ونظم الرى ، وأنواع المزروعات ، وغير ذلك ، كما أنه أتى فى الأجزاء الأخيرة من كتابه على شذرات كثيرة من موارد الدولة المالية ، وأفرد بابا خاصا ذكر فيه الأعمال والنواحى والضياع والجزائر فى مصر مرتبة على الحروف ، وكلها معلومات شيقة غاية فى الأهمية ، وأفدت منها كثيرا فى معالجة الجوانب الاقتصادية ، وفى الحق لقد جاء هذا الكتاب ليبين لنا أن العصر الأيوبى كان يمثل بداية لظهور القوائم والفهارس أو المعاجم الجغرافية المتخصصة .

ولا يفوتنى أن أشير الى مؤلفات المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) الكبيرة، منها والصغيرة ، فقد استفدت منها جميعها ، وفى مقدمتها كتاب

« المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » وقد أعاننى هذا الكتاب فى تناول كثير من النقاط ، نظرا لأهمية ما جاء به عن بلاد الوجـه القبلى وقراها والقبائل العربية التى هاجرت اليها ، واستقرت بهـا ، كذلك أفادنى هذا الكتـاب فى الحديث عن موارد بلاد الوجه القبلى الزراعية والصناعية،وذلك من خلال اشاراته عن التاريخ الاجتماعى والاقتصادى وتاريخ المجاعات ، وتناوله فى المقدمة الجغرافية المسهبة للمدن المصرية القديمة والوسيطة .

كذلك استفدت من كتاب « البيان والاعراب عما جاء بأرض مصر من الاعراب » ، اذ لم يكتف بالتحدث عن بطون القبائل وفروعها ، بل أورد شيئا من تاريخها ودورها فى الحياة .

أما كتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » فقد اعتمدت عليـه فى معالجة كثير من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ، وتتضح أهمية هذا الكتاب بالنسبة للبحث فى أنه رسم صورة صادقة لحالة الفوضى لبلاد الوجه القبلى بسبب ضعف سلاطين الجراكسة من جهة وعبث العربان وفسادهم من جهة أخرى ، وهو كتاب حققه الدكتور محمد مصـطفى زيادة حتى نهاية عام ٧٧٥هـ وحقق الدكتور سعيد عاشور بقية الكتاب .

ثالثا : كتب الطبقـات :

وهى كتب أمدتنى بمعلومات شـيقة عن أعلام الفكر فى صعيد مصر ، ومن بين الكتب التى اعتمدت عليها كتاب « الطـالع السـعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد » ، وهو كتاب خصه المؤلف كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوى (ت ٧٤٨) لتراجم النابغين من أبناء الصعيد، وقد ترجم هذا المؤلف لثلاثة وتسعين وخمسمائة رجل وامرأة من نجباء هذا الاقليم وحده .

وقد اعتمدت على كثير من كتب الطبقات الأخرى ، ومن أهمها كتاب « طبقات الشافعية » الذى ألفه المؤرخ السبكى (ت ٧٧١ هـ) ، ويقع هذا المؤلف فى ستة أجزاء ، ترجم فيها السبكى لعديد من العلماء والفقهاء والمحدثين ، وقد استقيت من هذه التراجم معلومات غزيرة عالجت من خلالها موضوع تطور الحركة الفكرية فى صعيد مصر فى الفترة التى عالجها موضوع البحث .

أما المؤرخ السخاوى (ت ٩٠٢ هـ) فقد ألف كتاب « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » ، ويقع هذا المؤلف فى اثنى عشر جزءا ، وقد عثرت على معلومات عظيمة الأهمية من بطون هذه الكتب وتناولت من خلالها اجتهادات العلماء فى تطور الحركة العلمية فى الصعيد فى عصر المماليك .

وثمة كتاب آخر الفه المؤرخ الداوودى (ت ٩٤٥ هـ) سماه « طبقات المفسرين » ، ويقع فى جزءين ، وأمدنى بتراجم واضحة وافية عن حياة بعض العلماء الذين ينتمون الى الصعيد فى عصر المماليك .

رابعا : كتب الأدب :

ومن المصادر الأدبية الهامة كتاب « صبح الأعشى فى صناعة الانشاء » للقلقشندى (ت ٨٢١ هـ) ، ويعتبر هذا المؤلف أكبر موسوعة ضمت جميع النظم الحضارية التى تتناول تاريخ مصر الاسلامية ، وقد أفادنى هذا الكتاب فى بحث موضوع القبائل العربية التى سكنت صعيد مصر فى عصر الأيوبيين والمماليك ، وفى علاج موضوع ملكية الأرض وادارة الضياع فى هذا العصر ، فضلا عن المعلومات الشيقة التى تناولت الحديث عن الموارد الزراعية والمالية وبعض الصناعات القائمة فى الصعيد فى نفس الفترة .

خامسا : كتب الجغرافيا :

ومن بين هذه الكتب كتاب معجم البلدان الذى ألفه ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ) ، وقد تميز ياقوت فى هذا الكتاب بغزارة التأليف والتصنيف ، ويعتبر هذا المؤلف من أهم المصادر التي يعتمد عليها الباحثون في العصر الاسلامى ، فهو قاموس جغرافى ضخم تضمن الكثير من مدن مصر وقراها ، وقد أفدت كثيرا من المعلومات التى أمدنى بها هذا الكتاب في دراسة الحياة الاقتصادية في بلاد الوجه القبلى .

ويلى هذا الكتاب فى الأهمية كتاب « مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع » ، ويبدو انه مختصر لمعجم البلدان ، يقع فى أربعة أجزاء جمعت معظم ما ورد فى كتاب « معجم البلدان » لياقوت الحموى وذلك فيما يتعلق بالمدن والقرى ، ومداخلها وأوصافها ، ويذكر صاحب كشف الظنون ان صاحب هذا المؤلف هو « صفى الدين عبد الخالق البغدادى المتوفى سنة ٧٣٩ هـ » .

ولا يفوتنى أن أشير الى كتب الجغرافيا الأخرى التى أسمهت فى القاء الضوء على أقاليم مصر الجغرافية والادارية ، ومن أهمها كتاب « الانتصار لواسطة عقد الأنصار » لابن دقماق (ت ٨٠٩هـ) وكتاب « التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية » لابن الجيعان (ت ٨٨٥ هـ) وبرزت أهمية هذين الكتابين فى احتوائهما على التعديلات الادارية والمالية الجديدة التى حدثت زمن المماليك لأسباب اقطاعية ، وقد أفدت كثيرا من هذين المؤلفين فى معالجة كثير من الجوانب الاقتصادية ، واستخرجت منها بيانات غاية فى الأهمية ذيلتها بحثى ضمن ملاحق الرسالة .

هذا ورجعت الى ما كتبه « الشيرزى » «وابن الاخوة » ، وابن فضل الله العمرى» ، «وابن خلدون » ، « وابن حجر » ، « وأبو

المحاسن » وغيرهم ، وقد انصبت هذه الكتب على ميدان الدراسات الحضارية التي أفدت منها كثيرا فى ميدان البحث •

كذلك أمدتنى أوراق البردى العربية بمعلومات عظيمة القيمـــة فى دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، كمـــا استعنت بالمصادر المادية الأخرى كالمراسيم السلطانية الموجودة على الاثار القائمة فى صـــعيد مصر ، وبعض الحجج والوثائق ، فضـــلا عن بعض التحف المعروضـــة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، وبعض الكتابات الأثرية التى نشرها المستشرقون ، ومما لا شك فيه أن هذه المصادر أمدتنى بمعلومات هامة جدا عالجت من خلالها عديدا من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية فى صعيد مصر •

ويجب أن نشير الى ما كتبه المستشرقون عن بلاد الوجه القبلى ، ويأتى فى مقدمة هؤلاء المستشرق ماك مايكل الذى قدم لنا أهم الكتب الحديثـــة •

تاريخ العرب فى السودان :

A History of Arabs in the Sudan.

وترجع أهمية هذا الكتاب فى أن مؤلفه استقى معلوماته من كتب الأنســـاب مما ساعدنى فى معالجة موضـــوع تاريخ القبائل العربيـــة واستقرارها فى بلاد الوجه القبلى •

ويأتى بعد ماك مايكل فى الأهمية كل من فييت (Wiet) ولين بول (Lane Poole) ، فقد انصبت دراساتهم بصفة أصلية عـــلى ميـــدان البحث •

وأما عن المراجع العربية الحديثة التى استفدت منها فى دراستى هذه ، فيأتى على رأسها ما كتبه السادة الأساتذة الأفاضل الدكتـــور

محمد جمال الدين سرور ، والدكتور ابراهيم أحمد العدوى ، والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور •

ولا يفوتنى فى النهاية أن أقدم الشكر الى كل من ساهم فى اخراج هذا البحث ، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور محمود حلمى مصطفى الذى كان لتشجيعه المستمر أكبر الأثر فى اتمام هذا البحث،وأستاذى الجليل الأستاذ الدكتور عصام الدين عبد الرءوف الفقى الذى كان معى من قبل البداية الى ما بعد النهاية ، ولولا ارشاداته وتوجيهاته وتشجيعه ، لما خرج البحث بهذه الصورة •

كما أقدم الشكر الى الأستاذ الدكتور ابراهيم أحمد العدوى الذى كان أنيسا لى من خلال كتاباته المتعة فى تاريخ وحضارة مصر الاسلامية ، والأستاذ الدكتور محمد جمال الدين سرور الذى أمدنى بمعلومات شيقة ، فقد أنصبت دراساته على الجوانب الحضارية فى مصر الاسلامية ، والله أسأل أن يوفقنى لمتابعة ارشادات وتوجيهات هذين الأستاذين الفاضلين اللذين تفضلا بقبول مناقشة الرسالة •

محمد أحمد محمد

مقدمــة

نظرة عامة حول المؤثرات الجغرافية
فى الوجه القبلى فى العصر الاسلامى

تمتعت مصر منذ فجر التاريخ بخصائص جغرافية هــامة ، فهى تنقسم من الناحية الطبيعية الى قسمين رئيسين هما ، الوجه البحري أو مصر السفلى ، والوجه القبلى أو مصر العليا أو الصعيد ، وتكــاد تجمع المصادر المختلفة قديمها وحديثها على تحديد الوجه القبلى بأنه المنطقة الممتدة فى وادى النيل من أسوان الى نقطة تفرع النيل أو رأس الدلتا شمالا (١) ، وينقسم الوجه القبلى أو الصعيد بدوره الى ثلاثــة أقسام ، الصعيد الأدنى والصعيد الأوسط والصعيد الأعلى(٢) ، أما الصعيد الادنى فيشمل الآن محافظات الجيزة والفيوم وبنى سويف ،

---

(١) كان أول تحديد رسمى للوجه القبلى أو الصعيد من جهة الجنوب فى لوحة سنوسرت الثالث « بالقرب من الجندل الثانى تجاه وادى حلفا »، ولا يزال هذا الموقع الى اليــوم هو الحد الفاصــل بين مصر وما يليها من الجنــوب ٠

— Charles dr la Ronciers ; La Géographie de l'Egypte a travers les âge (Histoire de la Nation Egyptienne ; TE, P.P. 131 — 137).

وأجمع الجغرافيون فى العصر الاسلامى على أن حدود الوجه القبلى تبدأ من مصر والجيزة شمالا الى أسوان والجنادل جنوبا ٠ (أبو الفدا : تقــويم البلدان ، صــفحة ١٠٣ ، الظاهرى : زبدة كشــف الممــالك ، صفحة ٣٢) ٠

(٢) جرى هذا التقسيم زمن الأيوبيين ، وظل قائمــا حتى نهــاية العصور الوسطى ٠

وعلى الرغم من أن بعض الجغرافيين فصل بين الفيوم والصعيد مثل جون بول(٣) حين قسم مصر الى أقاليمها الجغرافية ، واعتبر الفيوم قسما جغرافيامستقلا عن الوادىفان «هيوم» اعتبر وادى النيل الأدنى، ومنخفض الفيوم بمثابة اقليم واحد شكلته عوامل النحت والارساب(٤) النهرى ، والحق أن الفيوم يعتبر جزءا مكملا للوادى ، وذلك أن هذا الاقليم يتصل اتصالا طبيعيا بالوادى عن طريق فتحة اللاهون الطبيعية وبحر يوسف ، كما يعتمد الفيوم فى موارده المائية على الوادى(٥)، لذا وضع اقليم الفيوم فى التقسيمات الادارية فى مختلف العصور الاسلامية ضمن أقاليم الوجه القبلى(٦) وقد وضع ياقوت الحموى تحديدا دقيقا للصعيد الأدنى مبينا أن حده الجنوبى البهنسا ، والشمالى قرب الفسطاط(٧) .

أما الصعيد الأوسط ، فيشمل الآن محافظات المنيا واسيوط وسوهاج(٨) وكانت صلة هذه المنطقة فى القديم بالواحات الخارجة والداخلة كبيرة وقد يسرت الطرق الصحراوية سبيل هذا الاتصال(٩) ،

---

(٣) Bull ; «Dr. John», Contributions te the Geography of Egypt, P. 15.

(٤) Hame (W.H.); Geology of Egypt, P. 95.

(٥) أمين محمود عبد الله : تطور الوحدات الادارية لمصر العليا منذ الفتح العربى وحتى وقتنا الحاضر ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة صفحة ٩٦ .

(٦) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٨ صفحة ١٨٢ ، أبو الفدا تقويم البلدان ، صفحة ١١٥ ، الظاهرى : زبدة كشف الممالك ، صفحة ٣٢ ، المقريزى : الخطط جـ ١ صفحة ٧٢ ، ٧٣ .

(٤) معجم البلدان جـ ٥ صفصة ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٨) محمود الحريرى : أسوان فى العصور الوسطى صفحة ٧ .

(٩) Lorin (H) ; L'Egypte d'aujourd'hui, les pays et les Hommes.

وتدخل بلاد الواحات فى حدود الديار المصرية الى بلاد الصعيد،وكانت جارية فى قطاع أمراء مصر ، وتنقسم هذه البلاد الى ثلاث كور،الأولى منها مقابل الأعمال البهنساوية ، والوسطى مقابل الأعمال الاسيوطية وتعرف بالداخلة ، والثالثة مقابل جنوبى الأعمال الأسيوطية ، وتسمى « القصوى » وتعرف « بالخارجة »(١٠) وقد بين لنا ياقوت الحموى حدود هذا الاقليم بأنه يبدأ باخميم جنوبا الى البهنسا شمالا(١١) .

أما الصعيد الأعلى ، فيشمل الآن محافظات قنا واسوان وتحده الجنادل الواقعة جنوب اسوان ، وقد وضع الأدفوى(١٢) تحديدا لهذا الاقليم مبينا أن له جهتان شرقية وغربية ، ويمتد حدود الأولى الى أراضى البجهة(١٣) وبحر القلزم ، والثانية الى بلاد الواحات ، أما الجغرافيون فقد اجمعوا على أنه يبدأ من أسوان جنوبا الى قرب أخميم شمالا(١٤) وكانت عيذاب من أعمال مصر(١٥) .

وقصارى القول أن حدود الوجه القبلى فى العصر الاسلامى تبدأ من الجنادل جنوب أسوان(١٦) ، وتمتد شمالا الى بقعة الدلتا

---

(١٠) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ صفحة ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(١١) معجم البلدان جـ ٥ صفحة ٣٦٠ .

(١٢) الطالع السعيد

(١٣) تبدأ أرض البجة من قرية الحزيه فى صحراء قوص ، وبينها وبين قوص ثلاث مراحل وآخر هذه البلاد أول بلاد الحبشة (المقريزى : الخطط جـ ١ صفحة ١٩٤ .

(١٤) ياقوت الحموى : **معجم** البلدان جـ ٥ صفحة ٣٦٠ .

(١٥) أبو الفدا : تقويم البلدان ، صفحة ١٢١ .

(١٦) ظلت هذه الجنادل تمثل حدود مصر الجنوبية حتى اتفاقية الجلاء سنة ١٨٩٩م (أمين محمود عبد الله : تطور الوحدات الادارية لمصر العليا منذ الفتح العربى وحتى وقتنا الحاضر صفحة ١٧) .

ونقطة تفرع النيل(١٦) ، وشرقا الى بحر القلزم(١٧) ، وغـربا الى ظهر الواحات(١٨) •

وتمتع الوجه القبلى من ناحية التضاريس بخصائص جغرافيـة ، فهو ذو برين ، بر غربى وآخر شرقى ، والنيل جارى بينهما ، والغربى أعرض فى المساحة من الشرقى(١٩) ، ويطل الجزء السهلى على النيل ، وهو ضيق الرقعة فى الجنوب ابتداءا من أسوان ويتسـع كلما اتجهنـا شمالا ، ويجرى نهر النيل عنـد اسوان فى واد ضـيق ، وينحصر بين حافتين مرتفعتين من الصخور الرملية بحيث لا يعدو ان يكون مجـرد رقعة ضيقة من الأراضى الزراعية على ضفتى النهر(٢٠) وتظهر سلسلة من الأراضى السهلية المتسعة الخصبة العامرة منذ أقدم العصـور كلما اتجهناصوب الشمال ، وتمثلها اليوم مراكز «أخميم» وساقلت والبدارى « وابنـوب »(٢١) ، ويبلـغ متوسط اتسـاع الوادى عند سـوهاج ١٥٠٠٠ مترا ، وعند اسيوط ١٤٧٠٠٠ مترا ، ويزداد متوسط انحـدار

---

(١٦) كان الحد الشمالى على العهد الفرعونى يقع عند مقاطعة جنت ومعناها الفاصله وفى هذا معنى الفصل بين مصر العليا ومصر السفلى • (سليم حسن : اقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى ، صفحة ٦٦)

(١٧) يستمر الامتداد جهة الشرق على مسـافة خمس عشرة مرحلة فيما بين أسوان وعيذاب (أبو الفدا : تقويم البلدان ، صفحة ١٠٣ •

(١٨) أبو الفدا : تقويم البلدان صفحة ١٠٣ — الظاهرى : كشف الممالك : صفحة ٣٣

(١٩) الظاهرى : المصدر نفسه صفحة ٣٢ •

(٢٠) صـفى الدين أبو العـز : مورفولوجية الأراضى المصرية صفحة ١٥٥

21) Bull ; Contribution to the Geography of Ef Egypt, PP. 3-5

السهل الفيضى فيما بين الأقصر واسيوط،فيصير معدله من ١ : ١١٫٠٠٠، ويضيق الوادى من الغرب كلما اقتربنا من شمال اسيوط ، حيث تشرف حافة الصحراء الغربيـة على مدينـة اسيوط ، ويكـاد النيل يرتطـم بقاعدتها (٢٢) •

واحتلت اسيوط موقعا اسـتراتيجيا هاما منذ القـدم ، ففى هذه المنطقة يستدق الوادى حتى تقترب حافة الهضبة الغربية من النيـل ولا يفصلها سوى ممر ضيق يكاد يكون الطريق الوحيد بين شـمال الصعيد وجنوبه على الضفة الغربية ، وتتحكم اسيوط فى هذا الممـر الضيق مما اكسبها حصانة وحماية طبيعية(٢٣) •

وتظهر ظاهرة جنوح النيل الى الجـانب الأيمن من الوادى فى المنطقة التى تبدأ من اسيوط جنوبا الى القاهرة شمالا أكثر مما تتضـح فى المناطق الأخرى من الوجه القبلى ، حيث يقع السهل الرسوبى كله تقريبا على الجانب الأيسر للنيل(٢٤) ، بينما تقترب الحافة الشرقيـة من النهر على شكل جروف مرتفعة •

وقد ترتطم قاعدتها بمياهه فى بعض المناطق ، الأمر الذى ترتب عليه ظهـور أحواض منعزلة فى الجزء الأيمن من الوادى(٢٥) •

---

22) Bull ; Ibid, PP. 3 — 5.

محمد امين عبد الله : تطور الوحدات الأدارية ، صفحة ٢٦

(٢٣) أمين محمود عبد الله : تطور الوحدات الأدارية لمصر العليا منذ الفتح العربى وحتى وقتنا الحاضر ، صفحة ٢٧

24) Lorin ; L'Egypte d'aujourd'hui les Pays et les Hmmes, P. 15.

25) Lorin ; Ibid, P. 51.

الباب الأول

الحالة الاقتصادية فى الوجه القبلى منذ قيام الدولة الأيوبية حتى سقوط الدولة المملوكية

ـ الثروة الزراعيـــة :

(أ) نظـــم الرى والزراعة •

(ب) أشهر المحاصيل الزراعية •

(ج) ملكية الأرض وادارة الضياع •

ـ التقدم الصـــناعى :

(أ) الصناعات الغذائية •

(ب) الصناعات الثقيلة •

(ج) الحــــرف •

ـ النشاط التجارى :

(أ) التجارة الداخليـــة •

(ب) العلاقات التجارية بين الوجه القبلى والعاصمة •

(ج) العلاقات التجارية بين الوجه القبلى والعالم الخارجى •

ـ الموارد المالية :

(الزكاة ـ الجزية ـ الخراج ـ المعادن ـ المكوس ـ ضرائب أخـرى) •

الثروة الزراعيـــة

نظم الرى والزراعة

اعتمدت الزراعة فى مصر فى العصور الوسطى على مياه الفيضان، وكانت فى الوجه القبلى قاصرة على شريط ضيق من الأرض ممتد على جانبى النيل ، ولقد تفاوتت بعض أراضى الوجه القبلى فى الارتفـــاع والانخفاض بشكل ملحوظ،فنرى اقليم الفيوم يهبط بمستوى الاقليم على مراحل متدرجة من ٥ ٢متر فوق سطح البحر الى ٤٥ متر تحت ســطح البحر ، فى حين نجد أرض اسوان بين حافات مرتفعة ، ولا تتــرك سوى شريط ضيق من الأراضى الزراعية(١) ، وهكذا انقسمت أراضى الوجه القبلى الى أقسام كثيرة ، منهـــا عالى لا يصل اليه المـاء الا من زيادة كثيرة ، ومنها منخفض يروى من يسير الزيادة ، لذا احتـــاجت بعض بلاد الصعيد الى حفر الترع وعمل الجسور حتى يحبس المـــاء ليروى أهل النواحى عند الاحتياج اليه(٢) .

أما المناطق التى تقع على ضفتى النهر فى كل من الصعيد الأدنى والأوسط ـــ وهى تلك المنطقة التى تشغلها اليوم المساحة من أســيوط الى القاهرة ـــ فيقع السهل الرسوبى كله تقريبا على الجانب الأيسر للنهر ، وهناك أحواض رســـوبية على الجانب الأيمن ظهـــرت نتيجة اقتراب الحافة الشرقيـــة من النهر ، واســـتغلت هذه الأحـــواض فى الزراعة(٣) ، ويضيق الوادى فى شمال اسيوط من الغرب حيث الصحراء

---

(١) أمين محمود عبد الله : تطور الوحدات الادارية فى مصر العليا ، صفحة ٢٩ و ٣٠

(٢) المقريزى : الخطط جـ ١ صفحة ٥٦

(٣) أمين محمود عبـد الله : تطـــور الوحدات الأدارية فى مصر العليا ، صفحة ٢٧

الغربية ، وكانت منطقة اسيوط اخصب مناطق الوجه القبلى ، وقد ذكر القزوينى(٤) ان أسيوط بها ثلاثين ألف فدان « ينشر ماؤها فى جميعها، ويصل الماء الى جميع أقطارها » ويزداد متوسط انحدار السهل الفيضى فى الصعيد الأعلى فيما بين اسيوط والأقصر ، مع وجود سلسلة من المناطق السهلية الخصبة العامرة فى المناطق التى تحتلها اليوم مراكز أخميم وسوهاج(٥) « وساقلته » « والبدارى » ، وساعد على وجود هذه المناطق ظاهرة اتساع الوادىفيما بين «اسيوط» «وسوهاج» (٦).

ولتيسير سبل الزراعة لابد من العناية بالرى ، لذا اهتم الحكام المسلمون باقامة مشروعات الرى فى بلاد الصعيد ، وتعد منطقتا الصعيد الأوسط والأدنى أكثر مناطق الوجه القبلى تحكما فى ماء النيل ، فمنطقة الفيوم المنخفضة يجرى فيها الماء طوال العام ، حيث يمر خليج المنهى دون امداد ظاهر من النيل « فتجف اعاليه قبل اسافله »(٧) ، وقد تعجب المرى(٨) حين تكلم عن الفيوم فذكر أن لها نهرا(٩) يشقها يسرى جريانه لا ينقطع ، ويتشعب منه انهار تسقى قراه ومزارعه

---

(٤) آثار البلاد وأخبار العباد ، صفحة ١٤٧

3) Bull ; Contribution to the Geography of Egypt, PP. 3—5.

4) Bull ; Ibid, PP. 3—5.

(٧) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٠٧ ــ ابن الوردى : خريدة العجائب جـ ٢ ص ٣٨ ــ الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ٣٢

(٨) مسالك الأبصار ، جـ ١ ، ص ٦٩ و ٧٠

(٩) يخرج هذا النهر من النيل عند « دروة سريام » فيسلك بلاد البهنسا والاشمونين الى اللاهون (النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ص٦)

وبساتينه ، وعامة اماكنه ، وقد وضع لهذا الخليج عند اللاهون بناء محكم على وضع هندسى متقن(١٠) •

تفرعت عدة ترع من المنهى استغلت فى رى أراضى البهنسا والأشمونين ، وظل خليج المنهى يروى البلاد بالفيوم ، وأراضى الجانب الغربى من النيل فى الصعيد الأوسط من اثنى عشر ذراعا(١١) حتى سنة ٦٢٨ هـ ، واختل أمره من بعد ذلك حتى أعاد عمارته السلطان الصالح نجم الدين ايوب(١٢) •

اهتم الأيوبيون بتوفير مياه الرى ، ووضعوا من الترتيب ما يكفل وصول الرى الى مساحات شاسعة من الأراضى ، من ذلك ما عنى به السلطان الملك الكامل (٦١٥هـ – ٦٣٥هـ) لترقية الزراعة فى أراضى الجيزية حتى رويت من اثنى عشر ذراعا(١٣) ، اما البناء المحكم باللاهون ، فقد ظل أمره باقيا حتى زمن القلقشندى (ت ٨٢١ هـ) ، ونقلت مقاسمه الى مكان آخر بالفيوم(١٤) •

وكان من أثر وفرة مياه الرى فى منطقة الفيوم ان ازدهر زرعها ،

---

(١٠) النابلسى : تاريخ الفيوم ، ص ٦ – المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٤٧

(١١) النابلسى : تاريخ الفيوم ، ص ٥ و ٦ انظر

(١٢) النابلسى : المصدر نفسه ، ص ٥ و ٦

(١٣) النابلسى : المصدر نفسه ، ص ١٥

امر السلطان الكامل بسد بحر الاهرام بالفيوم مما ساعد على فيضان الماء على ارض الجيزيه – (النابلسى : المصدر نفسه صفحة١٥)

(١٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، صفحة ٣٠٢

حتى جاء حصاد الفدان الواحد بهذه المنطقة اضعاف ما جاء فى أى منطقة أخرى من الوجه القبلى(١٥) .

وانتشرت السواقى اللازمة لرفع الماء منذ زمن الأيوبيين فى الأراضى التى لا تصل اليها الماء فى يسر وسهولة(١٦) ، من ذلك السواقى التى أقيمت فى بلاد البهنسا والأشمونيين طلبا لزيادة الاستعمال حين هبط جريان المنهى(١٧) ، كذلك كثرت السواقى فى مدينة الفيوم نفسها لنفس الغرض(١٨) واستخدمت السواقى فى بلاد الوجه القبلى فى نهاية عصر المماليك البحرية ، وبداية عصر الجراكسة لكثرة الحاجة اليها(١٩) .

قد اعتمدت الزراعة فى الأماكن الصحراوية من الوجه القبلى فى عصر الأيوبيين والمماليك على الآبار والعيون الجارية ، من ذلك أراضى الواح(٢٠) ، ويذكر عن عيونها الجارية انها بمثابة أنهار تسقى الزروع(٢١) كذلك انتشرت الآبار فى الصعيد الأوسط ، والصعيد الأعلى

---

(١٥) العينى : عقد الجمان ، القسم الثانى من الجزء ٢٥ احداث سنة ٨٠٦

(١٦) السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين ، صفحة ٢٨٨

(١٨) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ، صفحة ١١

(١٨) من ذلك مسقاة بركة مؤنسة ، ومسقاه محيى الدين بن الأشقر ، ومسقاة القاضى الاسعد جلال الدين ،ومكى راجع (النابلسى : المصدر نفسه ، صفحة ٢٧)

(١٩) يرجع ذلك الى كثرة الازمات النيلية التى تعرضت لها بلاد الوجه القبلى ـ المقريزى : الخطط جـ ١ صفحة ٤٠ أنظر

(٢٠) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٠٥ ـ القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٣ ، ص ٣٩٤

(٢١) أبو الفدا : المصدر نفسه ، ص ١٠٥ ـ ابن دقماق : الانتصار جـ ٥ ، ص ١٢

فى تلك الأماكن الصحراوية التى بنيت عليها الأديرة ولها زراعات وبساتين(٢٢) •

أما الأمطار ، فلا يعتمد عليها فى زراعة أراضى الوجه القبلى لقلتها(٢٣) وقد اهتم الأيوبيون والمماليك بأمر الجسور والقناطر والخلجان ، وكانت الجسور على نوعين ، السلطانية ، وهى الجسور التى يعود نفعها على البلاد عامة ، ويتولى صيانتها امراء الولايات ، والبلدية ، فهى الجسور التى تعود منفعتها على ناحية من النواحى ، ويتولى صيانتها المقطعون والفلاحون وينفق عليها من مال الناحية(٢٤) •

وانشئت الجسور فى كافة أرجاء بلاد الصعيد ، فنراها فى «الجيزية» « والبهنساوية » ، « والسيوطية » ، « والمنفلوطية » ، « واخميم » ، وقد تولى أمر هذه الجسور المقطعون من الأمراء الأجناد(٢٥) ، وقد اهتم الحكام فى العصرين الأيوبى والمملوكى بأمر الجسور العامة وقد جرت العادة فى العصر المملوكى أن يجهز لكل عمل أمير يشرف على عمارة الجسور(٢٦) ، ويعبر عنه « بكاشف الجسور »(٢٧) ، اما الجسور

---

(٢٢) صفى البغدادى : مراصد الاطلاع ، جـ ١ ، ص ١٢٤ — المقريزى : الخطط جـ ٢ ، ص ٥٠٣

(٢٣) عبد اللطيف البغدادى : الافادة والاعتبار ، ص ٥

(٢٤) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٢ — ٢٤٢ — المقريزى: الخطط جـ ١ ص ١٠١ — محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس ، ص ١٣٩

(٢٥) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٤٣ — القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٢ ص ٤٤٩

(٢٦) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٤٩

(٢٧) كانت مهمته فى العصر المملوكى كشف الجسور ،والتفتيش =

البلدية فقد أهمل الاهتمام بها زمن المماليك الجراكسة(٢٨) على الأخص فى الوجه القبلى ، حيث فسدت جسور النواحى ، وانقطعت منها مقاطع كثيرة بسبب جور الولاه ، وسوء سيرتهم(٢٩) .

وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩ — ٧٤١هـ) (٣٠) أكثر السلاطين اهتماما بأمر الجسور(٣١) على الأخص الوجه القبلى، فأحكم عامة أراضيه بالجسور والترع ، وكان يركب الى هذا الاقليم، وينظر فى جسوره ، من ذلك ما كان للسلطان الناصر من عناية كبيرة ببلاد الجيزية ، حتى أنه شيد على كل بلد منها جسرا وقنطرة ، فأمر بعمل جسرام دنيار فى ارتفاع اثنى عشر قصبة ، واقام العمل فيه مدة شهرين ، مما ساعد على احكام بناء هذا الجسر ، وانتفع به جميع أهل الجيزية »(٣٢) ، وخرج منه « عدة مواضع » استغلها المزارعون فى الزراعة(٣٣) .

كذلك أرسل السلطان الناصر الأمراء للوقوف على عمارة الجسور بالوجه القبلى ، من ذلك ما أمر به سنة ٧١٤هـ كل من الأمير علاء الدين

=

عليها فى اقليم معين لتحضير البلاد ، وقبض الغلال ، وكان كشاف الجسور يختارون من بين أمراء الطبلخاناه ، والعشراوات . (حسن الباشا : الفنون والوظائف ، ج ٢ ، ص ١٣٢

(٢٨) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٠

(٢٩) المقريزى : السلوك ، ج ٢/٤ ص ٦٤٦

(٣٠) سلطنته الثالثة

(٣١) على حسنى الخربوطلى : مصر العربية الأسلامية ص٣٠٢ انظر

(٣٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهره ، ج ٩ صفحة ١٩٠ و ١٩١

(٣٣) أبو المحاسن : المصدر نفسه ، ج ٩ صفحة ١٩٠ و ١٩١

ايدغدى لكشف الجسور بالبهنساوية ، والأمير حسين بن جندر لكشف جسور أسيوط ومنفلوط ، والأمـير سيف الدين مكى أمير سـلاح الى الطحاوية والأشمونين، والأمير بهادر المعزى الى أخميم، والأمير بهاء الدين الى قوص لنفس الغرض(٣٤) ومن جهود السلطان النـاصر محمد بن قلاوون أنه كان يأمر بجمع انفار العونة لاصلاح الجسـور ، وكانت العادة أن تأتى الأنفار من بـلاد الوجه القبلى لاصلاح جسـور هذه البـلاد (٣٥) .

حرص السلاطين الجراكسة على الاهتمام بعمارة جسور الوجه القبلى(٣٦) ، وشجعوا القـائمين عليها بتقديم الخلع والهـدايا حتى صارت مهمة عمارة الجسور من أكبر الأعمال شأنا فى هذا الاقليم، ومن جهود السلاطين فى هذا المجال ما أفاض به السلطان برقوق سنة ٧٧٩هـ من الخلع والأموال على الأمير حسام الدين حسن كحكى عند فراغـه من عمل الجسور بالبهنساوية بعد أن أتقن ذلك العمل اتقانا جيدا(٣٧)، كذلك حرص السلطان الغورى (٩٠٦هـ — ٩٢٢هـ) على تكريم الأمـير ازدبك ، بعد أن فرغ هذا الأمـير من كشف الجسور بالفيـوم(٣٨) ،

---

(٣٤) أبو المحاسن : المصدر نفسه ج ٩ ، صفحة ١٩٠ و ١٩١

(٣٥) ابن دقماق : الانتصـار ج ٤ من ذلك ما أمر به السـلطان بجمع أنفار العونه من الاشمونين لاصلاح جسور الجيزيه .

(٣٦) من الاسباب التى دفعت الجراكسه على الاهتمـام بعمـارة جسور الوجه القبلى ماتعرض له هذا الاقليم من أزمات منذ سنة ٧٧٦ هـ زمن السلطان الاشرف شعبان ، والازمات اللاحقه زمن السلطان الظاهر برقوق (المقريزى : الخطط ج ١ صفحة ١٩٠

(٣٧) المقريزى : السلوك ج ٢/٣ ص ٨٧٨

(٣٨) ابن أياس : بدائع الزهور ، حوادث سنة٩١٨ هـ

وترتب على ذلك أن ازداد كشاف الجسور بالوجه القبلى ثراءا،وامتلأت دورهم بالتحف ، وأمدتنا الاكتشافات الأثرية بتحفة فنية من النحاس ترجع الى أواخر العصر المملوكى ، عليها كتابة أثرية نصها (برسم الجناب العالى السيفى نوروز من الماس كاشف الجسور السلطانية بالبهنسا)(٣٩) .

ومهما يكن من أمر فان سلاطين الجراكسة ظلوا يهتمون بأمر جسور الوجه القبلى حتى نهاية عهدهم ، ولعل اهتمامات السلطان الغورى تؤكد لنا ذلك ، فقد أمر سنة ٩١٥ هـ باصلاح جسرام دينار بالجيزية وسافر سنة ٩١٨ الى الفيوم ، ومكث بها سبعة عشر يوما للوقوف على عمارة جسورها(٤٠) ، وعهد الى الأمير ارزمك الناشف أخر المقدمين باصلاح جسر اللاهون ، وجسر أخر ، فعمرهما ، وعادت الحياة الزراعية فى الاقليم بعد أن كانت خرابا(٤١) .

وتعد القناطر من المنشآت العامة(٤٢) ، وكانت أغلب الترع بالوجه القبلى تأخذ مباشرة من النيل بدون قناطر ، ولكن دعت الضرورة الملحة الى انشائها على رأس شمال الوجه القبلى للافادة من ماء النيل واهتم الأيوبيون بانشائها،وعهد السلطان صلاح الدين الى الأمير قراقوش الأسدى بالاشراف على عمارة القناطر فى الجيزية ، فعمرها ، واحكم بناءها ، وأكثر منها حتى بلغت بضع وأربعين قنطرة(٤٣) ، لكن اختل أمر بعض هذه القناطر سنة ٥٩٩هـ حين تولى أمرها « من لا بصيرة

---

(٣٩) حسين الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جـ ٢ ص ٩٣٢

(٤٠) ابن أياس : بدائع الزهور ، حوادث سنة ٩١٨

(٤١) ابن أياس : بدائع الزهور ، حوادث سنة ٩١٨ .

(٤٢) ابراهيم على طرخان : مصر فى عهد الجراكسة ص ٣٢٣

(٤٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ص ١٥١

عنده ، فسدها ، .... وزلزلت منها ثلاث قناطر وانشقت »(٤٤)
كذلك اهتم الأيوبيون بانشاء القناطر فى الفيوم(٤٥) .

سار المماليك على نهج أسلافهم فأعتنوا باصلاح وسائل الرى فى الجيزية والفيومية ، فوجه السلطان بيبرس عنايته الى الرى شمال الوجه القبلى ، حيث بنى قنطرة بالجيزة(٤٦) ، كما أنشأ قنطرة اللاهون فى منطقة الفيوم،نمت ثروة البلاد وازدادت محصولاتها(٤٧) ، واهتم السلاطين من بعد بيبرس بعمارة هذا النوع من المنشآت فى الفيومية والجيزية ، فأصلحوا ما خرب منها ، واشرفوا على عمارتها ، ففى سنة ٧٠٨هـ رسم السلطان بيبرس الجاشنكير بتعمير ما خرب من قناطر الجيزية ، « فأصلح ما أفسد منها »(٤٨) وأظهرت النقوش الأثرية جهود السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى عنايته بقناطر الجيزية(٤٩) .

ويعد السلطان قايتباى (٨٧٢ — ٩٠١ هـ) أعظم السلاطين الجراكسة اهتماما ببناء القناطر ، فأمر ببنائها فى جهات متعددة من

---

(٤٤) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ص ١٥١

(٤٥) من ذلك قناطر الامام ، وقناطر بحر يوسف (النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٢٢ — محمد رمزى : القاموس الجغرافى جـ ٣ ص ١٠٣

(٤٦) المقريزى : السلوك ، جـ ١/٢ ص ٤٤٥ و ٤٤٦

(٤٧) محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس فى مصر ، ص ١٣٩ انظر .

(٤٨) ابن دقماق : الانتصار جـ ٤ مادتا أم دينار .

(٤٩) نقش اثرى على القنطره المجاورة للهرم مؤرخ سنة ٧١٦ هـ ويعرف هذا النقش بلوحة الناصر محمد بن قلاوون .

مصر(٥٠) ، وقــد أولى قنــاطر الجيزية اهتمــاما ملحوظا ، وتكشف النقوش الأثرية عن جهوده فى ذلك(٥١) ، وفى عهد محمد بن قايتبــاى الذى خلف أباه اضافت خواند أصلباى زوجة السلطان قايتباى قنطــرة بالفيوم ، ولما زار السلطان الغورى اقليم الفيوم ســنة ٩١٨هـ(٥٢) لاحظ خراب هذا الاقليم على أثر قطع جسر اللاهون ، فعهد الى الأمير أرزمك الناشف باصلاح قنطرة اللاهون ، ومما يذكر أن قنطرة اللاهون أخذت تضمحل منذ العقد الرابع من القرن التاسع الهجرى(٥٣) .

وجرت العادة ــ فى العصر المملوكى ــ أن الوالى يكتب الى قاضى الاقليم الواقع به القنطرة يخبره قيامه بكشف القنطرة ، ومن الاشارات التى ذكرتها المصادر ، ما حــدثنا به المقريزى عن توجه القــاضى زين الدين عبد الباسط فى ١٥ رجب سنة ٨٤٠هـ لكشف قناطر الفيوم(٥٤) ، وكثرت مثل هذه الزيارات للكشف زمن المماليك الجراكسة(٥٥) .

وكثرت الخلجان فى شمال الوجه القبلى ، وبقى منهــا الكثير زمن الأيوبيين(٥٦) نذكر منهــا خليج الفيــوم الأعظم وفروعــه(٥٧) وقد

---

(٥٠) طرخان : مصر فى عصر الجراكسة ، صفحة ٣٢٣

(٥١) نعنى بها لوحتى قايتباى على القنطرة المجاوره للهرم مؤرخة سنة ٨٨٣ هـ

(٥٢) ابن أياس : بدائع الزهور ، حوادث سنة ٩١٨ هـ

(٥٣) المقريزى : السلوك ، جـ ٤/٢ ص ١٠٠٦

(٥٤) المقريزى : السلوك جـ ٤/٢ ص ١٠٠٦

(٥٥) المقريزى : السلوك جـ ٤/٢ ص ١٠٠٦ ومابعدها

(٥٦) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٢٢

(٥٧) بن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٢٩ .

المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٤٨

استغلت هذه الخلجان فى زراعة أراضى الفيوم والأشمونين واهناس حتى زمن المقريزى(٥٨) •

ومن هنا نتبين مقدار ما وصلت اليه بعض نواحى الوجه القبلى من التقدم فى ميدان الرى والزراعة فى عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك ، ومبلغ اهتمام هؤلاء السلاطين بالنيل وفيضانه فى هذه النواحى •

وكان لنقصان مياه النيل أسوأ الأثر على بلاد الوجه القبلى على الأخص فى العصرين الأيوبى والمملوكى ، فقد طرأ على هذه البلاد فى هذين العصرين عدد من المجاعات المخيفة التى اكتسحت تلك البلاد بين حين وآخر بسبب عدم التحكم فى مياه الرى ، من ذلك ما حدث فى العصر الأيوبى فى عهد السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر سنة ٥٩٦هـ ، حيث نقصت مياه النيل ، وتوقفت أراضى الوجه القبلى ، وهاجر أكثر سكان القرى الى القاهرة(٥٩) ، واقترن توقف النيل بهبوب رياح عاصفة ، والحق بالبلاد المصرية(٦٠) خصوصا الصعيد ــ الخراب والدمار(٦١) •

كانت المحن التى طرأت على البلاد المصرية زمن الايوبيين أقل منها فى عصر المماليك ، وقد فشت فى بلاد الوجه القبلى زمن المماليك جملة من الأوبئة وضروب من القحط ، من ذلك ما وقع فى سلطنه العادل كتبغا سنة ٦٩٦هـ ، حيث توقف النيل عن الزيادة وأعقب ذلك خلل فى

---

(٥٨) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٤٨

(٥٩) المقريزى : اغاثة الامة ، ص ٢٩ ــ ٣٠

(٦٠) المقريزى : اغاثة الأمة ص ٣٣ •

(٦١) البغدادى : الافادة والاعتبار ص ٥٢

ميزانية الدولة لقلة المال أو كثرة النفقــات(٦٢) ، وقد اقترنت هذه الازمة بهبوب رياح عاصفة زلزلت أقاليم البحيرة والغربية والشرقية ، وأطاحت بسائر بلاد الوجه القبلى خاصة الصعيد الأعلى ، فأفســدت زروعــه(٦٣) ، وازدادت الحــال سوءا بتزايد الاســعار وانتشــار الأمــراض(٦٤) •

ومن ذلك ما وقع سنة ٧٤٤هـ ، فزاد النيل عن الحد وتقطعت جميع الجسور بالوجه القبلى ، وفسدت الأقصاب وسائر الزروع(٦٥) ، ووقع سنة ٧٥٥هـ نقصان فى مياه النيل ، ففسدت جميع النواحى فى الوجــه القبلى ، وتقطعت الجسور ، وتعطلت الدواليب(٦٦) ، وتهدمت الدور، فخرب من ذلك كثير من بلاد الفيوم ، كما اشرفت جميع النواحى على الغرق(٦٧) •

وامتدت أسباب الخراب الى بلاد الوجه القبلى منذ سنة الشر فى عام ٧٧٦هـ فى أيام السلطان الأشرف شعبان(٦٨) ، حتى اذا جاء عهد الجراكسة ، ازدادت الأوبئة ، ولم يقتصر أسباب حدوثها على الأزمات النيلية فقط ، بل الى كثرة الاضطرابات الداخلية واسراف المماليك فى

---

(٦٢) المقريزى : اغاثة الامة ، ص ٣٣

(٦٣) المقريزى : المصدر السابق والصفحة •

(٦٤) المقريزى : المصدر السابق والصفحة •

(٦٥) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/٣ ص ٦٤٨ و ٦٤٩

(٦٦) نعنى بها معاصر قصب السكر ــ المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ص ١٦٠

(٦٧) المقريزى : السلوك جـ ١/٣ ، ص ١٢ و ١٣

(٦٨) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ١٩٠

جباية الضرائب(٦٩) ، وهكذا اختل اقليم الصعيد وآلت أغلب بلاده الى الفوضى والخراب بسبب المحن التى طرأت على هذه البلاد فى أعوام ٩٧٧هـ(٧٠) و ٨٠١هـ(٧١) و ٨٠٦هـ(٧٢) و ٨٠٧هـ(٧٣) ، ٨٢١هـ(٧٤) و ٨٣٠هـ(٧٥) و ٨٥٩هـ(٧٦) و ٨٨٢ هـ(٧٧) ، واستولى الفناء على معظم نواحى الوجه القبلى وتعطلت معظم أراضيه عن الزراعة ، وكانت أكثر هذه الحوادث خطورة فى سنتى ٨٠١هـ و ٨٠٦هـ، ففى الأولى نقص سد النيل حتى شرقت أراضى الوجه القبلى ، وعظم الغلاء والفناء ، « فباع أهل الصعيد أولادهم من الجوع ، وصاروا أرقاء مملوكين »(٧٨) ، وفارق الأهالى البلاد ، وانتقلوا الى مدن أخرى ، وفى الثانية قاسى أهل الصعيد الشدائد ، واستولى الفناء على نواحى البلاد ، على الأخص « قوص و « أسيوط »(٧٩) ، واختلف اقليم الفيوم فى ذلك عن سائر بلاد الوجه القبلى ، فلم يتأثر بتلك

---

(٦٩) طرخان : مصر فى عصر الجراكسة ، ص ٢٥٤ و ٢٥٥

(٧٠) المقريزى : السلوك جـ ٢/٣ ص ٨٣٥

(٧١) المقريزى : السلوك جـ ٢/٣ ، احداث سنة ٨٠١ هـ

(٧٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ، ص ١٩٠

(٧٣) المقريزى : السلوك جـ ٣/٣ ، ص ١٦٧

(٧٤) ابن أياس : بدائع الزهور جـ ١ حوادث سنة ٨٢١

(٧٥) المقريزى : السلوك جـ ٢/٤ ، ص ٧٥٢

(٧٦) ابن أياس : بدائع الزهور جـ ٢ ، ص ٣٥٢

(٧٧) ابن أياس : بدائع الزهور ، حوادث سنة ٨٨٢ هـ .

(٧٨) المقريزى : الخطط جـ ٢ ، ص ٢٤١

(٧٩) المقريزى : السلوك جـ ٣/٣ ، ص ١١١٦ — الخطط جـ ١ ، ص ١٩٠

الأزمات على الصـــورة التى رأيناها فى الاقـــاليم الأخرى من الوجـــه القبـــلى(٨٠) ٠

انقسمت السنة الزراعية فى مصر الى قسمين ، هما فصلا الزراعة الشتوية، والصيفية ، ولكل منهما موعده ومميزاته ، وغلاته المختلفـــة فتبدأ الزراعة الشتوية فى ديسمبر ، وتمتد حتى مارس ، وكانت تشمل فى العصر الاسلامى نوعين من المحاصـــيل ، أحداهما تســـمى البياض وذلك فى الأراضى التى استفادت بالحـــد الأقصى من ماء النيل ، وقـــد كانت محاصيل هذا النوع تسود معظم أرجاء الصعيد الأوسط والأعلى باستثناء الفيوم(٨١) ، لكنها قليلة فى الوجه البحرى ، واخرى تســـمى الشتوى ، وتشمل المحاصيل التى اختصت بها الأراضى التى لم يغمرها الماء غمرا كاملا ، وفى هذه الحالة لابد من الالتجاء الى الرى الصناعى بحفر الآبار ، وتبدأ الزراعة الصيفية بعد حصاد المحاصيل الشـــتوية بنوعيها ، أى من ابريـــل حتى أخر يـــوليو ، واقتصرت زراعـــة هذه المحاصيل فى الأماكن الواقعة على جانب النهر(٨٢) ٠

وكان يزرع بمصر القمح ، وتكثر زراعته ببلاد الوجه القبلى(٨٣) وانتشرت مزارعه على طول البلاد من ادفو ـــ على بعد خمسة عشـــر فرسخا ـــ الى الشمال من أسوان حتى الطرف الشمالى من الدلتا(٨٤)

---

(٨٠) المقريزى : السلوك ، ج ٤/٢ ص ٦٧٢ ـ العينى : عقـــد الجمان : حوادث سنة ٨٠٦هـ ٠

(٨١) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى العصر الفاطمى، ص ٦٦ و ٦٧

(٨٢) البراوى : المصدر نفسه والصفحة ٠

(٨٣) محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس ، ص١٣٩

(٨٤) علمـــاء الفرنسية : كتاب وصف مصر ، المجلد الرابـــع ، ج ١ ، ص ٤٦

وتعتبر أراضى الوجه القبلى فى ذلك أعلى الأراضى قيمة حيث أصبح من اليسير زراعة « القمح على أثر القمح لكثرة الطرح »(٨٥) وربما كانت زراعته على أثر الكتان والشعير(٨٦) ، ويزرع القمح فى الصعيد الأعلى ابتداء من نصف شهر بابه الى آخر هتور(٨٧) ، فى حين تمتد زراعته فى الصعيد الأوسط والأدنى التى تكثر فيها البحار والخلجان الى آخر كيهك(٨٨) ، وتفاوتت كمية البذور المستخدمة بحسب قوة الأرض وضعفها ، فبلغت فى المتوسط فى سائر انحاء الوجه القبلى باستثناء الفيوم ١/٢ اردب(٨٩) ، وفى حين تتراوح فى الفيوم ما بين ١/٢ اردب الى ٣/٤ اردب(٩٠) ، وفى مختلف نواحى الوجه القبلى لا يتطلب زراعة القمح الذى يبذر فى أرض تروى بشكل طبيعى أى عمل ابتداءا من وقت البذار حتى وقت الحصاد ، أى خلال خمسة أو ستة أشهر ، ويتم حصاد القمح فى كل من الوجهين القبلى والبحرى بواسطة منجل(٩١) ، وتتراوح غلة الفدان الواحد فى الوجه القبلى ما بين

---

(٨٥) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٥٨ — المقريزى : الخطط ج ١ ، ص ١٠١

(٨٦) ابن مماتى : المصدر نفسه والصفحة — المقريزى : الخطط ج ١ ، ص ١٠١

(٨٧) ابن مماتى : المصدر نفسه والصفحة — المقريزى : الخطط ج ١ ، ص ١٠١

(٨٨) ابن مماتى : المصدر نفسه والصفحة — المقريزى : الخطط ج ١ ، ص ١٠١

(٨٩) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٥٨ — المقريزى : الخطط ج ١ ، ص ١٠١

(٩٠) ابن مماتى : المصدر نفسه والصفحة

(٩١) علماء الفرنسية : كتاب وصف مصر ، المجلد الرابع — الجزء الاول ، ص ٤٧

اردبين وعشرين اردبا (٩٢) .

وتعتبر زراعة القمح فى منفلوط من الوجه القبلى أعلى الزراعات قيمة ، وأوفرها سعرا وقطيعه(٩٣) ، وكانت لمنفلــوط هذه المكانة فى العصرين الأيوبى والملــوكى حتى اختص بها الســلاطين عن ســائر الأمراء والأجناد (٩٤) ، وخصصوا لما يحمل من قمحها المخازن وسميت هذه المخازن « الأهراء السلطانية » (٩٥) .

وكان محصول القمح فى بلاد الوجه القبلى زمن الأيوبين والمماليك يفيض عن حاجة البلاد ، وعمد السلاطين الى امداد بلاد الشام والحجاز بمقادير وفيرة منه ، وذلك حين يقع الغلاء بهذه البلاد (٩٦) ، وترتب على كثرة المجــاعات ، وعدم امكان التحكــم فى مياه النيل أن لجــأ السلاطين الى تشييد مخــازن تخزن بها الغلال فى الوجــه القبلى (٩٧) ولا يسمح بفتحها الا فى حالة الضرورة القصوى ، ولجأ أعيان البــلاد

---

(٩٢) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٥٩

(٩٣) ابن جبير : الرحلة ، جـ ٢ ص ٥٨ .

(٩٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٢٩٩

(٩٥) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٥٠

(٩٦) المقريزى : السلوك ، جـ ١/٤ ص ٣٣٠

(٩٧) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ، ص ٣٢٨ ، ومن هــذه المخازن ، شونة الغلال السلطانية بمدينة الفيــوم (النــابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ، صفحة ٢٢) وابقى السلاطين على نواحى البرابى بصعيد مصر ، وخصصوها لخزن الغلال (القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ صفحة ٣٢٨)

الى تخزين الغلال للافادة فى حالة اذا حدث غلاء(٩٨) فى الوجه القبلى ، وترتب على ذلك ارتفاع سعر المحصول(٩٩) ، ونكل بالأعيان والتجار فى تلك الظروف ، وأخذت منهم الأموال ، من ذلك ما أقدم عليه الأمير جمال الدين الأستادار سنة ٨٠٨هـ من أخذ مائة درهم عن كل اردب قمح من التجار بناحية منفلوط من الصعيد الأوسط(١٠٠) ، كذلك لجأ السلاطين — زمن الشدائد — الى شراء قمح الصعيد لتوفيره للناس(١٠١) ٠

والمعروف أن أهل الصعيد زمن المماليك الأواخر اعتادوا على تخزين القمح ووقف بيعه اذا ندر وجوده فى الوجه البحرى والقاهرة، وكانوا يلجأون بين حين وآخر الى المطالبة برفع سعره ، فقاس الناس بالوجه البحرى من جراء ذلك الشدائد والأهوال(١٠٢)، ومن نتيجة الظروف السيئة التى طرأت على بلاد الوجه القبلى زمن الجراكسة ارتفاع أسعار الغلال فى أرجاء مصر ، حتى بلغ سعر الأردب من القمح عام ٨٢٢هـ ثلثمائة درهم(١٠٣) ، وتعددت أعمال القرصنة فى النيل لأخذ المراكب الموسقة بالغلال ، وانعدم وجود الخبز بالأسواق ، ومن

---

(٩٨) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٥٤٥ ٠
وجد عند القاضى جمال الدين محمد الأسنائى فى سنة الغلاء فى صعيد مصر عام ٧٣٥ هـ زيادة على الفى أردب وخمسمائة من الغلال (الأدفوى : المصدر نفسه والصفحة ٠)
(٩٩) المقريزى : للسلوك جـ ٢/٤ ، ص ٣٣٩
(١٠٠) المقريزى : السلوك ، جـ ١/٤ ، ص ٢١٨
(١٠١) المقريزى : السلوك ، جـ ١/٤ ، ص ٣٤٣
(١٠٢) المقريزى : السلوك ، جـ ١/٤ ، ص ٣٣٢
(١٠٣) المقريزى : السلوك ، جـ ١/٤ ، ص ٥٠٣ ، انظر

ذلك ما حـــدث فى سنين ٨٢٢هـ(١٠٤) ، ٨٢٣هـ(١٠٥) ، ٨٢٥هـ(١٠٦) ، و ٨٢٩هـ(١٠٧) ، و ٨٣١هـ(١٠٨) ، و ٨٤٣هـ(١٠٩) ، زمن السـلاطين « شيخ المؤيد » ، « وططر الظاهرى » ، « وبرسباى » ، « وجقمق »، وبلغ الأمراء منشقوة الناس على أثر قلة الخبزان لجأ هؤلاء السلاطين الى حمل الغلال من القاهرة الى الوجه القبـلى(١١٠) ، بعد أن كانت غلال هذا الاقليم ـ تحمل الى الأهواء السلطانية بالقاهرة(١١١) .

وكان يزرع بأرض مصر الشعير،وتكثر زراعته ببلاد الصعيد(١١٢)، وكان متوسط غلة الفدان الواحد فى هذه البلاد زمن المماليك البحـرية أربعين اردبا(١١٣) ، فى حين انحطت زراعة هذا النوع وغيره فى عهد الجراكسة(١١٤) باستثناء اقليم الفيوم(١١٥) .

---

(١٠٤) المقريزى : السلوك ، جـ ٤/١ ، ص ٥٠٣

(١٠٥) المقريزى : السلوك ، جـ ٤/١ ، ص ٥٢١

(١٠٦) المقريزى : السلوك جـ ٤/٢ ، ص ٦٠٣

(١٠٧) المقريزى : السلوك جـ ٤/٢ ، ص ٧١٨

(١٠٨) المقريزى : الساوك جـ ٤/٢ ، ص ٧٩٨

(١٠٩) المقريزى : السلوك جـ ٤/٣ ، ص ١١٦٠

(١١٠) المقريزى : السلوك جـ ٤/٢ ، ص ٦٠٣

(١١١) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٩٩
من ذلك غلال المنفلوطية التى كانت من اختصاص السلطان

(١١٢) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٧٠

(١١٣) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٢٨

(١١٤) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٠١

(١١٥) العينى : عقد الجمـان ـ مخطوط ـ الجـزء ٢٥ احداث سنة ٨٠٦ هـ

وكان يزرع ببلاد الوجه القبلى الذرة ، وبلغ متوسط محصول الفدان بها زمن المماليك البحرية أربعة وعشرين اردبا(١١٦) ، كما كان يزرع — أيضا — الفول فى شمال الوجه القبلى فى أول بابه،وتتراوح غلة الفدان فى هذه البلاد زمن الأيوبيين من اردبين الى عشرين أردبا (١١٧) ، وظل الانتاج على تلك الحال الى أن كانت أحداث المحن زمن المماليك الجراكسة ، فقل انتاج الفول فى الوجه القبلى حتى ارتفع سعره(١١٨) .

وكانت زراعة الكتان من أهم مزروعات الوجه القبلى فى المعصر المملوكى ، حيث انتشرت زراعته فى الصعيد الأوسط فى دلاص(١١٩)، وبوصير(١٢٠) ، وبرش(١٢١) ، وسيوط(١٢٢) ، وكان يحمل من هذه الجهات الى افريقيه ، وسائر الديار المصرية(١٢٣) ، كما صدرت مصر المنسوجات الكتانية الى كثير من البلاد المجاورة(١٢٤) ، والمعروف أن الكتان يزرع فى الأماكن المنخفضة التى تظل مغمورة بالمياه(١٢٥) وكان

---

(١١٦) الأدفوى : الطالع ، ص ٢٨

(١١٧) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٦٠

(١١٨) المقريزى : السلوك ج ٤/٢ ، ص ٧٧٨

(١١٩) ابن بطوطه : كتاب الرحلة ، ج ١ ، ص ٣٧

(١٢٠) ابن بطوطه : الرحلة ج ١ ، ص ٣٧

(١٢١) ابن ظهيره : الفضائل الباهرة ، ص ٦٥

(١٢٢) صفى البغدادى : مراصد الاطلاع ، ج ١ ، ص ٤٤

(١٢٣) ابن بطوطة : الرحلة ، ج ١ ، ص ٣٧

(١٢٤) سعيد عاشور : مصر فى عصر المماليك البحرية ص ١٩٨

(١٢٥) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ص ١٥٢

لبحر يوسف أثر فعال فى وفرة المياه فى الصـــعيد الأوسط وكان رواج زراعة الكتان فى الصعيد الأوسط أثر فى ازدهار صناعة المنســـوجات الكتـــانية(١٢٦) •

واشتهرت بلاد الوجه القبـــلى فى العصرين الأيوبى والملـــوكى بزراعة قصب السكر ، ويعد هذا المحصول من أهم الحاصلات الزراعية فى هذه البلاد ، وتخصص فى زراعته أسر كـــاملة ، نذكر منهـــا أولاد فضيل بملوى من الصعيد الأوسط ، وقد زرعوا فى أيام الناصر محمد ابن قلاوون ألف وخمسمائة فدان من القصب فى كل سنة(١٢٧) كذلك اشتهرت منطقتا الفيوم والصعيد الأعلى(١٢٨) فى ذلك العصر بزراعة قصب الســـكر •

كذلك اشتهرت مدن الصعيد الأوسط بزراعة القطن زمن الأيوبيين والمماليك(١٢٩) ، ومن الملاحظ أن القطن كان يزرع فى مصر فى العصور القديمة والوسطى فى شهر برموده ، ويجنى فى شهر توت ، ويحتـــاج الفدان الى أربع ويبات من البذور (١٣٠) ، وينتج الفدان من قنطار الى

---

(١٢٦) Becker : Egypt — Ency of Islam —, T II,

(١٢٧) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٢٠٣ — ابن أياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ص ٩٩

(١٢٨) ابن دقماق : الانتصار جـ ٥ ؛ ص ٢٩ و ٣٢ ، القلقشندى، صـــبح الأعشى جـ ٣ ، ص ٣٠٧ — ابن الجيعـــان : التحفـــة الســـنية ، ص ١٥١ — ١٥٧

(١٢٩) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ١٢ ص ٦٣

(١٣٠) حسن ابراهيـــم حسن : تاريخ الدولة الفـــاطمية ، ص ٥٧٧ و ٥٧٨

ثمانية قناطير(١٣١) ، ونظرا لأهمية زراعة القطن فى مصر فقد فرضت على القطاعين أحكام الحسبة حتى لا يخلطوا جديده بقديمة ، ولا أحمره بأبيضه (١٣٢) •

كذلك انتشرت زراعة البصل فى الوجه القبلى ، وتشير المراجع المعاصرة أن نسبة ما يتحصل من الفدان الذى يزرع بصلا من عشرة دنانير الى عشرين دينارا(١٣٣) ، وكان البرسيم يزرع بكثرة فى بلاد الوجه القبلى ، « ويستخرج خراجه فى كيهك »(١٣٤) ، واختص الصعيد الأعلى بزراعة الدخن(١٣٥) ، كما اختص هذا الاقاليم بزراعة الخشخاش(١٣٦) ، ويعمل الأفيون من عصارة ورق الخشخاش ، وانفردت بعملة أسيوط(١٣٧) ويحمل منها الى سائر البلاد(١٣٨) ، كذلك اشتهر الصعيد الأعلى من الوجه القبلى بزراعة النيلة ، حيث أقبل المزارعون على زراعتها فى بؤونة،ويحصدونها كل مائة يوم(١٣٩) •

---

(١٣١) ابن الأخوة : كتاب الرتبه فى الحسبه ـ مخطوط ـ ورقه ١١٢

(١٣٢) ابن الأخوة : المصدر نفسه والصفحة

(١٣٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٦٣ ـ ابن الجيعان : التحفه السنيه ص ١٥٤

(١٣٤) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠١

(١٣٥) البغدادى : الافاده والاعتبار ، ص ١٥ ـ مختصر تاريخ مصر ، ص ٤٨

(١٣٦) البغدادى : الافاده ، ص ١٥

(١٣٧) القزوينى : آثار البلاد واخبار العباد ، ص ١٤٧

(١٣٨) القزوينى : المصدر نفسه والصفحة

(١٣٩) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٧٢

واشتهرت بلاد الوجه القبلى بكثرة النخيل ، وقد امتازت أسوان أنها أكثر نخيلا من غيرها من جهات الصعيد ، اذ بلغ مجموع محصولها من التمر فى سنة واحدة ستة وثلاثين ألف اردب(١٤٠)، كما تعددت أصناف التمر فى أسوان(١٤١) ، ومن بلاد الوجه القبلى التى اشتهرت بوفرة التمور ادفو(١٤٢) ، وقموله(١٤٣) ، وارمنت والأقصر(١٤٤) ، والبلينة(١٤٥) ، وابنود(١٤٦) ، اسـنا(١٤٧) ، واخميم(١٤٨) أمـا دندرة وقـوص ، فهما لبلدتان اللتـان اشـتهرتا بطيب الرطب(١٤٩) وانتشرت فى بلاد الصـعيد الأوسط ــ أيضا ــ أشجار النخيل ، حيث كان مغروسا فى بلاد الواحات التى يذكر عنها ياقوت(١٥٠) « وفيهـا تمر جيد أفخـر تمور مصر » ، ودورة سريام(١٥١) ، وبوتيج(١٥٢) ،

---

(١٤٠) الأدفوى : امطالع ، ص ٢٧

(١٤١) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ص ١٤٦ .

(١٤٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٥٦ صفى البغدادى : مراصد الاطلاع ج ١ ، ص ٤٥ ــ ذكر ياقوت عن أدفو ، ن بها تمرا « لا يقدر على أكله أحد حتى يدق فى الهاون كالسـكر » ــ معجم البلدان ج ١ ، ص ١٥٦

(١٤٣) ياقوت : المصدر السابق ج ٧ ، ص ١٦١ و ١٦٢

(١٤٤) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١١١ .

(١٤٥) ابن جبير : الرحله ج ٢ ، ص ٦٠

(١٤٦) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ، ص ٩١

(١٤٧) ياقوت : ج ١ ، ص ٢٤٥

(١٤٨) القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٣٩

(١٤٩) ابن جبير : الرحلة ، ج ٢ ، ص ٦٠

(١٥٠) معجم البلدان ج ٩ ، ص ٣٧٠ و ٣٧١

(١٥١) ياقوت : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٦

(١٥٢) صفى البغدادى : مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢٢٩

والأشمونين(١٥٣) ، ومنفلوط(١٥٤) ، وصندفا بالبهنساوية(١٥٥) وكثر النخيل فى الصعيد الأدنى بشـكل ملحوظ فى الفيومية(١٥٦) ، وكان النخيل كغيره من الزراعات قد أضمحل غرسه،وعز وجوده زمن المماليك الجراكسة بسبب تلك الأزمات التى حلت بالبلاد بين حين وآخر (١٥٧) •

واشتهرت بلاد الوجه القبلى بالفواكه ، فكثرت أصناف العنب ، والنبق ، والتين،والخوخ ، والكمثرى ، والبطيخ ببلاد الصعيد الأعلى والفيوم(١٥٨) ، وقد ساعد بحر المنهى على نجاح زراعة هذا النوع من المحاصـيل(١٥٩) •

بلغ الاهتمام بغرس أشجار الغابات فى بلاد الوجـه القبلى فى العصرين الأيوبى والملوكى شأنا عظيما(١٦٠) ، ويرجع ذلك الى اقبال السلاطين على غرسها للحصول على الأخشاب اللازمة لبناء اسطولهـا الحربى ، ومراكبها التجارية(١٦١) ، واشتهرت من بلاد الوجه القبلى

---

(١٥٣) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٦١ •

(١٥٤) الظاهرى : زبده كشف الممالك ، ص ٣٣

(١٥٥) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ١٣ ، ص ٥٨

(١٥٦) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ، ص ٣٩٧

(١٥٧) المقريزى : السلوك جـ ٢/٤ ، ص ٦٧٠

(١٥٨) النابلسى : تاريخ الفيوم وبــلاده ، ص ٢٦ ــ ياقوت : معجم البلداو جـ ٧ صفحة ١٣٩ ــ الأدفوى : الطالع ، صفحات ٢٦ و ٢٨ و ٣٩ ــ ابن دقماق الانتصـــار جـ ٥ ، ص ٢٨ و ٣٠ و ٣١ و ٣٤ ــ القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٩٧ ــ المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٢٧٠ و ٢٧٢

(١٥٩) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٤٧

(١٦٠) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٤٤

(١٦١) ابن مماتى : المصدر نفسه ، ص ٣٤٤ و ٣٤٥

فى انتاج وزراعة هذا النوع البهنسا والأشمونين وسيوط واخميم وقوص(١٦٢)،وعرف عن الصعيد الأوسط وبالذات البهنسا والأشمونين الحرص والعناية بغرس أشجار الغابات(١٦٣) •

والمعروف أن سلاطين بنى أيوب اهتموا بغرس أشجار الغابات فى بلاد الوجه القبلى ، وكان لا يقطع منها الا ما تدعو الحاجة اليه(١٦٤) ، ومن الطبيعى ان تهتم الحكومة الأيوبية بمناطق الغابات بالوجه القبلى ، وفرضت الحراسة عليها لحمايتها(١٦٥)،وفى ذلك يذكر المقريزى(١٦٦) (لها حراس يحمونها حتى يعمل منها مراكب الاسطول) لكن النظام الاقطاعى أضر بهذه المناطق ، فقد امتدت أيدى الولاة بعد سلطنة صلاح الدين الى هذه المناطق ، وقطعوا كثيرا من غاباتها ، وأخرجوا معظمها ، وحسبنا فى ذلك قول ابن مماتى(١٦٧) « ولم تزل الأوامر السلطانية خارجة بحراستها ، والمنع منها ، والرفع عنها » وأن توفر على عمارة الأساطيل المنصورة،وان لا يقطع منها الا ما تدعو الحاجة اليه ، وتوجيه الضرورة ، الا أن المقطعين أوجهوا اليها،والحوا عليها ، وقطعوا أشجارها وطمسوا آثارها ، حتى لم يبق بقوص منها الا ما لا يؤبه به(١٦٨) •

وكان الفساد فى بعض نواحى الجهاز الادارى فى العصر الأيوبى سببا من الأسباب التى أضرت بأماكن الغابات بالوجه القبلى ، فكان

---

(١٦٢) ابن مماتى : المصدر نفسه ، الصفحة

(١٦٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٤٥

(١٦٤) ابن مماتى : المصدر نفسه والصفحة

(١٦٥) ابن مماتى : المصدر نفسه والصفحة

(١٦٦) الخطط ، ج ١ ، ص ١١١

(١٦٧) قوانين الدواوين ، ص ٣٤٥ وما بعدها

(١٦٨) ابن مماتى : المصدر نفسه ، ص ٣٤٥ •

بعض السكان الفريبيين من حراج السـنط يقومون بقطع أخشـابها ، فيأخذون جزءا منه لتعمير السواقى ، وآلات المعاصر،ويحملون الباقى على مراكب الى ساحل مصر ، حيث دأبوا على دفع الرشوة لتسـهيل أعمالهم التهريبية ، وقيامهم ببيع تلك الأخشـاب لحسابهم الخـاص بأموال كثيرة(١٦٩) •

وكانت مناطق الغابات فى الوجه القبـلى موضع رعاية السـلطان صلاح الدين ، فقد اهتم بين حين وآخر بمسحها والكشف عنها(١٧٠) بل كان يستضيف المقطعين من أرض الغابات بالبهنسا ، وترتب عـلى ذلك أن ازداد الانتاج حتى بلغت مساحة المحصول بالبهنسا وحدهـا ثلاثة عشر ألف فدان(١٧١) •

أما عن القرط ــ وهو ثمر شجر السنط ــ فكان لا يتصرف فيـه الا الديوان ، واهتم الأيوبيون منذ عهد السلطان صلاح الدين بجباية الأموال من المراكب الموسقة بالقرط من الصعيد الأوسط وكانت قيمـة الجباية الربع عن القيمة المقدرة لثمن كل مركب(١٧٢) •

وكان المقطعون زمن الأيوبين والمماليك يقطعون الأطراف والهشيم لاستخدامه فى الوقود ، وهو ما يسمى بحطب النار (١٧٣) ، وكان يباع حتى نهاية عصر السلطان صـلاح الدين الأيوبى كل مـائة حمل بأربعة دنانير (١٧٤) ، ومن الطبيعى أن تزداد قيمة الحمل فى السنين اللاحقة •

(١٦٩) حسـانين ربيع : النظم المالية فى مصر زمن الايوبيين ، ص ٩٢ انظر •
(١٧٠) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، صفحات ٣٤٤ و ٣٤٥
(١٧١) ابن مماتى : المصدر نفسه والصفحات
(١٧٢) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ١١١
(١٧٣) المقريزى : الخطط ، ج ١ ص ١١١
(١٧٤) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٤٥ ــ ٣٤٦

كذلك احتكرت سلطنة المماليك خشب السنط (١٧٥) لشدة الحاجة اليه (١٧٦) ، وأبطل ذلك زمن سلاطين الجراكسة ، حيث هلكت الأشجار فى بلاد الوجه القبلى ولم يبق منها شىء البته ، وعبارة المقريزى فى هذا الشأن « ونسى هذا من الديوان » (١٧٧) أكبر دليل على هذا الخراب الذى أصاب مناطق الغابات بالوجه القبلى ، كذلك ابطلت أيضا عـادة الديوان زمن الجراكسة ــ فيما يتعلق بتصريف القرظ وبيعه (١٧٨) •

ومن الأشجار التى اشتهرت بغرسها بلاد الوجه القبلى شجر اللبخ الذى اختصت بغرسه « انصنا » من الصعيد الأوسط (١٧٩) ، وشجر البقوق وكليكح (١٨٠) ، والشلطام ، وظهرت هذه الأنواع زمن المماليك ببلاد الصعيد الأعلى (١٨١ ، اما النارنج فقد انتشرت زراعته فى العصر المملوكى ببلاد « الواح » (١٨٢) ، وكان محصوله عظيما حتى قبل زمن المقريزى ــ ان شجرة واحدة أثمرت أربعة عشر ألف حبة نارنج صفراء فى سنة واحدة (١٨٣) •

---

(١٧٥) السنط ، شجرة تسمى الشوكة المصرية ، وورقها هو القرظ ، وللسنط شوك صلب ، وله ثمر يسمى خروب القرظ مستدير الشكل ومسطح (البغدادى : مختصر تاريخ مصر ، صفحة ٥٢)

(١٧٦) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٠٩ و ١١٠

(١٧٧) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ١١١

(١٧٨) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ١١١

(١٧٩) القزوينى : آثار البلاد ، ص ١١٩

(١٨٠) تشبه ثمر النخيـل ، ويختلف عنه بأنه مغلف بقشرة ، وطعمه حلو مر (نعوم شقير : تاريخ السودان ، ج ١ ، ص ٣١)

(١٨١) الأدفوى : الطالع ، ص ٢٩

(١٨٢) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٣٦

(١٨٣) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٣٦

مما تقدم نرى كيف ان السلاطين وجهوا عنايتهم الى ترقية الزراعة فى بـــلاد الوجه القبلى ، فنمت بذلك ثـــروة هذه البـــلاد ، وازدادت محصولاتها التى تنوعت ، وانتفع بها أهالى البلاد فى أوقات الأزمات ولما طرأت على بلاد الصـــعيد أحداث المحن فى عهد الجراكســـة اختل أمر الزراعة فى هذه البلاد ، مما أدى الى ندرة المحصول وارتفاع الأسعار فى سائر الديار المصرية .

أما طريقة ادارة الأراضى فى العصرين الأيوبى والمملوكى،فيذكر « المقريزى » (١٨٤) انه « منذ كانت أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب الى يومنا هذا ، فان اراضى مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه ، وأجناده » ، وكانت الاقطاعات فى العصر الأيوبى توزع على المقطعين مقابل خدمات مدنية يؤديها المقطع فى اقطاعه ، فضـــلا عن الخدمـــات الحربية التى يلتزم بها (١٨٥) .

وزعت اراضى الصعيد طبقا لنظام الاقطاع الذى ســـاد مصر فى عصر الأيوبيين (١٨٦) ، وبدأ صلاح الدين سياسته فى توزيع الأراضى على ذوويه قبل أن يتولى منصب السلطنة ، فجعل لأخيه شمس الدولة تورانشاه سنة ٥٦٥ هـ اقطاعا اشتمل على قوص واسوان وعيذاب (١٨٧)

---

(١٨٤) الخطط ، جـ ١ ، ص ٩٧

(١٨٥) Rabie (H.M.) : The Size and Value of the Ikta in Egypt, P. 564.

كان نظام الاقطاع الحربى هو السائد فى مصر الايوبيه ، واخذه الايوبيون عن السلاجقه والزنكيين (محمد امين : الاوقاف والحيـــاة الاجتماعية ص ٢٩٩) .

(١٨٦) ابن العماد الحنبلى : شفاء القلوب فى مناقب بنى ايوب ، مخطوط ــ ورقة ١٢ ب

(١٨٧) النويرى : نهاية الأرب ــ مخطوط ــ جـ ٢٦ ، ورقة ١٠٩

كما أضاف اليه فى السنة التالية مدينة بوش ، واعمال الجيزة وسمنود (١٨٨) ، كما اقطع اخاه بورى اقليم الفيوم (١٨٩) ٠

احتاج صلاح الدين سنة ٥٧٧ هـ ١١٨١ م الى اعادة النظر فى التوزيع الاقطاعى العام ، وترتب على ذلك ان انتقلت الاقطاعات فى الوجه القبلى من فرد الى آخر ، ومن مجموعة من المقطعين الى أخرى (١٩٠) وهكذا استولى السلطان صلاح الدين على اقطاعات العربان ، وعوض بها مقطعى الفيوم ، ثم صارت الفيوم كلها قطاعا للسلطان (١٩١) ، وظلت الفيوم على تلك الحال الى أن صارت اقطاعا لابن أخيه تقى الدين عمر بالاضافة الى اقطاعه فى « بوش » و «قوة » من الوجه القبلى (١٩٢) ، ولم يلبث ان انتزعت منه « بوش » ، وعوض عنها بالواحات (١٩٣) ، وجرت عدة تعديلات فى التوزيع الاقطاعى زمن السلطان صلاح الدين ، نذكر منها ذلك التعديل الذى طرأ على البلاد عام ٥٨١ هـ — ١١٨٥ م ، وترتب على هذه التعديلات عدة تغييرات فى اقطاعات الوجه القبلى ، فانتقلت الاقطاعات من أمير الى آخر أو من سلطان الى أمير،وعلىسبيل المثال نذكر اقليم الفيومالذى ظل فى اقطاع الملك المفضل قطب الدين أيام السلطان العادل الأيوبى (١٩٤) الى أن

---

(١٨٨) أبو شامه : الروضتين فى اخبار الدولتين ج ١ ، ص١٩٢ القاهرة سنة ١٨٧١ م

(١٨٩) حسانين ربيع : النظم المالية فى مصر زمن الايوبين ص ٢٧

(١٩٠) المقريزى : للسلوك ج ١ ، ص ٧٣ ، انظر ٠

(١٩١) المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٧٣

(١٩٢) المقريزى : المصدر نفسه والصفحة

(١٩٣) المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٩١ ، حاشية ٣

(١٩٤) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ص ١٥

أنعم به السلطان الكامل عام ٦٢٠ هـ على الأمير فخر الدين عثمان بن قزل استاذ الدار بجميع ما فيه من الحواصل والأقصاب والأبقـار ، والعدد والآلات (١٩٥) ٠

وكان صاحب الاقطاع يستغل الاقطاع لنفسه ما دام ممنوحا له ، سواء كان الاقطاع تابعا للسلطان أو لأبناء البيت الأيوبى أو لأمير من الأمراء فانه يقوم بتحصيل ما ينقله الاقطاع من الأموال للانفاق منها على أمور تتعلق بالاقطاع (١٩٦) ، وكانت هناك ترتيبات خاصـة عند خروج المقطع من اقطاعه ، ودخول المقطع الجديد الى ذلك الاقطـاع ، فيشير ابن ممانى (١٩٧) انه عند انتقال الاقطاع المزروع بقصب سكر من مقطع الى آخر ، فعلى المقطع القديم أن يروى قصبه ، ويخلى الأرض فى مواعيد معينة ، اما اذا لم يرو المقطع القديم الأرض ، وسقاها المقطع الجديد كان المحصول له (١٩٨) ، وللمقطع القصب فى المعصره الديوانية بأبقارها وعددها وآلاتها (١٩٩) ، وعلى المقطع القديم ان لا ينقل معه شيئا من الأتبان ، بل يبقيه للمقطع الجديد ضمانا لتغذية ماشيته (٢٠٠)٠

ومما أدى الى كثرة انتقال الاقطاع من مقطع الى آخر ما جرى عليه

---

(١٩٥) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ١٥

(١٩٦) السيد الباز العرينى : الاقطـاع فى العصور الوسطى ، ص ١٤٤ و ١٤٥

(١٩٧) قوانين الدواوين ، ص ٣٦٦ ٠

(١٩٨) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣١

ويتم ذلك فى حالة نزول الأول عن خدمة الأرض ٠

(١٩٩) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٦٧

(٢٠٠) ابن مماتى : المصدر نفسه ، ص ٣٤٤

العرف الأيوبى من اصدار توقيعات اقطاعية جديدة عند موت السلطان ، وولاية سلطان جديد (٢٠١) •

كما جرى العرف الاقطاعى أن يكون للبلاد المقطعة كتاب يقومون بتسجيل كافة أمور الاقطاع ، ويخبروا بها المقطعين خصوصا الأمور التى تتعلق بالضرائب ، ومقادير ما انتجته الاقطاعات من غلات (٢٠٢) ، وان تعذر وجود كتاب يتولى مهمة الكتابة مشـايخ البـلاد ، وفى هذه الحالة تؤخذ الأيمان الشرعية على المشايخ وقد ظهر ذلك واضـحا فى الأعمال الفيومية من الوجه القبلى ، فيذكر النابلسى(٢٠٣) (وأما من البلاد المقطعة ممن وجد من الكتاب المقطعين ، ومن مشايخ البلاد التى لا كتاب للمقطعين بها أخذت عليهم الأيمان الشرعية ، والقسامات بأنهم صادقين فيما أخبروا به عن ارتفاع البلاد ، وأنهم لم ينقصوا منها شيئا ومن وجوه النقص فى ادارة الضياع أن المقطعين كانوا يذهبون الى اقطاعاتهم للاشراف على جمع المحصول وتشوينه ، والتزم السلاطين بذلك ، فكـان اذا خرج الواحد منهم للحرب عمل حسـابـا لمواعيد الحصاد (٢٠٤) •

وحرص سـلاطين بنى أيوب على أن يكون لأولادهم دون غيرهم الاقطاعات الكبرى فى مصر ، وظهر ذلك فى الوجه القبلى ، اذ أقطـع السلطان العادل ـ عملا بسنة أخيه السلطان صلاح الدين ـ الملك الفائز

---

(٢٠١) النابلسى : تاريخ الفيوم ، ص١٥ انظر ـ حسانين ربيع : النظم المالية ، ص ٣٨ ـ ٤٠

(٢٠٢) النابلسى : المصدر نفسه ، ص ٢٣

(٢٠٣) تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٢٣

(٢٠٤) حسانين ربيع : النظـم المالية فى مصر زمن الايوبيين ، ص ٣٩

ابراهيم الأعمال القوصية (٢٠٥) ، واقطع ولده الملك المفضل قطب الدين الأعمال الفيومية ، وهما أكبر الاقطاعات (٢٠٦) ، وسار السلطان الكامل على نهج أبيه العادل ، فأبقى اقليم الفيوم فى حوزة أخيه الملك المفضل قطب الدين ، وكان نظام الاقطاع الأيوبى قد نضج نضوجا تاما على عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، حيث استقرت أركانه ، فأنعم بالاقطاعات على امراء الشام الذين قدموا مصر مصتحبين الجنود طلبا لنصرته أمام غرمائه من زعماء الشام ، وهكذا أقطع الملك الأمجد ابن الملك الناصر داود — الذى أتى من الكرك — اخميم(٢٠٧) ، بالاضافة الى اقطاع آخر برسم ١٥٠ فارسا (٢٠٨) كذلك أفرد للخوارزمية اقطاعات نظير خدماتهم الحربية ، كما أوصى بزيادة اقطاعات مماليكة البحرية •

على أن الدولة الأيوبية ظلت تحمى الفلاحين من سادتهم الاقطاعيين وتحدد الايجارات والجبايات التى يدفعها الفلاح لسيده الاقطاعى ، لذلك كان الساده الاقطاعيون فى العصر الأيوبى فى نعمة محدودة ، على عكس ما سنرى زمن المماليك من ان الساده الاقطاعيين كانت بيدهم مقاليد الأمور ، فأذاقوا الناس الكثير من ألوان التعسف والجور •

ساد نظام الاقطاع عصر المماليك ، فوزعت أراضى مصر على السلاطين والأمراء والأجناد ، وفى ذلك يذكر القلقشندى (٢٠٩)

---

(٢٠٥) النويرى : نهاية الارب — مخطوط — ج ٢٧ ، ورقة ١٦

(٢٠٦) النويرى : المصدر نفسه والصفحة

(٢٠٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهره ، ج ٦ ، ص ٣٦٢

(٢٠٨) أبو المحاسن : المصدر السابق والصفحة — ربيع : المصدر نفسه ، ص ٣٣

(٢٠٩) صبح الأعشى : ج ٣ ، صفحة ٤٥٤

(واعلم أن بلاد الديار المصرية بالوجهين القبلى والبحرى بجملتها جارية فى الدواوين السلطانية ، واقطاعات الأمراء ، وغيرهم من سائر الجند ، الا النذر اليسير) ، وهكذا اهتم سلاطين المماليك بتقسيم الأرض وقد اشتهر فى عصر المماليك تقسيمـان يسميـان الروكين وهمـا « الروك الحاسمى »(٢١٠) و « الرواك النـاصرى »(٢١١) ، ومن المعـروف أن أراضى مصر قسمت أربعة وعشرين قيراطا،اختص السلطان منها بأربعة قراريط للكلف والرواتب ، واختص الأمراء بعشرة ، والعشرة البـاقية للتوزيع بين الأجناد (٢١٢) .

وقد قسمت أراضى الوجه القبلى طبقا لنظام الاقطاع السائد فى

---

(٢١٠) يعنى بهذا الروك تلك المساحة التى عملت عام ٦٩٧ هـ . زمن السلطان حسام الدين ووزيره تاج الطويل ، وفى هذه المساحة افرد السلطان الاعمال الجيزيه بتمامها وكمالها ونواحى الصفقة الاطفيحية ، ومنفلوط ، وهو والكوم الاحمر ومرح بنى هميم ، وجرجا وسمسطا ، وانفو « أدفو » بأعمال قوص والاسكندرية ودمياط (ابن أياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ص ١٣٧) .

(٢١١) يعنى بهذا الروك المسح السـابع فى سلسلة المسـاحات التى أقيمت فى مصر فى العصور الأسـلامية ، وذكر المقريزى ان هـذا الروك ظل معمولا به حتى عام ٨٠٦ هـ وقد أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٥ هـ بأجراء هذا المسـح حتى يتـم توزيع الاراضى الزراعية على المقطعين والزراع توزيعا عادلا ، خصوصـا بعد ان اتسعت رقعة البلاد الزراعية فى عهده نتيجة لاصلاح طرق الرى والزراعة ، وقد ظهرت بمقتضى هذا الروك بلاد جديدة ، وازداد عدد توابعها زيادة عظيمة (المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٨٨)

(٢١٢) المقريزى : السلوك ، جـ ٣/١ ، ص ٨٤١ و ٨٤٢

سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٢٤٨

عصر المماليك ، انفردت اقطاعات الوجه القبلى بمزايا خاصة اذ احتوت على أكبر الاقطاعات شـأنا ، وأدخلت كثير من أراضيهـا فى الدواوين السلطانية ، ونتناول اقطاعات الوجه القبلى وطريقة ادارة ضياعها زمن المماليك طبقا لنظام التقسيم فى الروك الناصرى الذى ظل معمولا به حتى القرن التاسع الهجرى •

وكان أول هذه الاقطاعات ما هو جار فى ديوان الوزارة ، وأعظمه خطرا ، وأرفعه قدرا جهتان ، احداهما عمل الجيزية (٢١٣) ، وبلغ عدد الأفدنة فى الجيزية ١١٧ ر ٢٣٣ فدان (٢١٤) ، واقتضى العرف الاقطاعى أن يقام عليها الموظفون لادارتها وهم المسمون بالمباشرين (٢١٥) ومنهم الناظر (٢١٦) ، والمستوفى (٢١٧) ، والشهود (٢١٨) ، والصيرفى (٢١٩)

---

(٢١٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٥٦

(٢١٤) ابن الجيعان : التحفه السنيه ، صفحة ١٣٨ الى ١٤٧
عمر طوسون : مالية مصر ، ص ٢٦٦ ، ويصح هذا الرقم اذا كانت مساحة الفدان ٤٢٠٠ مم ، فى حين يصير عدد الافدنة فى الجيزيه ١٣٦ و ١٦٥ اذا كانت مساحة الفدان ٥٩٢ مم •

(٢١٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٥٦

(٢١٦) الناظر : هو المشرف الرسمى على الايراد والمنصرف ، ولديه جميع البيانات الخاصة بالمتحصلات والمصروفات ، والبواقى والفوائض ، والمتأخرات ـ (النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٨ ، ص ٢٩٩)

(٢١٧) يقوم بضبط سير الأعمال اليومية ومراقبة الموظفين،والتنبيه عليهم بجباية الاموال فى مواعيدها (ابن ممـاتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٠١)

(٢١٨) وردت على الآثار للدلاله على انه موظف من المدنيين •
حسن الباشا : الفنون والوظائف ، صفحة ٦١٨

(٢١٩) من وظائف كتاب الأموال (حسن الباشا : المصدر نفسه ، ص ٧٢٣)

وغيرهم ، ويحمل خراج الجيزية الى بيت المال ، وربمـا حمل جزء منه الى الأمراء السلطانية بالفسطاط (٢٢٠) ، ومن المعروف أن اهتمامات الأمراء والسلاطين انصـبت حول زراعة البرسـيم فى الجيزية وذلك لتغطية احتياجات الخيول السلطانية (٢٢١) ٠

واذا حصرنا النواحى التى ذكرها ابن الجيعان فى الجيزية لوجدنا أن معظمها قد اختص بها الديوان السلطـانى فى الروك النـاصرى ، وتحولت أراضى كثيرة منها — زمن الجراكسة — الى ضروب مختلفة ، منها أراضى الأوقاف التى بلغت من حيث العدد ٢٥ ناحية،كما وزعت كثير من هذه الأراضى على الأمراء وأولادهم ، والمقطعين ، فضلا عن الجهات التى خصصت للأرزاق ، والأملاك (٢٢٢) ٠

ويأتى عمل منفلوط فى المرتبة الثـانية بعد الجيزية مما يجرى فى ديوان الوزارة ، والمنفلوطية موظفون وهم المباشرؤن الذين أشرفوا على ادارة الأقطاع (٢٢٣) ، وقد بلغت مسـاحة المنفلوطية فى الروك الناصرى ١٧٣ ر ٣٢ فدان (٢٢٤) ، وكانت غلال المنفلوطية تحمل الى الأمراء السلطانية بالفسطاط ، وربما حملت المبالغ اليسيرة منها الى بيت المال (٢٢٥) ٠

---

(٢٢٠) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٦

(٢٢١) القلقشندى : المصدر نفسه والصفحة ٠

(٢٢٢) ابن الجيعان : التحفه السنيه ، ص ١٣٨ الى ١٤٧

(٢٢٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٦

(٢٢٤) ابن الجيعان : التحفه السنيه ، ص ١٨٤ ، يصـدق ذلك فى حالة اذا كان الفـدان من فئة ٤٢٠٠م أما اذا كان الفـدان من فئـة ٥٩٢٩م فتكون مساحة المنفلوطية ٢٢٫٧٩١ فدان (عمر طوسون ،مالية مصر ص ٢٦٦) ٠

(٢٢٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٦

ولما استحدث السلطان الناصر محمد بن قلاوون الديوان الخاص، للاشراف على شئون السلطان المالية ، ومراقبة الخزانة السلطانية (٢٢٦) أدخلت كثير من الأقطاعات فى الوجه القبلى فى حوزة هذا الديوان ، وكانت فى الجيزية متعددة بحيث لم يخص الديوان الخاص منها سوى جهة واحدة منها ، فى حين اختص هذا الديوان بسبع جهات من الفيومية ، لم يبق منها على عهد الجراكسة سوى اثنتين (٢٢٧) وأما البهنساوية فقد استقر منها زمن الروك الناصرى ثلاث جهات جارية فى الديوان الخاص ، خرج منها جهتان فى عصر الجراكسة (٢٢٨) ، واختص الديوان الخاص بجهة واحدة من أراضى الأشمونيين زمن الروك الناصرى ، وتحولت زمن الجراكسة ، ووزعت على المقطعين ، وجزء منها صار وقفا وآخر رزقا (٢٢٩) ، كما اختص ذلك الديوان — أيضا — بجهة واحدة من أراضى السيوطية فى الروك الناصرى ، وصارت وقفا زمن الجراكسة (٢٣٠)، كذلك اختص ذلك الديوان بجهة واحدة من الأراضى

---

(٢٢٦) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ، ص ٤٥٦

(٢٢٧) ابن الجيعان : التحفه السنيه ، ص ١٥٠ الى ١٥٨ واستقر الباقى فى الفيومية فيما بين الوقوف ، وما وزع على المقطعين ، وما خرب بفعل الغرق على اثر الازمات النيليه (ابن الجيعان : التحفه ، ص ١٥٠ — ١٥٨)

(٢٢٨) ابن الجيعان : التحفه السنية ، ص ١٥٨ — ١٧٣ ، انظر ملاحق الرساله

(٢٢٩) ابن الجيعان : التحفه السنيه ، ص ١٧٣ — ١٨٤ ، انظر ملاحق الرساله

(٢٣٠) ابن الجيعان : التحفه السنيه ، ص ١٨٤ — ١٨٨ ، انظر ملاحق الرساله

الأخميمية فى الروك الناصرى ، وانتقل زمامها الى الديوان المفرد على عهد الجراكسة (٢٣١) •

ولما استحدث الظاهر برقوق الديوان المفرد للاشراف على شئون السلطان المالية (٢٣٢) ، افرد له بلادا ، وأقام عليها الموظفين لادارتها ، وكـان المختص بالاشراف على هذه الاقطاعـات موظف كبير يسـمى الاستادار الكبير (٢٣٣) ، وكانت مهمته الاشراف على النفقات الخاصة بالسلطان ، ممن يصرف على مماليكه من الجامكيات والعليق ، والكسوة ، وغير ذلك (٢٣٤) •

ومن الأراضى التى اختص بها الديوان المفـرد فى الوجه القبلى خمس جهات فى الجيزية ، كانت معظمها زمن المماليك البحرية لأولاد السلاطين (٢٣٥) ، وثلاث جهات فى الأطفيحية كانت فى الروك الناصرى

---

(٢٣١) ابن الجيعان : التحفه السنيه ، ص ١٨٨ ـ ١٩٠ ، انظـر ملاحق الرسـاله

(٢٣٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٥٥ و ٤٥٦
لم يكن الظاهر برقوق هو المخترع لهذا الديوان ، بل حدث زمن الفاطميين ان كان للخليفه ديوان يسـمى الديوان المفـرد (القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ، ص ٤٥٥ و ٤٥٦)

(٢٣٣) يسمى كبير الاستادايه ، وكان يشغل هذه الوظيفة عادة ـ أمير واحد من مقدمى الالوف ، وثلاثة من امراء الطبلخاناه (حسن الباشا : الفنون والوظائف ، جـ ١ ، ص ٥٨)

(٢٣٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٥٥ و ٤٥٦

(٢٣٥) ابن الجيعان : التحفه السـنيه ، ص ١٣٨ ـ ١٤٧ نعنى بزمن المماليك البحرية « الروك الناصرى » ـ انظر ملاحق الرسالة

من نصيب الأمراء (٢٣٦) ، وتسع جهات فى الفيومية كانت معظمها زمن « الروك الناصرى » جـارية فى دواوين الأمراء (٢٣٧) ، كذلك كثرت أراضى الديوان المفرد فى الأشمونيين ، حيث بلغت اثنتى عشرة جهة ، وكانت أيضا — من حقوق الأمراء زمن « الروك الناصرى » (٢٣٨) ، أما « السيوطية » فقد اختص الديوان المفرد بثلاث جهات منها ، وكانت هذه الجهات زمن الناصر محمد بن قلاوون — أى زمن الروك الناصرى — من اختصـــاص الأمراء (٢٧٩) وانتقلت جهة واحدة من توابع الديوان الخاص — زمن الروك الناصرى بالاخميمية الى الديوان المفرد (٢٤٠) زمن الجراكسة ، فى حين زادت أراضى الديوان المفرد — نسبيا — فى القوصية ، فبلغت ست جهات ، انتقلت الى الديوان زمن الجراكسة بعد أن كانت معظمها من اختصاص الأمراء فى الروك الناصرى (٢٤١) •

ولما استحدث الظاهر برقوق سنة ٨٠١ هـ ديوان الأملاك (٢٤٢) ،

---

(٢٣٦) ابن الجيعان : التحفه السنيه ، ص ١٤٧ — ١٥٠ ، انظـر ملاحق الرسالة

(٢٣٧) ابن الجيعان : التحفه ، ص ١٥٩ — ١٧٣ ، اعنى بدواوين الامراء اقطاعات الامراء ، ويقال الاراضى الجارية فى دواوين الامراء

(٢٣٨) ابن الجيعـــــان : التحفه ، ص ١٧٣ — ١٨٤ ، انظـــر ملاحق الرسالة

(٢٣٩) ابن الجيعـــان : التحفـه ، ص ١٨٤ — ١٨٨ ، انظـــر ملاحق الرسالة

(٢٤٠) ابن الجيعـــان : التحفه ، ص ١٨٨ — ١٩٠ ، انظـــر ملاحق الرسالة

(٢٤١) ابن الجيعان : التحفة ، ص ١٩٠ — ١٩٥ •

(٢٤٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٦

المقريزى : السلوك ، ج ٢/٣ ، ص ٨٣٤

وأفرد له بلادا سماها أملاكا ، وأقام لها استادارا ومباشرين (٢٤٣) ، وصـــارت أراضى كثيرة من الوجه القبلى جـــارية فى هذا الديوان ومن الملاحظ ان كثيرا من أراضى الوجه القبلى جمعت فى الروك الناصرى بين الأملاك والأوقاف والأرزاق (٢٤٤) ، ومما يجدر ملاحظته أن ديوان الأملاك صار يعرف باسم ديوان الأملاك والأوقاف الشريفة (٢٤٥) ، ويشرف على أراضى الأملاك والأوقاف السلطانية ، وعين له استادار يتولى النظر فى أوقاف وأملاك السلطان (٢٤٦) ، ويصعب على الباحث حصر جهات الوجه القبلى التى جمعت فى اختصاصها هذين النوعين ، لذا أوردناها فى الملاحق كما جاءت فى كتاب التحفة السنية لابن الجيعان .

كـــذلك انتقلت بعض الأراضى الزراعيـــة فى الوجـــه القبلى زمن الجراكسة الى أوقاف عن طريق السلاطين وامراء ، فأوقف فى الجيزية تسع عشرة جهة ، خصص بعضها لصالح السلاطين وأسرهم والأمراء وأبنائهم ، ومنها ما أوقف على منشـــآت القـــاهرة كالبيمارستانات ، الخنقاوات ، والمدارس ومنها ثمانى جهـــات جمعت بين الوقف والملك

---

(٢٤٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٦
لم تكن مهمة ديوان الاملاك القيـــام بمرتبـــات وكلفة المماليك ، ويختلف فى ذلك عن الديون الخاص الذى استحدثه الســـلطان النـــاصر محمد بن قلاوون كما يختلف عن الديوان المفرد الذى استحدثه السلطان الظاهر برقوق وكان الديوان الاملاك « ناظر » يسمى ناظر ديوان الاملاك ـ القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ، ص ٤٥٦ ـ المقريزى : السلوك ، ج ٣/٢ ، ص ٨٣٤ ـ الظاهرى : زبدة كشف الممالك ، ص ١٠٩)

(٢٤٤) يظهر ذلك من خلال القوائم والفهارس التى أمدنا بها ابن الجيعان فى كتابه التحفه السنيه ، سماء البلاد المصرية .

(٢٤٥) الظاهرى : زبدة كشف الممالك ، ص ١٠٩

(٢٤٦) محمد أمين : الاوقاف والحياه الاجتماعية فى مصر ، ص ١٢٠

والرزق (٢٤٧) ، كما أوقفت فى ذلك العصر أراضى زراعية فى الأطفيحية على مصالح السلاطين وأولادهم وبعض الأمراء (٢٤٨) ، وأما الأراضى الزراعية الموقوفة فى « الفيومية » زمن الجراكسة ، فقد كانت جليلة القدر اذ بلغت ستا وثلاثين ناحية أوقفت معظمها على مصالح السلاطين — على الأخص السلطان الظاهر برقوق ، وبعض الأمراء (٢٤٩) ، والقليل من هذه الأراضى أوقف على منشآت ، القاهرة ومدارس الفيوم (٢٥٠) ، هذا سوى الأراضى التى جمعت بين الأوقاف والأملاك والأرزاق ، وازدادت الأراضى الزراعية الموقوفة فى البهنساوية ، فقد بلغ عددها سبع وأربعون ناحية ، أوقفت معظمها على مصالح الأمراء (٢٥١) ، وأوقف النذر اليسير منها على منشآت القاهرة وغيرها من الأراضى التى جمعت بين الوقف والملك والرزق (٢٥٢) ، أما الأشمونيين فقد أوقفت من أراضيها ثلاث وعشرون ناحية تحول بعضها الى حالة الوقف عن طريق البيع من بيت المال (٢٥٣) ، غير ما أوقف على

---

(٢٤٧) ابن الجيعان : التحفة ، ص ١٣٨ و ١٤٧ .

(٢٤٨) ابن الجيعان : التحفة السنيه ، ص ١٤٧ — ١٥٠ .

(٢٤٩) ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ١٥٠ — ١٥٨ .

(٢٥٠) من ذلك ناحيتان « الروبية » « والقابه » وقد أوقفتا على المدرسة الشافعية بالفيوم (ابن الجيعان ، التحفه ، ص ١٥٠ — ١٥٨)

(٢٥١) ابن الجيعان : التحفة ، ص ١٥٨ — ١٧٣ .

(٢٥٢) ابن الجيعان : المصدر نفسه والصفحات .

(٢٥٣) ابن الجيعان : التحفه ، ص ١٧٣ — ١٨٤ ومن هذه النواحى « أبو قرقاص » وقد أجاز الفقهاء لولى الأمر ببيع ممتلكات بيت المال لمصلحة يراها . (محمد أمين : الاوقاف والحياة الاجتماعية ص ٢٠٠)

منشآت الأمراء ومصالحهم (٢٥٤) ، ومساجد السلاطين (٢٥٥) ، وأما المنفلوطية ، فقد كانت الأراضى الزراعية الموقوفة بها قليلة جدا نظرا لأن معظمها يقع تحت اختصاص الديوان السلطانى ، بينما زادت الأراضى الموقوفة – نسبيا – فى « الآسيوطية » ، فبلغت سبع نواحى ، وأوقفت على مصالح السلاطين والأمراء وأولادهم ، وكانت أكثر هذه الأراضى قد أوقفها السلطان الظاهر برقوق (٢٥٦) ، كما أوقفت ثلاث جهات فى « الأخميمية » منها جهة أوقفها الظاهر جقمق (٨٤٢ – ٨٥٧) ه على الحرمين الشريفين (٢٥٧) ، كذلك تنوعت جهات الوقف « بالقوصية » ، فمنهـا مـا أوقف على الحرمين الشريفين ، وخدام الحجرة النبوية ، والأشراف بالحجاز ، ومنها ما أوقف على مصالح الأمراء ، ومما تجدر ملاحظته ان اراضى الوقف فى القوصية كانت قليلة نسبيا ، فهى لم تتعد خمس جهات (٢٥٨) .

وكان نصيب الأمراء من الاقطاعات فى الوجه القبلى كبيرا ، وكانت اقطاعاتهم فى هذا الاقليم تشغل الجزء الأكبر من الأراضى النفيسة (٢٥٩) وطبقا لتقسيم « الروك الناصرى » كان الأمير يجمع فى قبضته فيما بين

---

(٢٥٤) ابن الجيعان : المصدر نفسه والصفحات ، ومن هذه النواحى « قوادير بنى احمد » التى أوقفت على الجامع والخانقاه من انشـــاء الامير شيخو العمرى بالصليبية الطولونية بالقاهرة .

(٢٥٥) من ذلك « معيصرة بن سرعش » التى أوقفت على الجـــامع الظاهرى بالقاهرة ابن الجيعان : التحفة ص ١٨٣ – ١٨٤

(٢٥٦) أبن الجيعان : التحفه ، ص ١٨٤ – ١٨٨

(٢٥٧) أبن الجيعان : التحفه ، ص ١٨٨ – ١٩٠

(٢٥٨) أبن الجيعان : التحفه ، ص ١٩٠ – ١٩٥ .

(٢٥٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٥٧

جهة وعشر جهات (٢٦٠) ، وكـان الولاه من الأمراء فى أقـاليم الوجه القبلى على قدر كبير من الجور والتعسف فى جمع الأموال .

أما الأجناد من المماليك السلطانية ، وأجناد الحلقة ، فقد أخذوا حقوقهم من الأراضى فى الوجه القبلى حسبما يقتضيه « الروك الناصرى » وقد قلت أنصبتهم من الأراضى زمن الجراكسة ، ويظهر ذلك من خلال مـا أورده ـــ فى هذا المجـال ـــ « ابن دقمـاق » (ت ٨٠٦ هـ) ، وابن الجيعان (ت ٨٨٥ هـ) ، أما العربان ، فقد كانت لهم اقطاعات فى الوجه القبلى ، لكنها قليلة اذا قورنت بمثيلاتها من اقطـاعات الأمراء والأجناد والسلاطين (٢٦١) .

بلغت مساحة الأراضى الزراعية فى الوجه القبلى زمن المـماليك ٢٫٣٠٧٫٩٢٦ (٢٦٢) ، والجدول التالى يوضح لنا مسـاحة كل اقليم بالأفدنة اعتمادا على ما أمدنا به « ابن الجيعان » فى كتـابه « التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية » .

---

(٢٦٠) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٥٧

(٢٦١) كانت لهم جهات « وردان » بالجيزيه « وسـيله وكنورها بالفيوميه و « دير الجوع » المجاور لاقفهس « بالبهنساوية » وكانت اكثر اقطاعاتهم زمن ابن الجيعـان فى الاشمونين حيث البربا الصغير القبلى والبحرى ، وجزيرة سكر « وقنبده » ومنسفيس » وتجمع هذه الجهـات حقـوق العـربان والأوقاف والأملاك ، وبين حقوق العربان بالسـيوطية والاراضى المستجده ، كما كانت لهم زمن الروك الناصرى أراضى جـرجا بالأخميميه ، وأخذت منهم ، وسـارت فى اقطاع الأمير يشبك الدوادار زمن السلطان قايتباى . (ابن الجيعان : التحفه السنيه ، انظر ما ذكر عن القرى والنواحى المشار اليها .)

(٢٦٢) وذلك فى حالة اذا كان مساحة الفدان ٤٢٠٠ م٠م ، (عمر

الأعمال	عدد الأفدنة	المساحة
الجيزية	١١٧ر٢٣٣	٤٢٠٠/مم
الأطفيحية	١٧٦ر٧٦٣	٤٢٠٠/مم
الفيومية	٢١٩ر٣٠٥	٤٢٠٠/مم
البهنساوية	١٤٣ر٥٠٤	٤٢٠٠/مم
الأشمونين	٢١٥ر٢٣٥	٤٢٠٠/مم
المنفلوطية	١٧٣ر٣٢	٤٢٠٠/مم
الأسيوطية	١٨٩ر٧٥٩	٤٢٠٠/مم
الاخميمية	١٧٠ر٢٧٥	٤٢٠٠/مم
القوصية	١٥٦ر٤٨٧	

وقع الفلاحون تحت سيطرة صاحب الأقطاع فى العصر المملوكى اذ كان نظام الأقطاع ذا أثرين سيئين بارزين ، أولاهما ، رغبة الأمراء فى الاسراف ، والمباهاة ، وحب الظهور والامعــان فى الترف والملذات وثانيهما ، فقر أهالى البلاد فقرا أورثها الخمول (٢٦٣) ، ويخضع نظام ادارة الأرض للتدخل السلطانى فقد كان السلطان يرسل مندوبيه لفحص الأرض عند تسليم الأمير لاقطاعه للتأكد من مساحة الأقطاع ، ومعرفة مدى ما يصيبه من ماء الرى ، والوقوف على نوع المعاملة التى يقبلها الفلاحون فى الزراعة ، ويقيدون أسماء الفلاحين ، وبأمر السلطان بعد ذلك بصرف التقاوى من قبله ، واذا نما الزرع أرسل السلطان مندوبيه ليشتركوا مع مندوبى الأمير المقطع فى مسح الأرض مرة أخرى ، والزرع القائم ، وذلك لتقدير قيمة الخراج ، وهكذا حتى وقت الحصاد ، فيأخذ

طوسون : مالية مصر ، ص ٢٤٧ و ٢٦٦)

(٢٦٣) محمود رزق سليم : عصر سـلاطين المماليك ، ونتـاجه العلمى والأدبى ، جـ ٢ ص ٣٠٤ و ٣٠٥

السلطان خراجه وعشوره وتقاويه وفروضه (٢٦٤) ، وقد وجد الأجناد فى التسلط والسطو على الفلاحين مخرجا للتقرب من أمرائهم،مما ساعد على تزايد كلفة الحرث والبذور والحصاد ، (وعظمت شكاية النعمال والولاة ، واشتدت وطأتهم على أهل الفلح) (٢٦٥) •

وكان يتولى النظر فى شئون اقطاع الأمير موظف يسمى « الأستادار » وكان « الأستادار » هو المسئول عما يحيق بالفلاح من وعدوان ، اذ كان يتولى النظر فى أحوال الفلاحين العاملين فى الاقطاع ، وكثيرا ما وقع هذا الظلم زمن الجراكسة ، خصوصا فى حالة ما اذا احتاج السلاطين والحكام الى مزيد من الأموال (٢٦٦) ، ومن هنا تحكم السلطان فى أمر الاقطاعات ، فكان اذا مات أصحابها ترد ليه ، فيهبها لمن يشاء أو لمن يستحق •

وهكذا وزعت أراضى الوجه القبلى على السلاطين وأمرائهم وأجنادهم ولم يبقى للطوائف الأخرى سوى القليل النادر ، وعاش العامه فى كنف هؤلاء فى بؤس وشقاء •

---

(٢٦٤) طرخان : مصر فى عصر الجراكسة ، ص ٢٣٨ و ٢٣٩ انظر

(٢٦٦) السبكى : معيد النعم ، ص ٣٥

(٢٦٥) المقريزى : اغاثة الامة ، ص ٤٥ الى ٤٧

التقدم الصناعى :

ساعد على تقدم الصناعة فى الوجه القبلى أن الصناعات كانت تعتمد فى معظم الأحيان على المواد الخام التى ينتجها هذا الاقليم ، فضلا عن أن معظم الصناع كانوا من المصريين الذين كانوا على علم ودراية بأمور الصنائع ، ومن الصناعات التى ازدهرت وتنوعت فى اقليم الوجه القبلى فى العصرين الأيوبى والمملوكى الصناعات الغذائية .

كانت صناعة السكر من بين الصناعات الغذائية التى بلغت شأنا عظيما فى اقليم الوجه القبلى ، وبلغ من رواج هذه الصناعة فى هذا الاقليم زمن الأيوبيين ان انتقلت أسرار هذه الصناعة الى الحجاز على أيدى خدام الحرمين الشريفين الذين قدموا الى هناك من « نقاده » من الصعيد الأعلى ، وأقاموا المعاصر والمسابك والدواليب (١) وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قد أوقف عليها بعض النواحى بصعيد مصر (٢) ، والمعروف أن الحكومة الأيوبية حتمت على زراع القصب أن يعصروا أقصابهم فى معاصرها المنتشرة بسائر الأقاليم ، وكانت الدولة الأيوبية تجبى مقادير طائلة من الخراج من الأراضى المزروعة قصبا (٣) ، واهتم كبار رجال الدولة زمن المماليك بصناعة السكر فى الوجه القبلى ، وأكثروا من عمل الدواليب والمسابك والأحجار (٤) ، وكان الأمراء يتنافسون فيما بينهم على اجتياز معاصر القصب ومسابك السكر فى الوجه

---

(١) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ج ٥ ص ٣٢

(٢) ابن دقماق : المصدر نفسه والصفحة

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٦٧

(٤) ابن دقما: : الانتصار ، ج ٥ ، ص ٢٤ و ٢٧

المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٦٠

القبلى ، ويحدثنا المقريزى (٥) عن النائب « منكوتمر » حينما أفرد له فى « الروك الحسامى » اقطاع عظيم من جملته « سمهود وكفورهـا » ومدينة « ادفو » ، انه اختص بدواليب هذه البلاد ومعاصرهـا وظل السلاطين والأمراء يهتمون بأماكن صناعة السكر فى الوجه القبلى حتى نهاية عصر مماليك الجراكسة (٦) ٠

ومن البلاد التى اشتهرت بصنـاعة السـكر فى الوجه القبلى ، سمهود (٧) وسيوط (٨) ، وابنود (٩) ، ومنفلوط (١٠) ، وملوى (١١) ، وقوص (١٢) ، والبلينة (١٣) ، وقفط (١٤) ، ومير والقوصية (١٥) ، ودشـنى (١٦) ، وقنـا (١٧) ، ومن الطبيعى أن تظهر بهذه النواحى

---

(٥) السلوك ، جـ ٣/٣ ، ص ٨٤٤

(٦) السخاوى : الضوء اللامع ، جـ ٣ ، ص ٢١٧

(٧) الادقوى : الطالع ، ص ١٨

ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٥ ، ص ٣٢ و ٣٣

(٨) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٥٠ و ٢٥١

(٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٩١

(١٠) ابن بطوطة : الرحله ، جـ ١ ، ص ٣٩

(١١) ابن بطوطه : المصدر نفسه والصفحة — ابن أياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ص ١٦٩

(١٢) الادقوى : الطالع ، ص ١٣

(١٣) الادقوى : الطالع ، ص ٣٩ — المقردزى : الخطط ، جـ ١ ص ٢٠٣

(١٤) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٣٢

(١٥) ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٥ ، ص ٢٢

(١٦) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٦٢

(١٧) ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٥ ، ص ٣٣

الآلات المستخدمة كالمعاصر والمسابك والدواليب (١٨) ، وقد ظلت هذه الآلات باقية بالوجه القبلي طوال العصرين الأيوبي والمملوكي البحري ، وتعطل بعضها زمن الجراكسة .

واهتمت الحكومة الأيوبية بأماكن صناعة السكر بالوجه القبلي ، وازداد الاهتمام بهذه الأماكن زمن المماليك على عهدي بيبرس والناصر محمد بن قلاوون (١٩) ، ويحدثنا ابن بطوطه أنه كان يسكن بمدينة ملوى من الصعيد الأوسط في عهد الناصر محمد بن قلاوون أسرة من أصحاب الأراضي تدعى اسرة « أولاد فضيل » ، وبلغت مساحة الأرض التي زرعوها قصبا ألفا وخمسمائة فدان في العام (٢٠) ، وقد أودع أصحاب هذه الأراضي في مخازنهم اثنين وثلاثين ألف قنطار من محصول عام ٧٣٨ هـ (٢١) ، وتعرضت الأسرات التي اختصت بصناعة

---

(١٨) كثرت معاصر السكر في بلاد الوجه القبلي ، فبلغت عدد ١١ معصرة في ملوى ، ابن بطوطه ، الرحلة ، جـ ١ ، ص ٣٩ — المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٠٣ وبلغت عدد ١٧ في سمهود (المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٠٤) وبلغت عدد ٦ معاصر في قوص فضلا عن اربعين مسبكا (الأدفوي : الطالع ، ص ١٣) وبقي في قفط بعد السبعمائة من الهجرة عدد ٦ معاصر واربعين مسبكا (المقريزي : الخطط جـ ١ ص ٢٣٢) وكثرت دواليب السلاطين وأولادهم في مير والقوصيه ومنها دولاب لأولاد السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد ، كما وجدت دواليب السلاطين في منفلوط (ابن قماق : الانتصار ، جـ ١ ص ٢٢)

(١٩) محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس ، انظر ص ١٤١

(٢٠) ابن بطوطة : الرحلة ، جـ ١ ، ص ٣٩
المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٠٣ و ٢٠٤

(٢١) ابن بطوطة : المصدر السابق والصفحة

السكر الى الجور وظلم الحكام زمن المماليك ، من ذلك ما حدث سـنة **٧٣٧ هـ حين قبض** « النشو » ناظر الخواص الشريف **فى** عهد النـاصر **محمد بن قلاوون** على « ابن فضيل » شيخ مدينة ملوى ، واستولى على خزائنه ، وكان ضمن ما أخذ أربعة عشر ألف قنطار سكر ، ومثلها قطر نبات ، ومثلها عسل اسود (٢٢) ، واشتد الجور على أصحاب الدواليب بالوجه القبلى زمن الجراكسة ، فقد أقدم الأمراء على انزاع الكثير من متحصلات وخزائن البلاد ، ومن ذلك ما حدث عام ٨٢٠ هـ حينما سافر الأمير فخر الدين بن أبى الفرج الى الوجه القبلى واستولى على ألف قنطار من القند بعد أن (فرض على أهل البلاد ملا قاموا به) (٢٣) ، وأقدم هذا الأمير فى جمادى الأول عام ٨٢١ هـ على انتزاع الكثير من الخزائن بالوجه القبلى ما قيمته مائة ألف دينار (٢٤) •

ومن الصناعات التى قامت على السكر ، صناعة الحلوى وازدهرت هذه الصناعة فى الوجه القبلى فى عهد الفاطميين والأيوبيين وكـانت منتجات هذا الاقليم تصدر الى الفسطاط (٢٥) ، وراجت صناعة الحلوى أسواق الصعيد الأوسط زمن المماليك ، ومن بـلاد هذا الاقليم منية ابن خصيب التى اشتهرت أسواقها بصنوف الحلوى والسكر (٢٦) ، وقل انتاج الحلوى والسكر فى أعقاب أحداث المحن التى طرأت على الوجه القبلى زمن السلطان الظاهر برقوق ، ومن اشارات المقريزى فى

---

(٢٢) ابن أياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ص ١٦٩

(٢٣) المقريزى : السلوك ، جـ ١/٤ ، ص ٣٩٦

(٢٤) المقريزى : السلوك ، جـ ١/٤ ، ص ٤٥٠

(٢٥) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٩٩

2) Lane People Picturesque Palestine — Village and Town on the Nile — Vol. IV, PP. 182—183.

ذلك (فلما حدثت المحن ، وغلا السكر لخراب الدواليب التى كانت بالوجه القبلى ، وخراب مطابخ السكر التى كانت بمدينة مصر ٠٠٠٠ وقل عمل الحلوى ومات أكثر صناعها (٢٧) .

ومن الصناعات التى مهر الأقباط فى أدائها بالوجه القبلى صناعة الزيوت ، وهى من الصناعات التى ذاع صيتها فى الصعيد الأوسط والأعلى فى العصرين الأيوبى والمملوكى (٢٨) — خصوصا فى بلاد « صندفا » من البهنساوية « ومينة بن خصيب » من الأشمونيين (٢٩) ، ومما يجدر ذكره أن بلاد الصعيد الأوسط اختصت بزراعة كميات هائلة من النباتات الزيتية فى العصور الوسطى (٣٠) ، ولا تزال هذه البلاد تنتج حتى وقتنا الحاضر كميات وفيرة من الزيوت وتصدر منها الى سائر الديار المصرية .

ومن الصناعات الغذائية التى راجت فى الوجه القبلى صناعة الألبان ومن أسباب ازدهار هذه الصناعة فى الوجه القبلى وفرة المراعى وكثرة الثروات الحيوانية (٣١) ، وكانت بلاد الصعيد الأعلى أعظم بلاد مصر البانا ، حيث انتجت كميات هائلة منها فى العصرين الأيوبى والمملوكى

---

(٢٧) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٩٩

(٢٨) Becker : Egypt — Ency of Islam — Vol. II, P. 18.

(٢٩) نشأت هذه الصناعة فى تلك البلاد منذ القدم ، وتطورت وتنوعت أصنافها منذ القرن الثالث الهجرى ، وبلغت شأنا عظيما حتى قيل ان صناعها اقبلوا على دفع ضرائبهم عيينة من الزيوت (جروهمان : أوراق البردى العربية ج ٥ ، ص ٨٥ ، طراز رقم ٥٠١ و ج ٤ ، ص ١٤٨ و ١٤٩) .

(٣) Becker : Op: Cit. : P. 18.

(٣١) المقردزى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٨٩ و ١٩٠ انظر .

وكان فصل الشتاء فى صعيد مصر « طيب مخصب كثير الألبان » (٣٢) •

وكان الزجاج يصنع — أيضا — ببلاد الوجه القبلى فى العصرين الأيوبى والمملوكى ، وكان أهم مراكزها الفيوم والأشمونيين (٣٣) ، واشتهرت فى الصعيد الأعلى أسرات بأكملها بهذه الصناعة منذ العصر الفاطمى ، ووردت بعض أسماء هذه الاسرات ضمن الكتابات الأثرية التاريخية على شواهد القبور (٣٤) ، وورث أحفاد هذه الاسرات فى العصور اللاحقة اسرار هذه الصناعة ، ومهر هؤلاء الصناع فى عمل الزجاج فى العصر المملوكى ، ويرجع ذلك الى تشجيع حركة البناء فى مصر ، وتشجيع السلاطين والأمراء الذين عمدوا الى الاكثار من بناء المساجد والمدارس ، وقد أقبل صناع الزجاج على تزويد هذه المنشآت بالقناديل ، وألواح الزجاج (٣٥) ، وتعتبر صناعة الزجاج من الصناعات المقلقة للراحة ، وربما تضر بالصحة ، لذلك كان يفرد لمسابكها أطراف المدينة ، وكان يشترط على أصحابها شروط صحية ، مثل سعة الأماكن وتهويتها ، وارتفاع سقفها ، وكان على والى الاقليم أن يشرف على توفير ذلك بمعرفة عرفاء الأسواق ، وأمناء الصناعات تحت مباشرة

---

(٣٢) الادفوى : الطالع السعيد ، ص ١٢

(٣٣) المقردزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٤٢

زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٣١٩ وما بعدها

(٣٤) من ذلك شاهد قبر محفوظ بمتحف الفن الاسلامى من مصر العليا مؤرخ سنة ٤٢٠هـ باسم ابن رزق رزق الله — متحف الفن الاسلامى سجل رقم ٢٨٦/١٥٠٦

W. S.C.: Repertoire Chronologique, T. VI, P. 208.

(٣٥) حسين عليوه : دراسة بعض الصناع والفنانين فى عصر المماليك ، ص ٩٢

المحتسب (٣٦) •

قد حافظ الأيوبيون ، ومن بعدهم المماليك على بعض الصناعات التى اشتهرت بها بلاد الوجه القبلى منذ زمن بعيد ، ومن هذه الصناعات صناعة النسيج ، ومن المعروف أن هذه الصناعة فقدت أهميتها بسبب الأزمات الاقتصادية التى حلت بالبلاد المصرية زمن الخليفة المستنصر الفاطمى(٣٧)،ولم تثبث أن استعادت نشاطها فى العصر الأيوبى،فبرزت دور الصناعة فى الوجه القبلى — بالبهنسا والأشمونين ، وأسيوط ، وأخميم من الصعيد الأوسط ، وقد اختصت هذه البلاد بصناعة المنسوجات الصوفية(٣٨) ، ومما يجدر ذكره أن هذه البلاد كانت مركزا هاما لصناعة الأقمشة الصوفية الرفيعة وقد تعجب الرحالة ، والجغرافيون الذين زاروا مصر قبل قيام الدولة الأيوبية — بقليل — لهذه الكميات الضخمة التى كانت تصدر من أقليم الوجه القبلى الى بلاد فارس(٣٩) •

وكانت لصناعة المنسوجات الكتانية شأن كبير فى الوجه القبلى ويرجع السبب فى ذلك الى وفرة الكتان الذى انتشرت مزارعه فى أنحاء كثيرة من هذا الأقليم ، وقد برزت الأشمونين — زمن المماليك — فى صناعة أجود أنواع المنسوجات الكتانية(٤٠) ، وكانت هذه الأنواع تصدر الى مصر وغيرها(٤١) ، كما اشتهرت الأشمونين فى ذلك العصر

---

(٣٦) حسن الباشا : الفنون والوظائف على الآثار ، ج ٢ ص ٥٦٢

(٣٧) Wief : Kibt — Ency of Islam.

(٣٨) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٣٧

(٣٩) ناصر فرو : سفرنامة ، ص ٧٠ — دائرة المعارف الاسلامية — المجلد الثانى ، ص ١١١

(٤٠) ابن ظهيرة : الفضائل الباهره ، ص ٦١

(٤١) ابن ظهيرة : الفضائل الباهره ، ص ٦١

بصـــناعة نوع معين من الفرش يسمى « فرش القرمز » الذى يشـــبه الارمنى(٤٢) ، أما أسيوط فيذكر عنها « القزوينى » وبها مناسج الدبيقى والثياب اللطيفة التى لا يوجد مثلها فى شىء من البلاد(٤٣) » •

أما المنسوجات القطنية فقد انتشرت فى بلاد « البهنسا » و «ملوى» من الصعيد الأوسط ، وبعض بلاد الصعيد الأعلى ، وقد تنوعت منتجات هذه الصـــناعة ، فعمل من القطن أغطية الرءوس(٤٤) ، والملأت(٤٥) ، وفى أسوان صنعت الفوط والجباب(٤٦) ، وســـاعد على ازدهار ورواج هذه الأنواع كثرة العلماء المتصـــوفين المســـتخدمين لها(٤٧) ، غير أن القطن فى مصر كان لا يكفى الاستهلاك المحلى ، واستوردت مصر كميات هائلة منه منذ زمن بعيد ، واستمرت فى استيراده حتى نهاية العصـــور الوســـطى(٤٨) •

وكان لصناعة المنســـوجات النصيب الأوفر من عناية الســـلاطين المماليك وذلك لأهميتها زمن الحروب ، وقد فطن السلطان الظاهر بيبرس لذلك ، فوجه اهتمامه الى ترقية مراكز هذه الصناعة ، وكان الســـلطان يمد أفراد جيشه بالملابس ، ويخلع على امراء دولته ، وأفراد حاشـــيته

---

(٤٢) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٣٩

(٤٣) القزوينى : آثار البلاد ، ص ١٤٧

(٤٤) Grohman : Tiraz — Ency of Islam — T IV. P. 830.

(٤٥) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٥ ، ص ٧٢

(٤٦) الادفوى : الطالع ، ص ٦٥٩

(٤٧) الادفوى : الطالع ، ص ٦٥٩

(٤٨) سيده الكاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٢٨٢ انظر •

بما يناسب رتبهم من مراكز صناعة المنسوجات فى الوجه القبلى(٤٩) .

ومن الأمور العامة التى يجدر ملاحظتها أن فن صناعة النسيج فى العصرين الأيوبى والملوكى قد اختلف فى تصميمه عما كان عليه قبل زمن الفاطميين ، فقد قضت الظروف السياسية والاقتصادية التى طرأت على البلاد على كثير من الطرز الفنيــة والتطبيقية الفاطمية ، واختفى تماما شريط الطراز(٥٠) الذى كان يحكم على النساج أو المزخرف أن يضمنه للثوب ــ اذ أنه شــارة من شارات الخلافة ــ فى وضع مســتعرض من الكتــابات ، ولجأ الفنــان فى العصرين الأيوبى والملوكى الى رســم عناصره الزخرفية فى أى وضع يشاء ، ولم يعد مضطرا لوضعها فى أشرطة عرضية ، وملأ القطعة النسجية بأنواع الزخارف(٥١) ، وكان من نتيجة الغزو المغولى ، والطرز المتعــددة التى وفدت مع الأيوبيين والمماليك ان اثرى العناصر الزخرفية والموضوعات التصويرية(٥٢) ، واذا قارنا بين القطع النسجية التى صــنعت فى البهنســا وأخيم من الوجــه القبلى ، والتى ترجع الى العصور السابقة للأيوبيين والمــاليك ، وبين القطع المصنوعة بهذه البلاد زمن الأيوبيين والمماليك ، لوجدنا اختــلافا ظاهرا فى التصميم الزخرفى ، اذ احتوت الأولى على شريط الطراز المستعرض يحيط به من أعلى ومن أســفل زخارف متعددة ، فى حين ملأ النســاج

---

(٤٩) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٠

محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس فى مصر ص١٤١

(٥٠) الطراز كلمة معربة عن الفارسية ، وتعنى العبارة الرسمية التى كانت تنقش على العمله أو النسيج ، أو غير ذلك من الادوات ذات الطابع الرسمى وقد جرت العاده أن تتخذ كل دولة لنفســها طــرازا أو عبارة مميزه (حسن الباشا : الفنون والوظائف على الآثار ج ٢ ص٦٨٦)

(٥١و٥٢) سعاد ماهر : النسيج الاسلامى ، ص ٨٨ .

القطع الثانية بالزخارف المركبة والمتعددة ولم يهتم بالأشرطة الكتابية(٥٣)

وكانت صناعة المنسوجات فى الوجه القبلى زمن المماليك من الصناعات التى لها شأن كبير ، ويرجع ذلك الى مصانعها الخاصة التى كانت تسمى « دور الطراز » ، والتى انتجت كميات هائلة من أنواع المنسوجات ، وتصنع دور الطراز الخلع التى يمنحها السلاطين لكبار رجال الدولة ، وموظفيها وتنقش عليها أسماء السلاطين وألقابهم(٥٤) ، ولم تكن هذه الدور فى ذلك الوقت جليلة القدر ، كما كانت الحال فى العصر الفاطمى حينما كان القائم على دور الطراز موظفا من أعلى الموظفين مقاما يسمى « صاحب الطراز » ، وكان له اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين(٥٥) ، وقد أهملت هذه الوظيفة فى العصر المملوكى ولم نسمع عن دور مندوبى صاحب الطراز فى الأقاليم ، ومما لا شك فيه أن كثرة الضرائب المفروضة على المصانع كانت من الأسباب التى افقدت هذه الصناعة أهميتها •

وكانت المصانع الأهلية تقوم فى بلاد الصعيد فى الجهات التى تكثر فيها زراعة الكتان والقطن ، فكثرت المغازل والأنوال فى الصعيد الأوسط(٥٦) ، وكانت تقوم بجانب المصانع الحكومية ، ومما يجدر ذكره أن بلاد الصعيد الأوسط قد ذاعت شهرتها فى هذا المجال على مر العصور الوسطى(٥٧) •

واذا كانت الحكومة الفاطمية تقوم بتعيين التجار لبيع الأقمشة

---

(٥٣) متحف الفن الاسلامى ، سجل رقم ١٥٠١٧

(٥٤) سعيد عاشور : مصر فى عصر المماليك البحرية ، ص ٢٠١

(٥٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٩٤

(٥٦) جروهمان : أوراق البردى العربية ، جـ ٦ ، ص ٧١ و ٧٢

(٥٧) على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ١٧ ، ص ٤

التى تنتجها المصانع الأهلية فى الصعيد ـ كما يظهر من الوثائق(٥٨) ـ فان هذا الاجراء قد زاد واستفحل زمن المماليك الذين وضعوا أيديهم على كافة السلع ، وتدخلوا فى بيعها ، وتصريفها وتخزينها ، وفرض الضرائب عليها .

وكان طبيعيا أن تظهر ببلاد الصعيد الحرف المتنوعة التى ترتبط ارتباطا وثيقا بصناعة النسيج ، ومن هذه الحرف الصباغة ، وقد ظهر الحرفيون الصباغون فى الصعيد الأعلى منذ زمن بعيد كما يشهد على ذلك الوثائق البردية(٥٩) وشواهد القبور(٦٠) ، ويظهر من كتابات هذه الشواهد أن هناك أسرات بأكملها فى الصعيد الأعلى اختصت بهذه الحرفة وقد توارث أحفاد هذه الأسر أسرار هذه الحرفة على مر العصور ، فنرى الصباغين فى الصعيد الأعلى فى العصرين الأيوبى والمملوكى ، والكتابات الأثرية الجنائزية التى عثر عليها بمسجد قنا من الصعيد الأعلى والتى ترجع الى سنة ٦١٢هـ وسنة ٦٥٢هـ تنبىء عن أصالة حرفة الصباغة فى الصعيد الأعلى(٦١) ، هذا وقد أطلق اسم الصباغين على الأحياء التى اعتاد الصباغون أن يتجمعوا فيها(٦٢) ، ومما تجدر ملاحظته أنه كان يراعى عند تخطيط المدن ذات الطابع التجارى أو المهنى أن يكون تخطيطها متمشيا مع اجتماع أفراد كل طائفة أو حرفة فى مكان واحد ،

---

(٥٨) جروهماو : أوراق البردى العربية ، جـ ٦ ، ص ٧٨

(٥٩) W.S.C. Op. Cit, P I, P. 185.

(٦٠) متحف الفن الاسلامى سجل رقم ٣١٥٠/٦ و ٣١٥٠/٥ و ١٥٠٦/٣٥٥ وترجع هذه الشواهد الى القرن الثالث والرابع الهجريين

(٦١) W.S.C. : Op. Cit., TX, P. 104 — T XI, P. 254.

(٦٢) حسن الباشا : الفنون والوظائف ، جـ ٢ ، ص ٧٠٤

فكان يخصص لكل منها سوق خاص ومنشآت خاصة(٦٣) •

كذلك ازدهرت حرفة الخياطة فى الصعيد الأوسط فى العصور الوسطى ، ونظرا لأهمية هذه الحرفة ، فرضت الدولة عليها أحكام الحسبة (٦٤) ، فكان المحتسب يأمر الخياطين بجودة التفصيل وعدم الغش ، وكانت صناعة الخياطة فى العصور الوسطى مختصة بالعمران الحضرى ، ويذكر عنها ابن خلدون أنها « من مذاهب الحضارة وفنونها »(٦٥) •

واشتهرت بعض المدن بالوجه القبلى بالصناعات الشعبية ، فاستغل الصناع والحرفيون موارد البيئة المحلية ، وأقاموا عليها الصناعات البسيطة ، وهى صناعات محلية اختصت بها مدن الصعيد الأعلى دون غيرها من المدن ، ومن الصناعات الشعبية التى عرفها الانسان فى الصعيد الأعلى فى العصور الوسطى ، صناعة الفخار ، ومن الفخار صنع الانسان الأزيار والقدور والأباريق وأوعية الخل العسل ، والنبيذ والسمن وغير ذلك من الأوانى التى لا غنى عنها فى الحياة اليومية ، وبرع أهالى أسوان فى صناعة الفخار الذى استخدم فيه الطين الأسوانى(٦٦) ،

---

(٦٣) حسين عليوه : دراسة البعض الفنانين والصناع بمصر فى عصر المماليك ، ص ٩٠

(٦٤) الشيرزى : نهاية الرتبه فى طلب الحسبه ، ص ٦٧

(٦٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٧٣٤

(٦٦) الحيرى : أسوان فى العصور الوسطى ، ص ٩٠

الطين الاسوانى — عبارة عن طبقات من صخر طينى دقيق يمتاز بارتفاع نسبة سليكات الالومنيوم فيه ، ولذلك كان أصلح من طمى النيل العادى لصناعة الاوانى الخزفية الممتازة ، ويستخدم الطين الاسوانى — ايضا — فى صناعة الطوب الحرارى •

ويؤخذ ذلك الطين من جبل أطلق عليه المؤرخون العرب اسم « جبل الطفل » ، وكان مفضلا فى صناعة كيزان الفقاع(٦٧) ، وهى أوانى استخدمت فى شرب نوع من النبيذ يعمل من الشعير(٦٨) ، وصنع الأهالى فى قنا وأسوان أوانى فخارية تسمى « البرام » ، وكانت هذه الأوانى على هيئة قدور امتازت بجودة الطبخ(٦٩) ، والبرام نوع من الحجر أضاف اليه الصناع كمية من الطين بعد سحقه ، ويجفف فى الشمس والهواء مدة يومين ، ثم يوضع الخليط على نار خفيفة فى حفرة مخصصة لذلك(٧٠) ، واشتهرت الأقصر أيضا بصناعة الفخار ، حيث كان بها « الفخار الأبيض النقى الرفيع الذى ليس يعمل بديار مصر مثله ولا ما يقاربه »(٧١) ، وكان فخار الأقصر ينقل الى سائر الديار المصرية(٧٢) ، وكانت صناعة الفخار بالأقصر زمن المماليك تمتاز بالجودة والجمال،حتى اقترن اسم هذه الصناعة باسم مدينة الأقصر ذاتها،فسمى « الفخار الأقصرى » تعبيرا عن الاختصاص والجودة وانه « ليس فى ديار مصر مثله »(٧٣) ، هذا وقد ازدادت اعداد صناع الطوب فى بلاد الصعيد الأعلى زمن المماليك ــ على الأخص ــ مدينة «ادفو»(٧٤)

---

(٦٧) الادفى : الطالع ، ص ١٧

(٦٨) الادفوى : الطالع ، ص ١٧

(٦٩) الادفوى : الطالع ، ص ٤٣ و ٤٤

(٧٠) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٨ ، ص ٩٧

(٧١) ابن دقماق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ٣١

(٧٢) أبو الفدا : تقويم البلدان ،ص ١١٥ ــ أبن دقماق : الانتصار ج ٥ ، ص ٣١

(٧٣) الادفوى : الطالع السعيد ، ص ٣٩

(٧٤) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٣٧

ومهر النوبيون فى أسوان فى صناعة الحصر والسلال والأطباق من سعف النخيل(٧٥) وشجر الدوم(٧٦) ، وقد اشتهر الصعيد الأعلى بصناعة معينة من الحصير يسمى البرش ، وهو نوع خشن يصنع فقط من سعف النخيل ، ويظهر على هذا النوع من الصناعة خيوط القش الملون التى يراد بها الزخرفة ، وظهر على وجه الحصير فقط دون ظهره(٧٧) ، وقد استمر النوبيون فى انتاج الحصر المتصف بالجودة والمتانة حتى القرن التاسع عشر الميلادى(٧٨) ونسمع هذه الأيام عن دقة وجودة حصير أسوان •

ومن الصناعات الشعبية التى انفردت بها أسوان فى العصر المملوكى صناعة المراوح من سعف النخيل ، ويروى الادفوى أن الفقيه القاضى محمد بن سليمان بر فرج الكندى (ت ٦٨٧هـ) اتخذ من عمل المراوح بيده فى أسوان حرفة يأكل من متحصلها حتى أنه عرف « بالمراوحى »•

كما اختصت أسر كاملة فى أسوان بعمل صناعات الكحل ، ويحدثنا ابن أبى أصيبعة(٧٩) (ت ٦٦٨هـ) أن الطبيب هبة الله صدقه الأسوانى (ت ٦٤٢هـ) كان ماهرا فى صناعة الكحل،وان ابناءه توارثوا منه أسرار هذه الصناعة ونقلوها الى القاهرة(٨٠) •

---

(٧٥) سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر ص ٣٥

(٧٦) استخدم سعف النخيل فى صناعة الحصر قبل الاسلام ، ولايزال يستمل فى مصر حتى وقتنا الحاضر (سعاد ماهر : النسيج الاسلامى ، ص ١٣٥)

(٧٧) سعاد ماهر : النسيج الاسلامى ، ص ١٣٧

(٧٨) الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ، ص ٩١

الادفوى : الطالع ، ص ١٧

(٧٩) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء ، ص ١٢١ •

(٨٠) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء ص ١٢١ وما بعدها •

ومن الصناعات المحلية التى اشتهرت بها قفط فى العصور الوسطى الاسلامية صناعة الصابون واستخدم القفطيون الصابون كسلعة تجارية تدر عليهم دخلا كبيرا(٨١) ، كما اشتهرت أسوان بعمل الخمور، فمهر الأهالى فى عمل النبيذ من الشعير(٨٢) ، وكان صناع النبيذ فى العصر المملوكى يعاملون أحيانا بما ينطوى على الشدة والقسوة ، وذلك حينما يصدر السلاطين أوامرهم بغلق حوانيت الخمور ، ومطالبة أصحابها بالضرائب الباهظة ، وقد تعددت أوامر السلاطين فى هذا الشأن ، منها ما حدث سنة ٦٦٩هـ حينما أمر السلطان الظاهر بيبرس بأراقة الخمور فى سائر البلاد المصرية ، وتوعد من يعصرها بالقتل ، وكان يجبى من وراء ما فرضه على الخمارين فى كل يوم ألف دينار(٨٣).

وهناك من الصناعات الثقيلة ما أعد فى الوجه القبلى من الصناعات المحلية ، ونعنى بها صناعة الحداد ةالتى انفردت بها مدينة « دلاص » من الصعيد الأوسط ــ ويروى أبو صالح الأرمنى(٨٤) (ت ٥٥٠هـ) قبل بيام الدولة الأيوبية بقليل أن صناعة الحدادة كانت رائجة بهذه المدينة وأن الصناع صنعوا منها « اللجم » ، وبلغ من رواج هذه الصناعة أنه كان بدلاص ــ زمن أبى صالح الأرمنى ثلثمائة حداد يصنعون اللجم(٨٥) ، واختصت دلاص بهذه الصناعة ، وانفردت بها عن سائر البلاد فى مصر حتى اقترن اسم هذه الصناعة باسمها ، فسميت « باللجم

---

4) Becker : Egypt — Ency of Islam.

(٨٢) الادفوى : الطالع ، ص ٣٣

(٨٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص ١٥٤

(٨٤) كنائس وأديرة مصر . Fol 97/a

اللجم : جمع لجام وهو ما يربط به الخيل

(٨٥) أبو صالح الأرمنى : المصدر نفسه والصفحة

الدلاصية »(٨٦) ، ومما يذكر أن مصر لم تكن مركزا هاما لصناعة الحديد في العصور الوسطى لذا استوردت كميات من حديد أوربا(٨٧) ٠

والمعروف أن بلاد الوجه القبلي كانت أكبر بلاد مصر استغلالا لاستخراج الأحجار من الجبال ، فكان الناس في أنحاء كثيرة ممن يسكنون الجانب الشرقي من أراضي الوجه القبلي يقومون باستخراج الأحجار من الجبال التي تجاور مساكنهم ، فاستخرج أهالي أسوان الأحجار « الصوان »(٨٨) ، واستخرجوا في قوص أحجار الرخام الملون من الجبال الشرقية(٨٩) ، واستخرجوا الأحجار في الصعيد الأوسط من جبل الطيلسون الشرقي(٩٠) ، ويعرف بجبل الطير(٩١) ، أو جبل الشيخ سعيد(٩٨) ، وفي الصعيد ادنى استخرجوا الأحجار الجيزية من محاجرا « طرا »(٩٣) ، والجبال الشرقية بالفيوم(٩٤) ، وقد اهتم سلاطين المماليك بهذه الأماكن الجبلية لما لها من أهمية في امداد مصر

---

(٨٦) الادريسي : صفة المغرب ، ص ٥٠

(٨٧) سعيد عاشور : مصر في عصر المماليك البحرية ، ص ٢٠٥

(٨٨) الادفوي : الطالع ، ص ٣٢

(٨٩) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٣ ص ٣٠٦ — المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٩٨

(٩٠) القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٣١٠

(٩١) القلقشندي : المصدر السابق والصفحة

(٩٢) علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ ١ ، ص ٤٣
يجاور جبل الشيخ سعيد تل بني عمران قبالة « ديرمواس » و « ملوى » من الصعيد الاوسط ٠

(٩٣) محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، جـ ٣ ، ص ١٥ و ١٦

(٩٤) المقريزي : السلوك ، جـ ٣/٢ ، ص ٦١٧

بالمواد اللازمة ، فأولى السلطان الظاهر برقوق اهتماما بالغا بالجبال الشرقية بالفيوم ، فعمرها واهتم بين حين وآخر بالكشف عنها(٩٥) .

وكانت بلاد الوجه القبلى أعمر الديار المصرية بالمعادن النفيسة فكثرت مناجم الذهب فى الصحراء الشرقية منذ القرون الأولى للهجرة وكانت القبائل العربية تفد الى أسوان منذ ذلك الوقت بأعداد هائلة طلبا للذهب لقرب مناجمه بالعلاقى ، وكان معدن الذهب الذى يتم استخراجه من مناجم الصحراء الشرقية يكفى لتزويد دور سك النقود حتى العصر الفاطمى ، أما فى عصر الأيوبيين فقد خف الذهب لانهاك مناجمه وترتب على ذلك أن قلت دور السك حتى صارت اثنين بعد أن كانت خمسة(٩٦) ، وظل جبل العلاقى يمد البلاد بالذهب حتى عصر المماليك بكميات قليلة بحيث صار من العسير استخراجه نظرا للتكاليف الباهظة التى تنفق فى هذا السبيل(٩٧)،وهكذا يذكر أبو الفدا (وبجبلها ــ يعنى العلاقى ــ معدن الذهب يتحصل منه بقدر ما ينفق فى استخراجه)(٩٨) .

ويوجد الشب بالصحراء الغربية من الوجه القبلى ، فيكثر بها فى أسوان(٩٩) ، وفى الواحات ، حيث كانت صحراؤها للتى تقابل مدينة ادفو أكبر بلاد مصر فى استخراج معدن الشب زمن الأيوبيين ، وكان يحمل منها الى القاهرة فى كل عام أيام السلطان الملك الكامل بن العادل أبى بكر والسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ألف قنطار شب

---

(٩٥) المقريزى : السلوك ، ج ٢/٣ ، ص ٦١٧ و ٩٤٦

(٩٦) Darrg : L'Egypte Sous le règne de Barsbay, PP. 91—92.

(٩٧) ابو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٢١

(٩٨) أبو الفدا : المصدر السابق والصفحة

(٩٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٨٨

أبيض(١٠٠)،وكانت تنقل كميات وغيرة من الشب من صحراء صعيد مصر الى ساحل قوص ثم الى ساحل اخميم ثم الى البهنسا،حيث يتم تصديره الى الاسكندرية(١٠١) ويتولى بيعه هناك المتجر السلطانى ، وبلغ ما ابتيع منه أثناء اشراف « ابن مماتى » على ذلك المتجر عام ٥٨٥هـ اثنى عشر ألف قنطار للتجار البيزنطيين وغيرهم(١٠٢) ، كما بيع منه فى مصر ــ أحيانا ــ ثمانون قنطارا(١٠٣) بسعر سبعة دنانير ونصف لكل قنطار لصناعات الصباغين(١٠٤) ، وكانت عادة الديوان الانفاق فى تحصيل القنطار منه بالليثى وهو ما يعادل ثلاثين درهما(١٠٥) ، ويشرف الديوان على هذا المعدن من حيث استخراجه وبيعه ، ومن يخالف ذلك نكل به(١٠٦) ، وقد أبقى سلاطين المماليك على هذا اجراء الى أن أبطل العمل به زمن المقريزى(١٠٧) ، والمعروف أن سلاطين المماليك ــ جميعا ــ قد احتكروا المعادن المستخرجة من أراضى مصر لشدة طلب الأوربيين عليها ، فباعوها ، بأضعاف أثمانها(١٠٨) ، وكان يتولى استخراج هذه المعادن مباشرون وأمناء ، وعليهم جمع ما يستخرج منها وحمله الى الخزائن المصرية •

---

(١٠٠) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٣٦

(١٠١) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٢٨

(١٠٢) ابن مماتى : المصدر نفسه والصفحة

(١٠٣) ابن مماتى : المصدر نفسه ، ص ٣٢٨ و ٣٢٩

(١٠٤) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٠٩

(١٠٥) المقريزى : المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ١٠٩

(١٠٦) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٢٩ ــ المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٠٩ و ١١٠

(١٠٧) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٠٩ و ١١٠

(١٠٨) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٥٩

وانتشرت مناجم الزمرد فى بلاد البجه(١٠٩) ، وهى مناطق متاخمة لأعالى الوجه القبلى (١١٠) ، وقد عرف المصريون منـــاجم الزمرد بهذه المناطق منذ زمن بعيد(١١١) ، وظلوا يستخرجونه حتى زمن الأيوبيين والمماليك ، الى أن أبطل ذلك أيام السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون(١١٢) .

كذلك استخرج المصريون « النفط » من الصعيد الأعلى بالقرب من ساحل البحر الأحمر جهة الشرق من « ادفو »(١١٣) ، وكان يحمل من « ادفو » زمن المماليك الى خزائن السلاح السلطانية بمعرفةالعرب(١١٤).

---

(١٠٩) القزوينى : اثار البلاد ، ص ١٨ ـ القلقشندى : صـــبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٠٩ ـ المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٩٧

(١١٠) انتشرت هذه المناجم بالصحراء الشرقية فى مرتفعات البحر الاحمر على حدود مصر والنوبه ، وتوجد المناجم فى مقابر بعيدة مظلمة بالصحراء ، ويسلك اليها المعدنيون عدة طرق للوصول اليها ومنذ البدء فى العمل يحفر المعدنيون الارض بالمعاول ويستبعدون الحجارة والقشايم التى على السطح وفى العمق ، وقد حدد القلقشندى مكان منــاجم الزمرد وقال انها تجد فى جبل يبعد عن مدينة قوص بثمـــانية مراحل ، ومن اصناف الزمرد الذبابى والريحانى والسلقى والصـــابونى ، وافضـلهم الزبانى (انظر البيروزى : الجماهة فى معرفة الجواهر ، صفحة ٣٦٢ ، المقريزى الخطط ، جـ ١ ، ص ١٩٤ ـ القلقشندى : صـــبح الاعشى . جـ ٣ ، صفحة ٢٨٦

(١١١) Hyed : Histoire de Commerce, TII, P. 641.

(١١٢) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٣٣

(١١٣) الادفوى : الطالع ، ص ٤٣ و ٤٤

(١١٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٢٨٨ .

كما استخرج معدن اللازورد جنوبى الواحات(١١٥) ، وقد أبطل استخراجه زمن الجراكسة « لانقطاع العمارة هناك »(١١٦) .

وصفوة القول أن الصناعة فى بلاد الوجه القبلى كان لها النصيب الأوفر من عناية الأيوبيين والمماليك ، فقد وجهوا اهتمامهم الى ترقية مراكز الصناعة فى هذه البلاد ، كما أنهم عملوا على تنمية موارد الثروة فعنوا باستخراج المعادن ، وخصصوا لها المباشرون والأمناء ، فعم الرخاء وامتلأت خزائنهم بالمال ، كذلك تتجلى لنا رغبة صناع الصعيد فى الابداع والتخصص فيما أقاموه من صناعات محلية ، وقد انتشرت هذه الصناعات فى سائر البلاد وأقبل عليها الناس .

---

(١١٥) القلقشندى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣١١

(١١٦) القلقشندى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣١١

النشـــاط التجارى

التجـــارة الداخلية :

كانت التجارة الداخلية فى بلاد الوجـــه القبلى مركزها الأسواق؛ حيث تعـــددت وكثرت فى البلاد الواقعة على النيل ، وترعة وخلجانة ، وقام النيل بدور هائل فى تسويق تجارة البلاد بالوجه القبلى ، فالضرورة تحتم عبور النيل للانتقال من ضفة الى أخرى ، وترتب على حركة العبور والمرور هذه ان كثرت حركة القـــدوم على الأســـواق الواقعة فى المدن النيلية ، وأكثر الأسواق شهرة ورواجا فى العصرين الأيوبى والمملوكى أسواق « الفيوم »(١) ، « منيه بن خصيب »(٢) ، « ومير والقوصية»(٣) ، « أبى تيج »(٤) ، « وسيوط »(٥) ، « وأخميم »(٦) ، و «سوهاى»(٧) و « قنا »(٨) ، كذلك كثرت الأسواق فى البلاد الواقعة على رأس الطرق الصحراوية الواحات والبهنسا(٩) ، أما الأســـواق التى انتشرت بالمدن

---

(١) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٢١ و ٢٢ و ٢٦

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ج ٢ ، ص ٥٩ ـ أبو الفـدا : تقـويم البلدان ، ص ١١٥

ابن دقماق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ٢٤ .

(٣) ابن دقماق : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٢

(٤) ابن جبير : الرحلة ص ٥٨ ـ ابن دقماق : المصـدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٤

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢١٣

(٦) ابن دقماق : المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٢٥ و ٢٦

(٧) ابن دقماق : المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣٧

(٨) ابن بطوطة : الرحلة ، ج ١ ، ص ٤١

(٩) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١١١

الواقعة على رأس الطرق المؤدية الى العالم الخالرجى « كأسوان » ، و « قفط » ، و « قوص » ، فقد كانت جليلة القــدر ، ذلك أنها اتسمت بالسعة والضخامة ، فماجت أســواقها بالتجــار الذين ترددوا عليها من كافة البلاد الاسلامية لشراء سلع الشرق الأقصى ، وأواسط أفريقيا ، ومما يجــدر ذكره أن المؤرخين والجغــرافيين الذين زاروا مصر زمن الأيوبيين والمماليك ذكروا هذه المدن فى كتاباتهم وأثنوا على تجارتهــا الداخلية ، فعلى سبيل المثال يصف ابن جبير(١٠) مدينــة قوص بقوله « مدينة حفيلة الأسواق ، متسعة المرافق ، كثيرة الخلق » ، كما قال عنها ياقوت(١١) ، « قوص ، هو كبير واســع فيه منــازل التجــار ، وأرباب الأموال » ، ويذكر عن « قفط »(١٢) (بها أسواق ، وأهلها أصحاب ثروة) ويصف أسوان فيذكر أنها (مدينة كبيرة للتجارة)(١٣) •

اشــتهرت الأســواق فى بلاد الوجه القبلى بحوانيتهــا المكتظة بالبضائع ، واختصت أنواع معينة من السلع بسوق خاص ، وكان أشــهر هذه لأسواق بالفيوم ، فاشتهر بها سوق القطانين الذى اختص ببيــع القطن(١٤) وسوق البزازين الذى اختص ببيع الأقمشة(١٥) ، وسوق الشماعين الذى اختص ببيع الشمع(١٦) وسوق العطاين الذى اختص

---

(١٠) الرحلة : جـ ٢ ، ص ٦٥

(١١) معجم البلدان ، جـ ٨ ، ص ١٨٨ ـ صفى البغدادى : مراصد الاطلاع ، جـ ٣ ، ص ٣٥٨

(١٢) معجم البلدان : جـ ٧ ، ص ١٣٩

(١٣) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٤٨

(١٤) النابلسى : تاريخ الفيوم ، ص ٢٨

(١٥) النابلسى : المصدر نفسه والصفحة

(١٦) النابلسى : المصدر نفسه والصفحة

ببيع العطور(١٧) ، ومن محاسن هذا النظام أن التاجر كان لا يستطيع أن يشذ عن جيرانه ويرفع سعر بضاعته لأن منافسيه كثيرون ، وعلى مقربة منه ، كما أن المشترى يستطيع اذا لم يعجبه نوع السلعة ـ أن ينتقل من تاجر الى آخر دون أن يتحمل أدنى مشقة(١٨) ، اما عيوب هذا النظام ، فهو أن الفرد اذا أراد شراء عدة أصناف متباينة ، فانه يضطر الى أن يقطع المدينة كلها طولا وعرضا أكثر من مرة لأنه لن يجد فى السوق الواحدة سوى صنف واحد من البضاعة(١٩)، و من المؤرخين الذين شاهدوا حركة هذه الأسواق فى الفيوم النابلسى(٢٠) ، ويصف كثرة الأسواق فى الفيوم بقوله(٢١) (ومدينة الفيوم،وهى ذات شقين يمر بينهما بحر الفيوم ، وكل شق من هذين الشقين فيه الأسواق متصلة على التسقيف الذى على البحر) .

أما الصعيد الأوسط ، فقد كانت أسواق مدنه النبيلة فى « منيه بنى خصيب »،و«أخميم» تقام فى العصور الوسطى الاسلامية فى أرض فضاء خارج المدينة ، وكانت هذه الأسواق زاخرة بالحوانيت المليئة

---

(١٧) النابلسى : المصدر نفسه ، ص ٢٦

(١٨) سعيد عاشور : مصر فى عصر المماليك البحرية ، ص ٢١٣ ـ العصر المماليكى ص ٢٩٦

(١٩) سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ص ٨٦

(٢٠) هو فخر الدين عثمان (ت ٦٦٠ هـ ـ ١٢٦١م) وكان أعظم الموظفين الماليين فى عصره ، واستدعاه الملك الكامل عام ٦٣٠هـ من اجل اعادة النظر فى الجهاز الادارى بعد أن مضى عليه ما يزيد عن أربعين سنة منذ ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

بالسلع والبضائع المحلية ، مثل الجبن واللحوم والقصب والنسيج(٢٢) وتصف «اميليا ادوارد» فى كتابها المصور « الف ميل فى أعالى النيل»(٢٣) حركة البيع والشراء فى منية بنى خصيب ، تشـير الى(٢٤) « ان مئات الباعة كانت تجلس خلف سـلال الفاكهة ، والخضروات ، كما كان يبيع البعض القصب والشعير وتتجول النسوة هنا وهناك بالدواجن •

وازدهرت تجارة الحيوانات فى الجه لقبلى ، كما راجت أسـواق الحرير والكتان(٢٥) ، وكثيرا ما كانت تقـام الأسواق فى المناسـبات والأعيـاد التى يحتفـل بها الأهالى فى بلاد الوجـه القبـلى ، وذكـر المقريزى(٢٦) ، ان كنيسة الحكيميين بناحية « منهرى » من الصـعيد الأوسط يقام لها سوق كبير فى عيدها الذى يحتفل به الأقباط فى بشنس•

وكانت حركة البيع والشراء فى الأسواق شبه دائمة ، وظلت عامرة وكان يقام بمدن الوجه القبلى فى يوم معين من أيام الأسبوع أسـواق تعقد فيها الصفقات التجارية ، وكانت هناك حوانيت للتجـار المقيمين بصفة دائمة ، وتميزت هذ هالحوانيت بصغر حجمها(٢٧) •

وكان نظام السمسرة منتشرا فى أسواق مدن الوجه القبلى ، ويشهد على ذلك الوثائق البردية التى ترجع الى القرن السادس الهجرى (٢٨)، واستمر هذا النظام معمولا به حتى أبطل فى عصر السلطان الناصر محمد

---

(٢٢) Lane People: Picturesque Palastine —twon and Village on the Nile, PP. 181 — 182.

(٢٣) Lane People : Ibid, PP. 181 — 182.

(٢٤) Lane People : Ibid, PP. 181 — 182.

(٢٥) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٨ ، ص ٨٦

(٢٦) الخطط ج ٢ ص ٥١٦ •

(٢٧) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ٨٦ ، ٨٧ •

(٢٨) جروهمان : أوراق البردى العربية ج ٦ ص ٤٢ •

ابن قلاوون (٢٩) ، كما انتشر ما يمكن أن نسميه بنظام الاتجار الشخصي وهو نوع من « الربا » أظهر نظام الحيل في المعاملات ، واشتهر به كثير من أهالي الصعيد زمن الأدفوي ، نذكر منهم عبد الرحيم القوصي (ت ٧١٨ هـ) الذي قيل عنه أنه (باع هرة بجمل) (٣٠) . وكانت الأسواق في الوجـــه القبلي طيلة العصرين الأيوبي والمملوكي تخضـــع لاشراف المحتسب الذي كان له أعوان يجوبون هذه الأسواق ليراقبوا عملية البيع والشراء ، ويمنع التعامل بالربا (٣١) واشتد هذا التدخل زمن الجراكسة حين كان المحتسب يتدخل في الأسواق لفرض الضريبة المعروفة باســـم « المشاهرة أو المجامعة »(٣٢) ، وهذه ضريبة غير ثابتة ، فأحيانا تفرض على الأسواق ، وأحيانا تلغى وفي حالة فرضها يترك المحتسب ومعاونوه في الأقاليم البيع حرا ، فيتغالى التجار في الأسواق بحجة تغطية ما عليهم من هذه الضريبة (٣٣) ، وقد بلغت هذه الضريبة ألف دينار في الشهر زمن السلطان « قايتباي» (٣٤) ، ولما تظلم منها التجار ألغاها السلطـــان ، لكنها أعيدت زمن السلطان الغوري ، وزادت حصيلتها حتى بلغت ٢٧٠٠ دينار (٣٥) .

---

(٢٩) المقريزي : الخطط جـ ٢ ص ٨٨ .

(٣٠) الادفوي : الطالع ص : ٧٠٩ .

يذكر الأدفوي انه « كان يبيع السجادة بالآلاف الكثيرة ، ويشتريها بما يعطيه في المعاملات التي قررت قبل المصادرة » .

(٣١) الأدفوي : الطالع ص ٧٠٩ .

(٣٢) هي ضريبة غير ثابتة ، وكانت تفرض على التجار بنسب معينة طبقا لحجم المتاجر المعروضة في السوق .

(٣٣) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٢ ص ٩٣ .

(٣٤) ابن اياس : المصدر نفسه والصفحة .

ابراهيم طرخان : مصر في عصر الجراكسة ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٣٥) ابراهيم طرخان : المصدر السابق والصفحة .

أما الأسعار فقد كانت ثابتة زمن المماليك فى معظم الأحيان ، وتراوحت فى الفترة التى عاصرها المقر الشهابى بن فضل الله العمرى (ت ٧٤٢ هـ) ، الى الفترة التى عاصرها القلقشندى (ت ٨٢١ هـ) بين خمسة عشر درهما لسعر أردب القمح ، وعشرة دراهم لأردب الشعير ، وبقية الحبوب على هذا المنوال (٣٦) ، وقد زاد الأرز عن سعر القمح ، ولم ينقص سعر اللحوم عن نصف درهم ، وفى الغالب أكثر من ذلك (٣٧) وتطورت أسعار الدجاج من درهم الى درهمين الى ثلاثة ، فى حين بلغ رطل السكر درهم ونصف، (٣٨) ، وفى زمن الجراكسة قلت الأسعار ، وتزايدت بين حين وآخر ، وذلك تبعا لجور الولاة وكثرة الضرائب المفروضة ، واحداث المجاعات التى اكتسحت البلاد فى الوجه القبلى (٣٩) فضلا عن رغبة السلاطين نحو احتكار السلع والمنتجات (٤٠) ، لكن الوضع فى الفيوم والصعيد الأدنى يختلف كثيرا فى ذلك عن أعالى الصعيد ، فقد ظلت هذه البلاد عامرة بالسلع ، وانتشرت بها « شتى أنواع المتاجر » وكان البزازون والتجار حتى زمن الجراكسة مشهورين بالصدق وحسن المعاملة (٤١) •

وصفوة القول أن حركة التجارة الداخلية نشطت بصعيد مصر فى المدن النيلية والمدن الواقعة على رأس الطرق المؤدية الى العالم الخارجى فأصبحت أسواق هذه البلاد تموج بكبار لتجار كما كانت الحوانيت تضيق بالباعة فى بعض الأحيان •

---

(٣٦) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ •

(٣٧) القلقشندى : المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ •

(٣٨) القلقشندى المصدر نفسه والصفحات •

(٣٩) القلقشندى : المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٤٨ •

(٤٠) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١١٠ •

(٤١) السخاوى : الضوء اللامع ج ٤ ص ٣١٥ •

العلاقات التجارية بين الوجه القبلي والعاصمة :

وكان من اثر رواج حركة التجارة الداخلية أن نشطت ـ أيضا ـ حركة التبادل التجارى بين بلاد الوجه القبلي والعاصمة ، ولا شك أن المواصلات قامت بدور هام فى تسهيل حركة التجارة فى داخل البلاد فالنيل وفروعه أيسر وسيلة لنقل البضائع ، فتسير المراكب الصغيرة والكبيرة فى مجراه حاملة المنتجات الزراعية وغيرها من أسوان الى الفسطاط والقاهرة(١) ، ومنها الى الموانى الواقعة على الساحل الغربى ، وكانت الرحلة بين العاصمة وقوص ذهابا وايابا تستغرق مدة تتباين من ثمانية أيام الى خمسة عشر يوما (٢) ، كماكانت الترع والخلجان التى تتفرع من النيل تربط بين بلاد الوجه القبلي فى الصعيد الأوسط والأدنى وبين العاصمة ، وربطت بين العاصمة (٣) وبلاد الوجه القبلي طرق برية تبدأ من قلعة الجبل الى قوص ، وتمر الجيزة ، ودهروط ، ومنية بن خصيب والأشمونين ، ومنفلوط ، وأسيوط ، وطما والمراغة وجرجا ، والبلينة ، والكوم الأحمر ، ودندرة ، وقوص وأسوان (٤) ، وكانت هذه الطرق

---

(١) فييت : المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى ص ٣٤ ، ٣٥

2) Hyed : His, De Commerce, T II, P. 60.

(٣) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ص ٦ .

واذا كانت الطرق قد يسرت سبيل الاتصال التجارى بين مدينة واخرى فان أى خلل يقع على هذه الطرق يعقبه خلل بالمدن الواقعة عليها، ولعل أكبر دليل على ذلك ما حدث بالصعيد الأوسط حينما اختل أمر خليج المنهى فى نهاية العصور الوسطى ، حيث تغير مجرى النيل،وانتقلت مراكز الحواضر التجارية من الجانب الغربى فى الأشمونين الى « منيه بنى خصيب » وملوى ، وهما مدينتان واقعتان على النيل (دائرة المعارف الاسلامية ص ١١١) .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١٤ ص ٣٧٣ .

تسلك نفس خطط البريد(٥) ، وثمة طريق برى آخر كان يربط بين بلاد الواحات والصعيد الأوسط وبينهما وبين العاصمة (٦) ، وكانت هذه الطرق تعود بالفائدة على حياة البلاد الاقتصادية (٧) ٠

ومما لا شك فيه أن التبادل التجارى قد ازداد بين بلاد الوجه القبلى والعاصمة بفضل هذه الطرق التى سهلت على التجار نقل بضائعهم ، فكان التاجر يخرج من القاهرة قاصدا الصعيد الأوسط ليشترى المحصول من الغلال قبل نضجه بسعر رخيص ، ويستعين التجار فى ذلك بالوسطاء ، وينقلون السلع الى المدن ، ويدلنا على ذلك الوثائق البردية التى ترجع الى القرن السادس الهجرى (٨) ، ويذكر ابن جبير (٩) ان التجار كانوا يبحرون فى المراكب من القاهرة الى منفلوط لاستجلاب القمح المعروض فى أسواقها ، وكان قمح الصعيد ينقل — أيضا — الى العاصمة زمن توقف الفيضان ، وفى تلك الحال يلجأ سلاطين المماليك الى شراء قمح الصعيد لتوفيره للناس ، ومما يذكر أنه وردت — زمن السلطان المؤيد شيخ (٨١٥ هـ — ٨٢٤ هـ) — عدة مراكب من الوجه القبلى الى القاهرة تحمل نحو ألفى أردب قمح (١٠) ، واعتاد تجار الصعيد على تخزين القمح وعدم بيعه لأهالى البلاد طلبا لزيادة سعره أيام المحن والشدائد ، ودليلنا فى ذلك ما أمدنا به المقريزى فى

---

(٥) Hyed : His De Commerce, TII, P. 60.

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ج ١ ص ١٥٥ — ابن دقماق : الانتصار ج ٥ ص ١١ ٠

(٧) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ١٤٦ ٠

(٨) جروهمان : أوراق البردى العربية ج ٦ ص ٢٩ ٠

(٩) الرحلة ج ١ ص ٥٩ ٠

(١٠) المقريزى : السلوك ج ٤/١ ص ٣٤٣ ٠

حوادث سنة ٨١٨ هـ من أن الحلاوى الذى ولى حسبة مصر (١١) ولجأ الى التشدد فى مراقبة الأسعار ، ومنع الزيادة فى أسعار القمح فى الوجه القبلى فيقول (وأقبل أهل الوجه البحرى الى ساحل القاهرة فى شراء القمح لقلته ، وأمسك أهل الصعيد أيديهم عن بيع القمح لما بلغهم من منع الحلاوى الزيادة فى سعره ، فاشتد الأمر ، وكثر صراخ النـاس من الرجال والنساء) (١٢) ، ومهما يكن من شىء فان ظـاهرة نقل غـلال الصعيد الى القاهرة ظلت باقية طيلة العصور الوسطى الاسلامية .

وكانت المراكب المقلة للحجيج تبحر من الفسطاط قاصدة قوص ، وتمر فى طريقها بمدن الوجه القبلى الواقعة على النيل فينقلون اليهـا المنتجات والسلع (١٣) ، وكان التجار ينقلون الفواكه من الفيوم (١٤) والواحات (١٥) الى القاهرة وسائر البلاد ، ويذكر النابلسى (١٦) عن الفيوم (وفيها الركاضون يجلبون اليها ، ويجلبون منها ، ويكسبون فى ذهابهم وايابهم) ، وظلت ظاهرة نقل الفواكه طيلة عصر المماليك(١٧)، واختصت الأقصر بنقل الفخار الى أسواق القاهرة (١٨) ، وأما البلاد الواقعة فيما بين « القوصية وأسوان » شرقا وغربا ، فقد اختصت على الأخص زمن المماليك بنقل التمور الى القاهرة وسائر البلاد المصرية (١٩) وأما أعمال القوصية فقد كانت المراكب تسافر اليها فى ذلك العصر لاحضار

---

(١١) المقريزى : السلوك جـ ١/٤ ص ٣٣٤ .

(١٢) المقريزى : السلوك جـ ١/٤ ص ٣٣٤ .

(١٣) ابن جبير : الرحلة جـ ٢ ص ٥٧ .

(١٤) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ص ٢٦ .

(١٥) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٩٤ .

(١٦) تاريخ الفيوم ص ٢٦ .

(١٧) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٩٤ .

(١٨) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ١١١ .

(١٩) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٩٤ ، ٤٠١ .

الغلال والتبن والقنود الى القاهرة ونواحى الوجه البحرى (٢٠) .

وكانت بلاد الصعيد الأعلى الواقعة على رأس الطرق التجارية همزة وصل بين تجار القاهرة ومصر وبين التجار القادمين من الشرق ، ويذكر المقريزى (٢١) فى حوادث سنة ٧٧٠ هـ ، أن ناصر الدين محمد بن مسلم كبير تجار مصر سافر الى قوص لاستقبال البضائع التى قدمت اليه من الهند ، ولا جدال فى أن هؤلاء التجار كانت تربطهم بتجار قوص وغيرها من مدن الصعيد نوع من العلاقات التجارية ، كتبادل السلع وتصريفها وغير ذلك .

ومما هو جدير بالملاحظة أن الأحداث والمحن التى حلت ببلاد الصعيد منذ نهاية القرن الثامن الهجرى قد أعقبها ضعف ملحوظ فى النشاط التجارى ، وقلت السلع الواردة من الصعيد الى مصر ، بل انعدم بعضها ، وأضعف من هذا النشاط — أيضا — ما لجأ اليه سلاطين الجراكسة من فرض الضرائب الاضافية على التجار فى أوقات الحروب فضلا عن سياسة الاحتكارات التى لجأ ليها بعض سلاطين المماليك كبرسباى (٨٢٥ — ٨٤١ هـ) الذى احتكر صناعة السكر وتجارته داخل البلاد ، وقد أضعف ذلك من شأن هذه السلعة وأهميتها التجارية فى بلاد الوجه القبلى ، مما أدى الى سخط عام (٢٢) .

---

(٢٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٧٢ .

(٢١) السلوك جط ٣/١ ص ١٧٤ .

(٢٢) طرخان : مصر فى عصر الجراكسة صفحة ٢٧٨ ، ٢٧٩ — الخربوطلى : مصر العربية الاسلامية ص ٣١٩ .

مما تقدم نرى كيف أن بلاد الصـــعيد لم تقتصر زمن الأيوبيين والمماليك على ما كانت تنتجه أرضها الخصبة من محصولات ، وما كـــان يقوم به أهلها من الصناعات ، بل استفـــادت من موقعهـــا الجغرافى ، فتبادلت التجارة مع أهل العاصمة ، وغيرها من الأقاليم المصرية ، وقد وجد المصريون حاجتهم وقت الشدائد مما كان يستورد من بلاد الصعيد .

العلاقات التجارية بين الوجه القبلى والعالم الخارجى :

شهدت بلاد الوجه القبلى على الأخص صعيدها الأعلى نشاطا بارزا فى التجارة فى العصور الوسطى الاسلامية ، ومن أسباب ذلك ، الموقع الملائم فالصعيد الأعلى يتاخم حدود النوبة وينتهى الى مداخلة التوافل الآتية من السودان والصحراء الشرقية ، هذا فضلا عن اتصال أقاليم الوجه القبلى بالعاصمة بالطريق البرى الممهد ، والطريق النهرى الخالى من العقبات التى تعترض مجراه ، ومن المعروف أن مصر استفادت من موقعها الجغرافى خصوصا زمن الأيوبيين والمماليك ، فتبادلت التجارة مع غيرها من الدول ، وكانت طرق القوافل التجارية التى تربط بين مصر والعالم الخارجى تلتقى عند « أسوان وقوص وقفط وعيذاب » ، ومن نتيجة ذلك ظهرت علاقات تجارية بين هذه البلاد والعالم الخارجى ، وتبع ذلك نشاط تجارى ملحوظ فى مدن الصعيد الأعلى ، وغيرها من المدن فى الصعيد الأوسط والأدنى .

انتعشت الحياة الاقتصادية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى نتيجة لازدهار التجارة العابرة عن طريق البحر الأحمر وللوجه القبلى دور بارز فى هذا الميدان ، فكانت « أسوان » أهم أبواب الصين والهند واليمن ، ومن هذه البلاد تحمل المتاجر عبر الصحراء على ظهور الابل حتى قوص ، فتسير بها السفن فى النيل شمالا الى القاهرة (١) ، وظل هذا الطريق مستخدما الى أن أهمل بعد اخراج الصليبيين من الشام (٢) وأصبحت التجارة بعد ذلك تأتى فى البحر الأحمر الى السويس بطريق القوافل الى القاهرة ، وسنتناول بالدراسة كل طريق على حده .

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٠٢ .

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٦ ص ٢٤٦ ـ أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٢١ .

فالطريق النيلى تمر فيه المتاجر بين أسوان والنوبة والسـودان وتسير القوافل التجارية بعد مغادرتها لأسوان على الجانب الشرقى من نهر النيل ، فتمر على جزيرة فيله الى أن تصل الى قرب « ساق الحمل » ومنها تأخذ القوافل طريقها عبر الأودية والقرى حتى العلاقى،وتستمر القدافل فى سيرها مارة بأدوية « المحرقة »،والسبلة والنعمة،والتصرلاب والمضيق » الى أن تصل الى « كروسكو » ومنها تمر القوافل عبر القرى حتى « وادى حلفا » ثم تستمر القوافل فى السير جنوبا حتى تصل سهول « دنقلة » (٣) ، وعلى الرغم من وعورة هذا الطريق بسـبب الطبيعة الصخرية لبلاد السودان الا أنه كان آمنا (٤) •

وثمة طريق تجارى آخر يربط بين « أسوان والسودان » ونعنى به طريق « درب الأربعين » ، وهو طريق الواحـات ، والمعـروف أن الصحراء الغربية تمتاز بسلسلة من الواحات تمتد بحذاء وادى النيل ، وكانت القوافل تخرج من أسيوط ، وتمر بالواحات الخارجة ، ومنهـا تسير حتى « دار فور » (٥) •

وهناك طريق آخر تسلكه القوافل التى تخرج من أسوان ، اذ كانت تسير بحداء النيل على الضفة الغربية حتى تصـل دنقلـة ، ومنها الى « دارفور » (٦) •

---

(٣) بوركهارت : رحـلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسـودان . ص ٩ ـ ٢٧ •

(٤) على مبـارك : الخطط التوفيقيـة جـ ١٧ ص ٤١ ـ الحويرى . المصدر نفسه ص ١٠٣ •

(٥) Shaw : Darb El Arbain, Vol. X, PP. 65 — 67.

(٦) Shaw : Ibid, Vol. X, PP. 65 — 67.

وكان التجار يغدون الى ثغر عيذاب عن أحد طريقين ، طريق قوص والآخر طريق أسوان ، وقد أمدنا ابن جبير بتفاصيل دقيقة عن طريق قوص عيذاب ، فأوضح أن القاصد من قوص الى عيذاب يمر عن أحـد طريقين أحداهما يعرف بطريق « العبدين » والآخر طريق « دون »(٧) ، ويمر السالك فى صحرا عيذاب فيما بين الدروب والأبار حيث يمر على بئر « امتان » ، وكانت القوافل ترد اليه لترتوي ، وتحمل معها الماء لليوم التالى (٨) ، ومن بئر امتان يمر التجار والحجاج على بئر « حجاج » فيتزودون منه بالماء بما يكفى أربعة أيام تالية ، حتى يصـلوا الى بئر « العشراء »(٩) ، وهو على مسافة يوم من عيذاب ، وبهذا الموضع كثير من الأشجار المسماه بشجر العشر(١٠) ، وينتقل التاجر الحاج من ذلك مارا بأراضى الرمال بالصحراء التى تتصل بساحل البحـر الأحمر الى أن يصل الى عيذاب(١١) .

وبرزت المدن التجارية مثل « عيذاب وقوص وقفط وأسـوان » نتيجة مرور القوافل والمراكب التجارية عبر أعالى الوجه القبلى وارتبطت هذه المدن بعلاقات تجارية ظلت قائمة على الأخص فى العصرين الأيوبى والمملوكى الى أن تمكن البرتغاليون فى الوصول الهند بحرا بطريق رأس الرجاء الصـالح ، ومنذ ذلك الوقت افتقد طريق البحر الأحمر مركزه تدريجيا ، كما بدأت تنهار الموانى عليه من مدخله الجنوبى فى عدن الى

---

(٧) ابن جبير : كتاب الرحلة جـ ٢ ص ٦٦ .

(٨) ابن جبير : المصدر نفسه جـ ٢ ص ٦٨ .

(٩) ابن جبير : الرحلة جـ ٢ ص ٦٨ .

(١٠) ابن جبير : المصدر نفسه والصفحة .

(١١) ابن جبير : المصدر نفسه ص ٦٨ ، ٦٩ .

طرفه الشمـــالى فى الســـويس والطور ، وكذلك موانيه فى جده وينبع رالساحل الغربى (١٢) .

وكانت عيذاب محور الارتكاز ، اذ ترتب على وقوعها على ساحل البحر الأحمر أن نجحت حركة الاتصال التجارى بين بلاد الوجه القبلى والعالم الخارجى ، فقد ظلت عيذاب فترة طويلة من العصور الوسطى مركز تجمع الجاج ، رتجارة الشرق ، وسلع الحبشة التى تصلها بدرا(١٣) وكانت زمن الأيوبيين من أحفل مراسى الدنيا (١٤) ، اذ كانت (مراكب الهند واليمن تحط فيها ، وتقلع منها ، زائدا الىمراكب الحجاج الصادرة والوارده) (١٥) ، فضلا عن متاجر مصر والشام التى كانت تحمل الى الحجاز واليمن عبر عيذاب (١٦) .

وتنبه الصليبيرن الى المكانة التى احتلتها عيذاب فى تجارة الشرق فأرادوا القضاء على مركزها فى هذا المجال ، فقاد « ارناط » ــ صاحب حصن الكرك والشوبك ــ حملة صليبية عام ٥٧٨ هـ ــ ١١٨٣ م بهدف الاستيلاء على الحرمين الشريفين ، وتحطيم تجارة البحر الأحمـــر ، وتمكن « ارناط » من تحطيم السفن التجارية الراسية فى عيذاب (١٧) ، لكن السلطان صلاح الدين يوسف أيوب ــ أسرع باصدار تعليماته الى أخيه العادل ليوقف الخطر الصليبى ، فأعد الأخير اسطولا قويا أسند

---

(١٢) نعيم زكى : طرق التجـــارة الدولية ومحطـــاتها بين الشرق والغرب ، ص ١٤٤ .

(١٣) أحمد دراج : عيذاب ، ص ٥٧ ، انظر .

(١٤) ابن جبـــير : الرحـــلة جـ ٢ ص ٦٣ ــ المقـــريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠٣ .

(١٦) ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ١٤٧ .

(١٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٨هـ .

قيادته لحسام الدين لؤلؤ ، وانتهى الأمر باحباط تلك المحاولة (١٨) ولم تحط هذه المحاولة من قدر عيذاب وأهميتها التجــارية ، ويصــف ابن جبير(١٩) كثرة المتــاجر من احمال الفلفل فى عـيذاب بقوله (وأكثر ما شاهدنا من ذلك ، احمال الفلفل فلقد خيل الينا لكثرته أنه يرازى التراب قيمة) .

ومما لا شك فيه أن تحول التجارة الى عيذاب قد أدى الى انتعاش كبير فى حالتها الاقتصــادية ، لمــا ترتب على ذلك من كثرة الأموال من جباية المكوس على السفن الآتية من الحبشة وزنجبار واليمن (٢٠) ، والشرق الأقصى(٢١) ، وكان لأهــل عيــذاب على كل حمل يحملونه للحجاج ضريبة كما كانوا يكرون للحجاج الجلاب التى تحملهم فى البحر الى جده فتجمع لهم من ذلك مال عظيم (٢٢) .

وازدادت أهمية عيذاب التجارية فى العصر المملوكى وكثرت السفن الراسية اليها من الهند والشرق الأقصى (٢٣) ، وفطن الصليبيون الى ذلك ، وأرادوا غزو عيذاب ، فأشاروا على داود ملك « دنقلة » للقيام بحملة هجوميةعلى عيذاب ، فقام عام ٦٧١ هـ بحملته الشهيرة التى دمر

---

(١٨) ابن جبير : الرحلة جـ ٢ ص ٦٣ ، انظر .

(١٩) الرحلة جـ ٢ ص ٦٣ .

(٢٠) ابن جبير : الرحلة جـ ٢ ص ٦٣ ــ أحمد دراج : عيذاب ص٥٧

(٢١) المقــريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٢٠٢ ــ أحمــد دراج : عيذاب ص ٥٧ .

(٢٢) ابن جبــير : الرحــلة ، جـ ٢ ص ٦٥ ــ المقريزى : الخطط . جـ ١ ص ٢٠١ ، ٢٠٣ .

(٢٣) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦٨ .

فيها عيذاب ، رقتل قاضيها وحاكمها ، وأسر عددا كبيرا من سكانها (٢٤) كما تأثرت تجارة عيذاب بشغب والى البجه ، وقد لمس ذلك الرحالة « ابن بطوطه » فى القرن الثامن الهجرى (٢٥) ، لكن مثل هذه الحملات لم تؤثر على عيذاب فى القيام بدورها التجارى ولا جدال فى أن حرص السلاطين على اغراء التجار من مختلف البلاد على المجىء الى مصر ساعد على قيام عيذاب بدورها التجارى ، ومن ذلك نذكر الأمان الذى أذاعه السلطان قلاوون على الأجانب والذى احتوى على تشجيع التجار اليمنيين والهنود على القدوم الى مصر وقد جاء فيه (فمن وقف على مرسومنا هذا من التجار المقيمين باليمن والهند والصين والسند وغيرهم، فليأخذ الأهبة فى الارتحال الينا ليجد الفعال فى المقال الأكبر ، ويرى احسانا يقابل فى الوفاء بهذه العهود بالأكثر ...) (٢٦) وكثر وفود المراكب القادمة الى عيذاب مما ساعد على ازدياد التبادل التجارى بين أقاليم الوجه القبلى وبلاد الهند واليمن ، وهكذا حملت منتجات الصعيد من الزروع والتمور الى عيذاب ، وصدرت الى اليمن (٢٧) ، ومما هو جدير بالذكر ان سلاطين الجراكسة اتخذوا — أيضا — تدابيرهم لمواجهة تدفق الأعداد الضخمة من هؤلاء التجار الأجانب ، فزادوا من الاعفاءات الممنوحة لهم (٢٨) ، كما سمحوا لهم بتوسيع وكالاتهم وتجديدها ، وانشاء المخازن والموانى للاشراف على عمليات البيع والشراء والمقابضة وتحصيل الرسوم الجمركية والمحلية وتسليمها الى السلطان (٢٦) .

---

(٢٤) Lane Poole : History of Egypt in the Middle Age, P. 271.
الشاطر مصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان ، ص ١٠٧

(٢٥) ابن بطوطة : كتاب الرحلة جـ ١ ص ٤٣ .

(٢٦) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٣٤٠ ، ٣٤٢ .

(٢٧) ابن بطوطة : كتاب الرحلة جـ ١ ص ٤٣ .

(٢٨) Hyed : His de Commerce, T II, P. 426.

(٢٩) Hyed : Histoire de Commerce, T II, P. 426.

ظلت عيذاب عامرة بما يصدر اليها حتى القرن الثامن الهجرى — الرابع عشر الميلادى ، حين كثرت بها عصابات قطاع الطرق ، ففقدت قيمتها وشهرتها ، وان ظلت حتى عهد ابن اياس (ت ٩٣٠ هـ) ميناءا بحريا عاديا (٣٠) ، واحتلت عدن مكانة عيذاب فترة من الزمن الى أن صارت جده « أعظم مراسى الدنيا » بعد عام ٨٢٠ هـ (٣١) ٠

ومن أهم المدن التى ادت دورا كبيرا مع العالم الخارجى « قوص » وترجع أهمية قوص التجارية الى أنها واقعة على رأس الطريق المؤدى الى ساحل البحر الأحمر عند عيذاب ، وبرزت أهمية قوص فى التجارة الدولية فى العصر الأيوبى(٣٢) ، فقد أصبحت محطا للتجار اليمنيين والهنود وتجار أرض الحبشة(٣٣) ، وكان التجار العدنيين أكثر القادمين الى قوص ، حيث اتخذوا منها هدفا لتصريف سلعهم (٣٤) ومن أثر ذلك امتلاء مدينة قوص فى ذلك العصر بالمنشآت التجارية فاكتظ بالأسواق والفنادق (٣٥) ، وتظهر لنا أهمية قوص التجارية من وصف الرحاله المسلمين الذين زاروا هذه المدينة فيصفها ابن جبير بقوله (٣٦) (وهذه المدينة حافلة بالأسواق متسعة المرافق ، كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج اليمنيين والهنديين ، وتجار أرض الحبشة

---

(٣٠) نعيم زكى : طرق التجارة الدولية ص ١٤٣ ، ١٤٤ ٠

(٣١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ٠

(٣٢) ترجع أهمية قوص الى القرن الخامس الهجرى حينما احتلت مكانة قفط التى انهار مركزها التجارى منذ ذلك الوقت (البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى العصر الفاطمى ، ص ٢٩٠) ٠

(٣٣) ابن جبير : الرحلة جـ ٢ ص ٦٦ ٠

(٣٤) ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ١٨٣ ٠

(٣٥) ابن جبير : الرحلة ، جـ ١ ص ٦١ ٠

(٣٦) الرحلة جـ ٢ ص ٦١ ٠

لأنها مخطر للجميع ، ومحط للرجال ، ومجتمع الرفاق) ، وقد استفاد أهالى قوص كثيرا من وراء ذلك ، فاشتغلوا بالتجارة ، وأصبحوا أرباب الثروات الطائلة (٣٧) ، وكان طبيعيا أن يقطن المدينة طوائف التجار القادمين من الخارج ، ومن أهم الطوائف التجارية فى قوص « طائفة الكارمية » (٣٨) ، وقد هيمنت هذه الطبقة على تجارة البحر الأحمر منذ العصر الأيوبى حتى أصبحت أهم طبقة تجارية (٣٩) ، وازدادت أهمية هذه الطبقة فى دولة المماليك حينما اتخذت أعداد كبيرة منها مدينة قوص مركزا لنشاطهم التجارى الواسع (٤٠) ، وكان فى حوزتهم اسطول تجارى كبير (٤١) ، وغدت قوص بسبب ذلك سوقا واسعة لتجارة افريقيا الوسطى واليمن والحبشة (٤٢) والهند واستقر الكارمية فى قوص زمن المماليك ، وكونوا لأنفسهم نقابة خاصة (٤٣) هيمنت على تجارة التوابل

---

(٣٧) ياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ١٨٣ ٠

(٣٨) عرف تجار الكارم بذلك الاسم نسبة الى مملكة الكانم وهى منطقة فى السودان الغربى ، (سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٢٠٩)

(٣٩) صبحى لبيب : التجارة الكارمية ، وتجارة مصر فى العصور الوسطى ، ص ١١ ٠

(٤٠) Hyed : Histoire de Commerce, T II, P. 59.

(٤١) فييت : المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى ، ص ٣٩ ٠
Wiet : L'Egypte Arabe, P. 58.

(٤٢) نعيم زكى : طرق التجارة الدولية ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ٠

(٤٣) وكان التجار ينخرطون فى تنظيمات مهنية خاصة بهم ، فكانوا يؤلفون نقابات بحسب السلع أو يتجمعون فى طوائف حسب السلع أو الأسواق أو المدن ، وكان لكل نقابة رئيسها أو نقيبها ولكل طائفة شيخها وكان من أشهر النقابات نقابات تجار الكارم الأغنياء ٠ (حسن الباشا : الفنون والوظائف ، جـ ١ ، ص ٣٣١) ٠

والبخور والعاج واحتكروها(٤٤) ، وكان لنقابتهم رئيس معترف به من قبل حكومة المماليك أطلق عليه « رئيس الكارمية » (٤٥) ، وقد ذكر المقريزى (٤٦) اسم أحد رؤسائها وهو « تاج الدين أبو بكر بن معين الدين محمد بن الدماميني » وكان من كبار الأثرياء (٤٧) ، وكان للتجار الكارم مراسلات بين عدن والهند ويقوم عدد كبير منهم برحلات فى بلاد العرب وأقطار الشرق الأقصى لزيادة متاجرهم ، وقد كون الكارمية الثروات الوفيرة حتى بلغ الأمر بالسلاطين ان اقترضوا منهم الأموال كلما اضطرتهم ، الظروف الى ذلك (٤٨) ٠

ومن العوامل التى ساعدت على الرواج التجارى زمن المماليك تحول طريق الحج من أسوان الى شمال مصر حينما أعاد السلطان الظاهر بيبرس طريق الحج القديم عام ٦٦٦ هـ (٤٩) ، وترتب على ذلك أن احتلت قوص مكانة أسوان فى تجارة البحر الأحمر وازدادت بذلك الصلة التجارية بين قوص وعيذاب ، واستمرت بضائع التجار القادمة من اليمن والهند تحمل من عيذاب الى قوص حتى بعد عام ٧٦٠ هـ (٥٠) ، وأجمع

---

(٤٤) لم تكن تجارتهم مقصورة على هذه المتاجر ، بل ساهموا فى تجارة الغلال والحبوب وخاصة الفول ٠

(محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ص٣٢٨)
Wiet : L'Egypte Arabe, P. 89.

(٤٥) المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ١٣٢ ، انظر ٠

(٤٦) السلوك جـ ٢ ص ٣٤ ٠

(٤٧) توفى فى ٢٣ جمادى الآخرة عام ٧٣١هـ ، وترك مائة ألف دينار ٠ (المقريزى : السلوك جـ ٢ ص ٣٤٠ ٠

(٤٨) المقريزى : السلوك جـ ١/٢ ، ص ١٠١ ـ جـ ٣/١ ، ص ٨٩٩

(٤٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠١ ٠

(٥٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ، ص ٢٠٢ ٠

الكتـــاب المعـــاصرون ، كـأبى الفـــدا (٥١) ، والأدفـــوى (٥٢) ، والقلقشندى (٥٣) ، والظـــاهرى(٥٤) ، ان قوص كـــانت أعظم مدن الصعيد من حيث الرواج التجارى اذ توالت عليها القوافل التجارية وكثرت بها الديار والرباع والفنادق التى يسكنها التجار وذوو الأموال(٥٥) ولم يمنع أفول قوص بعد سنة ٧٦٠ هـ ــ على حد قول المقريزى (٥٦) ، من استمرار العلاقات التجارية بينها وبين العالم الخارجى ، فظل أهالى قوص على اتصالهم التجارى بهذا العالم حتى منتصف القرن التاسع الهجرى ، وربما بعد ذلك ويذكر السخاوى (٥٧) ان أهالى قوص كانوا يسافرون خصيصا الى الحجاز طلبا للتجارة .

وتعتبر أسوان أهم أبواب مصر بالنسبة لتجـــارة النوبة ، وعن طريقها شهدت مصر نشاطا تجاريا كبيرا ــ خصوصا ــ فى العصر الأيوبى وأوائل عصر المماليك ، مع بلدان السودان الغربى وافريقية الوسطى(٥٨) ويظهر أن تجار الكارم فضلوا مدينة أسوان عند قدومهم ، لما لهـــا من أهمية لوقوعها على رأس الطريق المؤدى الى عيذاب ، فضلا عن أنها أهم أبواب مصر الجنوبية ، ولما أهمل طريق أسوان عيذاب عام ٦٦٦ هـ توقفت الصلة التجارية بين أسوان وعيذاب (٥٩) .

---

(٥١) تقويم البلدان ص ١١١ .

(٥٢) الطالع السعيد ص ١٤ .

(٥٣) صبح الأعشى جـ ٣ ، ص ٤٠٩ .

(٥٤) زبدة كشف الممالك ، ص ٣٣ .

(٥٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ص ٤٠١ .

(٥٦) الخطط جـ ١ ص ٢٠٢ .

(٥٧) الضوء اللامع جـ ٢ ص ٢٥٧ .

(٥٨) نعيم زكى : المصدر نفسه ص ١٤٢ .

(٥٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠١ ، انظر .

ومما لا شك فيه أن رخاء عيذاب قد انعكس على أسوان ، ومن الطبيعى أن يربح أهالى أسوان من نقل البضائع من عيذاب الى أسوان وبالعكس وكان لتجار أسوان وكلاء فى عَيذاب منذ العصر الفاطمى ، وذلك لتسهيل التجارة واستقبال السلع وتصديرها ، كما اشتهرت أسوان بكثرة سلعها الرخيصة الثمن من الحنطة والحبوب والفواكه والخضروات والبقول ، وكانت هذه السلع تنتقل الى بلاد النوبة ضمن البضائع الصادرة (٦٠) ، ومما تجدر ملاحظته أن تجار أسوان كانوا على صلة تجارية كبيرة ببلاد النوبة ، منذ عهد بعيد (٦١) ، وازداد اتصالهم بهذه البلاد فى العصر الفاطمى (٦٢) ، والعصور اللاحقة ، ل اشتد الاتصال التجارى بين أسوان وغيرها من مدن الصعيد ومصر ببلاد النوبة زمن المماليك ، وحرص السلاطين على تيسير سبل هذا الاتصال وظهرت أهمية أسوان كمنفذ تجارى فى ذلك العصر (٦٣) ، وفكر ملك النوبة فى غزوها للقضاء على أهميتها التجارية ، فأعد بيبرس حمله عام ٦٧٥ هـ لغزو النوبة ، وتمكنت مصر بذلك من بسط سيطرتها على مملكة النوبة (٦٤) ، وأعاد بيبرس فتح الباب للتجار المسلمين لمزاولة نشاطهم التجارى فى أنحاء النوبة ، وسار المماليك من بعد بيبرس على سياسة التدخل فى شئون النوبة الداخلية حماية لتجارتها ، وتأمينا للطرق التجارية بين مصر والنوبة (٦٥) ٠

---

(٦٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٧ ٠

(٦١) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية ص ٢٨٦ ٠

(٦٢) ناصر خسرو : سفرنامة ، ص ٤١ ٠

(٦٣) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية ص ٢٩١ — سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ص ١١٩ ، انظر ٠

(٦٤) النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٨ ، ورقة ١٠٨ ٠

(٦٥) سعيد عاشور : مصر فى عصر المماليك البحرية ، ص ٨٢ ٠

وظهرت قفط كمدينة لها شأنها ، اذ أصبحت ممر للرحالة والحجيج ومحطا للتجار فى طريقهم ذاهبين الى عيذاب وجده واليمن أو عائدين من هذه البلاد الى مصر والمغرب ، وبلاد الأندلس ، فحفلت أسواقها ، واستفاض العمران بها (٦٦) ، ويذكر ياقوت (٦٧) أن « الغالب على معيشة أهلها التجارة » ، وكان أهل قفط يسافرون الى الهند زمن الأيوبيين طلبا للتجارة (٦٨) ، وازدادت الأهمية التجارية لقفط فى العصر المملوكى لقربها من قوص (٦٩) ، وكانت المدينتان على رأس الطرق المؤدية الى مناجم الزمرد فى الصحراء الشرقية (٧٠) ، حيث كان التجار يبدأون الرحلة الى هذه الصحراء من قفط أو من قوص ، وكان الزمرد يستخرج ويحمل الى الفسطاط أو القاهرة ثم الى الأسواق الخارجية ، ومنها الى أوربا (٧١) ، وكان الاوربيون يهتمون بالأحجار الكريمة الواردة اليهم من مصر ، ويعتقدون بأنها تطرد الأرواح الشريرة (٧٢) ، لهذا كانت « جميع حقبرق الأرض ، وأهل الآفاق تستمد منه » (٧٣) ، ولم يزل الزمرد يستخرج من الصحراء الشرقية الى أن ابطل ذلك أواخر أيام السلطنة الثانية للملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (١٢٥٤ م —

---

(٦٦) ابن القفطى : أنباء الرواة على أنباء النحاة جـ ١ ص ٩ ٠

(٦٧) معجم البلدان جـ ٧ ص ١٣٩ ٠

(٦٨) ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ١٣٩ ٠

(٦٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٣٣ ٠

(٧٠) المقريزى : المصدر نفسه والصفحة ٠

(٧١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ٠

(٧٢) نعيم زكى : طرق التجارة الدولية ص ٢١٦ ٠

(٧٣) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٢٨٧ ٠

١٢٦٠ م) (٧٤) ، ومما يجدر ملاحظته أن مناجم الزمرد تقع فى منطقة جبلية قاحلة بعيدة عن العمران ، ولعدم وجود آبار كان العاملون فى المناجم يحصلون على مياه الشرب من الماء الذى يتسرب فى الأودية نتيجة نزول المطر النادر ، وتبعد تلك المياه مسيرة نصف يوم أو أزيد قبالة مواقع المناجم (٧٥) .

ويعتبر ميناء القصير على ساحل البحر الأحمر أقرب الموانى للوصول الى قوص (٧٦) ، ونظرا لوقوع هذا الميناء عند مداخل ووديان تؤدى الى مصر والصعيد ، فقد أدى ذلك الى حتمية اختياره على الدوام فى نهاية العصور الوسطى كمستودع لتجارة الوجه القبلى مع الجزيرة العربية ، وظلت تجارة مصر والصعيد من القمح والدقيق والفول والشعير والزيوت وغيرها من المواد الغذائية الأخرى ترسل الى الجزيرة العربية عبر القصير (٧٧) ، وكانت الجزيرة العربية ترسل الى مصر والوجه القبلى العديد من السلع ، كالصمغ والفلفل والبن ، والموسيلين ، وبعض الأقمشة من منتجات الهند ، وظلت هذه التجارة رائجة بين الصعيد والجزيرة العربية الى وقت الحملة الفرنسية (٧٨) .

ولم يقتصر الاتصال بالعالم الخارجى على مدن الصعيد الأعلى بل أن بلاد الوجه القبلى كانت تربط اجزاءه مجموعة من الطرق البرية

---

(٧٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
Hyed : Histoire de Commerce, T II, P. 652.
Huart : Histoire des Arabes, P. 91.

(٧٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٣٢ .

(٧٦) ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٧٧) علماء الفرنسية : كتاب وصف مصر جـ ٢ ص ٢٣٢ .

(٧٨) علماء الفرنسية : المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٣٢ .

والنيلية ، وجعلته متكاملة مما يسر على تجار المدن الأخـرى سـهولة الاتصال ببلاد السودان ، فعن طريق الواحات يسرت الطرق الصحراوية سـبيل هذا الاتصال ، كانت هذه الطـرق تبدأ من نقط عديدة أهمهـا « البلينا ، والمنشاة ، وسيوط » (٧٩) ، وتدين سيوط بازدهارها وشهرتها طيلة العصور الوسطى الاسلامية حتى القرن التاسع عشر الميلادى الى التجارة مع دارفور ، فكانت تفد اليها فى كل سنة قافلتان أو ثلاث محملة بريش النعام ، والعاج والصـمغ وتعود منهـا محمـلة بالأرز والبن والمنسوجات (٨٠) ، كذلك يسرت الملاحة النهرية هذا الاتصال، فكـان أهالى مدن الصعيد الأوسط الواقعة على النيل فى البهنسا والاشمونيين يسافرون بطريق النيل الى بلاد السودان ، ويحملون متاجرهم لتصريفها هناك ، وكذلك أهالى « منية بنى خصيب » الذين زاولوا حرفة التجارة مع بلاد السودان طيلة العصرين الأيوبى والمملوكى ، وكان لهم متاجر يملكونها فى تلك البلاد ، مما ساعد على تسهيل المبادلات التجارية وظهور طائفة من كبار التجار أصحاب الثروات الوفيرة (٨١) .

وقصارى القول أن التجارة كانت ترد الى مصر من بـلاد الهند والشرق الأقصى بصورة واسعة زمن الأيوبيين والمماليك عن طريق الموانى وطرق القوافل الواقعة فى لصعيد الأعلى والأوسط وكان من آثر ذلك أن ازدادت تجارة مصر الخارجية ، فضلا عن أن تجار الصعيد تبـادلوا التجارة مع هذه الدول ، وبذلوا جهدا كبيرا لجذب التجار الى مصر ، وقد لقيت هذه الرغبة قبولا لدى السلاطين لأنهم كانوا يبغون من وراء ذلك تشجيع التجارة مع الشرق .

---

(٧٩) ابن دقماق : الانتصار جـ ٥ ص ١١ ، ١٢ .

(٨٠) Lorin (H) ; L'Egypte d'aujourd'hui, les Pays et Less Hommes, P. 50.

توقفت تجارة أسيوط مع دارفور بسبب الثورة المهدية فى السودان ولم تستأنف مرة أخرى حتى بعد اتفاقية السودان .

Lorin (H) : Op. Cit., P. 50

(٨١) على مبارك : الخطط التوفيقية جـ ١٦ ص ٢٥٢ ، انظر .

الموارد المالية

الزكاة :

وكانت تؤخذ على الذهب والفضة ، وعروض التجارة ، والماشية بأنواعها والمزروعات ، مع اعفاء بعض المواد الغذائية الضرورية فى الحياة اليومية مثل السمسم وبذور الكتان ، والشعير والزيتون والخضر (١) ٠

تطور مدلول لفظ الزكاة فى مصر زمن الأيوبيين بحيث صار يطلق على البضائع والمسافرين من الحجاج وغيرهم ، وكان لذلك التصرف البشع من قبل الولاة والموظفين فى الدولة الأيوبية أسوأ الأثر على حياة المسافرين والتجار والحجاج بالمراسى النيلية بالوجه القبلى فى منية بن خصيب ، واخميم وقوص ، فيذكر ابن جبير (٢) (ان أعوان متولى الزكاة تخرج الى منية خصيب واخميم وقوص لكشف أحوال المسافرين من التجار والحجاج ٠٠٠ فيبحثون عنجميع ما معهم ويدخلون أيديهم أوساط الرجال خشية أنيكون معهم حال ، ويحلفون الجميع بالأيمان الحرجة على ما بأيديهم ، وما عندهم غير ما وجدوه ، وتقوم طائفة من مردة هذه الأعوان ، وبأيديهم المسالى الطوال ذوات الأنصبة ، فيصعدون الى المراكب ، ويجسرن بمسالهم جميع ما فيها من الأحمال والغرائز ٠٠٠ ويقف الحجاج بين يدى هؤلاء فى خزى ومهانة ٠٠٠ ويحل بهم من العسف ما لا يوصف) ، وبلغت حصيلة هذه الزكاة مضافا اليها رسوم دار الضرب ــ وكانت جزءا صغيرا ــ لسنتى ٥٨٦ هـ و ٥٨٧ هـ ما يقرب من ٢١٨٦١ دينارا (٣) ، وجبى الموظفون معظمها من الوجه القبلى ،

---

(١) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، صفحات ٣١٠ الى ٣١٦ ٠
(٢) الرحلة ، جـ ١ ص ٦٢ ــ المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٠٨ ٠
(٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٠٨ ٠

ونتساءل لماذا اقتصر هذا الاجراء على الحجاج والمسـافرين المـارين بمراسى الوجه القبلى ؟ ، والواقع أن المصادر أغفلت ذلك ، ونرى أن بلاد الرجه القبلىمن حيث الموقع اوجبت ضرورة وقوع المراسى النيلية بصعيد مصر على طريق الحج ، ومن ثم كان طبيعيا ان ترسى المراكب عليها لتجد فى انتظارها هؤلاء الموظفين المتـأهبين لصـعود المـراكب لتفتيشها رغبة فى جمع المال ، وساعدهم فى ذلك أن أفراد الأسرة الأيوبية حين تختار موقع لتحكم فيه فانها تفضل المواقع القريبة من العاصـمة وتترك تلك الأماكن البعيدة مثل أخميم وقوص للولاة الذين دأبوا على جمع الأموال ، ولتنفيذ ذلك لجأوا الى التعسف والجـور ، فسـلطوا الموظفين المعينين لتفتيش المراكب بمفاجأة المارة واستخراج الأموال .

استمر الجور ولتعسف فى جمع أموال المزكاة بعد السلطان صلاح الدين فى عهود العزيز عثمان ، والسلطان الكامل والسلطان الصـالح نجم الدين أيوب(٤)،وفى عهد الأخير جمعت الزكاة من جهات مختلفة، مثل زكاة الرقيق،وسلال الحصر التى كانت خاضعة لضريبة الخراج(٥)، وكان من نتيجة ذلك أن ازدات أموال الزكاة المحمولة من أراضى الوجه القبلى ، وعلى سبيل المثال بلغت فى الأعمال الفيومية زمن السـلطان الصالح نجم الدين أيوب عـام ٦٤١هـ ، ١٧٩٥ دينـارا وثلثين ونصف قـيراط(٦) .

واستمرت الزكاة تفرض فى الوجه القبلى فى العصر المملوكى على التجار وأصحاب الأموال عن كل مائة درهم ، وكانت تؤخذ ــ أيضا ــ على هذا المنوال على الأغنام التى كثيرا ما كان يمتلكها قبائل عربية(٧)،

(٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٠٨ و ١٠٩ ، انظر .
(٥) حسانين ربيع : النظم المالية ، ص ٥٦ ، انظر .
(٦) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٢٤ .
(٧) محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس ، ص ١٤٧ .

والمعروف أنه لم يبق ما يؤخذ من الناس على صورة زكاة زمن المماليك الا نوعين ، أولاهما ، ما يؤخذ من التجـار على ما يدخلون به الى البلاد من ذهب وفضة بمعدل ٢/١ ٢٪ ا وثانيهما ، مواشى أهل برقـة من الغنم والابل عند وصولهم الى البحيرة للرعى(٨) .

الجـزية :

وكان يدفعها أهل الذمه من اليهـود والنصارى البالغـين دون النساء والرهبان ، والأرقاء ، والمجانين والفقراء الذين لا دخـل لهم ومن مات منهم أو اسلم(٩) ، وكانت الجزية المفروضة فى العصـر الأيوبى تتناسب مع ثروة الشخص الذى وجبت عليه هذه الضريبة(١٠)، فكانت ضريبة الجزية على الشخص من الطبقة العليا ٤ ١/٦ دينار ، ومن الطبقة الوسطى أكثر من دينارين بقليل ، ومن الطبقـة السفلى دينارا وجزءا من الدينار(١١) ، ويضاف الى كل جزية درهمان وربـع يرسم المباشرين على جباية الجزية(١٢) ، وتغير ذلك أواخر الأيوبيين فصارت الضريبة موحدة بدينارين على جميع أهل الذمة(١٣) .

واختلفت طـريقة جباية الجـزية فى الأقاليم عنهـا فى العاصمة والفسطاط ، فقد تطورت جبايتهما فى الأقاليم حتى تولاها المقطعون

---

(٨) سعيد عاشور : مصر فى عصر المماليك البحرية ص ٢١٤ و ٢١٥

(٩) النويرى : نهاية الأرب جـ ٨ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ .

(١٠) لم يقتصر هذا النظام على العصر الأيوبى فحسب ، بل كان معمولا به فى العصور السابقة ، وتكشف الوثائق البردية التى ترجع الى القرنين الثانى والثالث الهجريين صحة ذلك (جروهمان : أوراق البردى العربية جـ ٣ ص ٣٥ ـ أبو يوسف : كتاب الخراج ص ٦٩ ، انظر) .

(١١) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣١٨ .

(١٢) ابن مماتى : المصدر نفسه ص ٣١٩ .

(١٣) النابلسى : تاريخ الفيوم ص ٢٥ .

بينمـا قام على ذلك فى العـاصمة موظف خاص يسـمى « مباشر » أو الناظر يعاونه مساعدان(١٤) ونستطيع أن نعطى لمحة عن تطـور الجزية حتى النصف الأول من القرن التاسع الهجـرى من خـلال ما أمدنا به كل من « النويرى » « والقلقشندى » و « المقريزى »،فكانت حصيلة الجزية قبل الروك النـاصرى تعد فى حسـابات الدواوين ، وتؤدى ،، سنويا ، وكان المباشرون يعدون كشوفا تثبت فيها أسـماء أهل الذمة ، واذا دفع الذمى الضريبة يعطى له ايصالا بذلك يصرح للنازحين خارج بلدتهم أن يؤدوا الجزية فى البلد النازح اليهـا على أن يحضروا ايصالا بذلك حتى يعفى من أدائها حين يصل بلدته(١٥)، وكانت أموال التجزية المحصلة من الأقباط زمن المماليك جارية فى الديوان الخاص السلطانى حتى الروك الناصرى سنة ٧١٥هـ ، وتولى تحصيلها من بعد ذلك المقطعون (وتجرى مجرى مال ذلك الاقطـاع)(١٦) ، وقد اتهم الأقباط بتدبير ذلك حتى تتاح أمامهم الفرصة للافـلات عن دفع الضريبة ، (وصاروا ينتقلون فى القرى ،، ولا يدفعون عن جزيتهم الا ما يريدون فقل متحصل تلك الجهة بعد كثرته)(١٧) .

---

(١٤) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦٢ و ٤٦٣ .

(١٥) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٣٠ ، مخطوط ، ورقة ٩١ .

المقريزى : السلوك ، جـ ١/٣ ، ص ١٥٣ ، انظر

لم يكن هذا النظام معمولا به فى مصر فى القرون الأولى للهجرة ، أو جرت العادة أن يظل النازح معفيا من أداء الجزية حتى يعود ، ونرى فى وثيقة قبطية ترجع الى سنة ٧٧٤م التماسا بضمان عن أداء جزية مقدم من رئيس احدى أديرة الصـعيد يطلب فيه التصريح لعدد من الأقبـاط لانتقالهم الى الفيوم لمدة ثلاثة أشهر على أن يقوموا بأداء الجزية بعد عودتهم

Edrran Sohiller ; Coptic Legal Texts, PP. 55 — 57.

(١٦) أبو المحاسن : النجوم جـ ٩ ، صفحات ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ .

(١٧) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ١٠٦ .

أما مقادير الجزية التى دفعها الذميون فى بلاد الوجه القبلى ، فقد انخفضت تدريجيا بين حين وآخر زمن الأيـوبيين والمماليك،ذلك أن الذميين من أقبـاط الصـعيد نقصت أعـدادهم منذ أواخر العصر الفاطمى حين تحولت الأغلبية العظمى منهم — فى الصعيد الأوسط — الى الاسلام ، ولنضرب مثلا بدلجه احدى قرى الأشمونيين ، فقد كان أهلها احـدى عشر ألف نصرانى وقت دخول الاسـلام مصر ، وسرعان ما أخذ هذا العدد فى النقصان حتى صار فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى أربعمـائة نصرانى(١٨) ، ومع ذلك فان أموال الجزية التى جمعت زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب — وهى كثيرة(١٩) — كانت معظمها من نصارى الوجه القبلى،ويصدق ذلك على الأموال التى جباها الأيوبيون من بعد صلاح الدين ، وقـد بلغت قيمة الجزية زمن السلطان الصالح نجم الدين أيوب من الفيوم فقط ٢٢٨٤ دينـار ، جباها المسـئولون من ١١٤٢ ذمى فرضت عليهم الجزية(٢٠) ، هذا بالاضـافة الى ٢٧٨ دينـار حصلت من ١٣٩ ذمى كانوا قد قدموا الفيوم من سائر بلاد الوجه القبلى(٢١) ، واذا كان عدد القادمين الأقباط من بلاد الوجه القبلى الى الفيوم زمن السلطان

---

(١٨) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة مصر ٠

(١٩) ذكر القاضى الفاضل فى متجددات عام ٥٨٥هـ أن المتحصل من هذه الضريبة بلغ سـنة ٥٨٧هـ ١٣٠ ألف دينـار (المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٠٧) ٠

(٢٠) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ص ٢٤ ٠

(٢١) النابلسى : المصدر نفسه والصفحة ٠

أغفلت المصادر الأسباب التى دفعت بهؤلاء الذميين على الرحيل الى الفيوم ، ومن المؤكد أنهم لجأوا اليها طلبـا للتجـارة ، أو زيارة الكنائس والأديرة التى كثرت فى هذا الاقليم ٠

الصالح نجم الدين أيوب يقترب الى نسبة العشر بالنسبة الى الاعداد المفروض عليهم ضريبة الجزية بالفيـوم ، فنتوقع كثرة الأشخاص ، المفروض عليهم هذه الضريبة فى الصعيدين الأوسط والأعلى عنهـا فى الفيوم والصعيد الأدنى ، وبالتالى تزيد أموال الجزية المتحصلة وتنقص فى بلاد الوجه القبلى من مكان الى آخر .

ويبـدو أن الجـزية كمـورد من موارد الدولة قلت وانعـدمت أهميتها بعد القـرن الثامن الهجرى ـ الرابع عشر الميلادى ـ وقد ارجع المقريزى ذلك الى كثرة اظهار النصارى للاسلام ابتداءا من عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون(٢٢) ، غير أن نصارى الوجه القبلى ـ وبالذات الصـعيد الأعلى قد تعرضوا لابتزازات ماليـة فى بعض الأحيان(٢٣) ، ومما يجدر ذكره أن الفـرد من أهل الذمة كان يدفـع جزية قيمتها ستةوخمسين درهما حين كانت الجوالى جارية فى الخاص السلطانى(٢٤) ، ولما صارت جبايتها من اختصاص المقطعين فى اقاليم الوجه القبلى والبحرى انخفضت قيمة الضريبة ، فصارت أربعة دراهم أو نحـوها(٢٥) ، ويعلل النويرى(٢٦) ذلك بأن مقطعى كل جهـة من الوجه القبلى احتاجوا الى مصالحة من بها من النصارى على « بعض الجوالى » ، ويقدر القلقشندى(٢٧) أن أعلى قيمة للجزية بلغت خمسة وعشرين درهما على الشخص وان أدنى قيمة لها عشرة دراهم.

---

(٢٢) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ١٠٦ .

(٢٣) ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٢ ص ٢٤٩ ، وذلك فى أعقاب القبض على مجد الدين بن البقرى الاستادار وكان قبطيا ثم أسلم ، وكان عنيفا ظالمـا يحب النصارى .

(٢٤) النويرى : نهاية الأرب جـ ٣ ص ٣٢١ .

(٢٥) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٣ ، ورقة ٣٢١ .

(٢٦) نهاية الأرب ، جـ ٣٠ ـ مخطوط ـ ورقة ٣٢١ .

(٢٧) صبح الأعشى : جـ ٣ ، ص ٤٦٢ و ٤٦٣ .

الخــراج :

الضريبة السنوية المفروضة على الأراضى(٢٨) الزراعية ويدفعها المزارع للمقطع صاحب الأرض الأقطاعية وكان يجبى على حسب غلــة الأراضى ، فكان خراج الوجه القبلى عينا(٢٩) ويتراوح ما يؤخذ من كل فدان يزرع قمحا أو شعيرا أو حمصــا أو فولا زمن الأيوبيين ما بين اردبين ونصف الى ثلاثــة(٣٠) ، وكان المقــرر على الحاصــلات الزراعيةالأخرى ضريبة نقدية اختلفت قيمتها باختلاف المحصول ودرجة الخصوبة ، فبلغت الضريبة على الفدان المزروع كتانا فى الوجه القبلى ــ فى المتوسط ــ خمسة(٣١) دنانير ، بينما زادت فى « دلاص » من نفس الاقليم حتى بلغت ثلاثة عشر دينارا(٣٢) •

وأدخل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ما يســمى بالبدل فى تقدير قيمة الخراج ، فسمح بقبول كميات من الشعير أو الفــول أو الحمص بدلا من القمح ، فكان يستبدل بأردب القمــح أرادبين من الشعير أو اردب ونصف من الفول ، أو اردب حمص(٣٣) •

حدث اختلاف بسيط فى تقــدير قيمة الخراج فى العصر المملوكى فيتــراوح ما يؤخذ من كل فــدان يزرع قمحــا أو شعيرا أو فولا أو عدسا أو بسلة أو حمصــا ما بين أردبين الى ثلاثة أرادب ، وفى

---

(٢٨) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٠٣ •

(٢٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ص ٤٠٤ •

(٣٠) حدث ذلك حينما أمر السـلطان صـلاح الدين سنة ٥٧٢هـ بمسح الأراضى لفرض الخراج على أسس سليمة •

(٣١) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٥٨ ــ ٢٧٦ •

(٣٢) ابن مماتى : المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ •

(٣٣) ابن مماتى : المصدر نفسه ، ص ٣٥٩ وما بعدها •

بعض الأحيـــان كان يؤخذ مع كل اردب درهم أو درهمان(٣٤) ، وربما كان الخراج يؤخذ فى بعض أقاليم الصعيد(٣٥) بالدراهم مثل الجيزية التى كان أكثر خراجها من الدراهم المحمولة الى بيت المال(٣٦) ، وأبقى المماليك على نظـــام البـــدل فى تقدير قيمة الخـــراج(٣٧) أما رؤوس الحيوانات من الابل والبقر والغنم ، فكان يؤخذ عنها الخراج فى الوجه القبلى مقابل استهلاك أصـــحابها للمراعى(٣٨) ، وكان يقوم بوضـــع مقادير الرسوم المقررة على المراعى مجموعة من الموظفين من الشـــهود والكتاب وذلك بمعرفة واشراف صاحب الاقطـــاع الذى يتولى جبـــاية الخراج ليؤديها الى خزانة الدولة بعد تغطية النفقـــات ، ونستطيع أن نعطى صورة واضحة عن مقـــادير الخراج التى جباها هؤلاء المقطعون من أراضى بلاد الوجه القبلى من خلال ما أمدنا به المؤرخون والكتاب المعاصرون عن المقادير التى أخرجتها أراضى الأقطاعات فى تلك البلاد.

أمدنا المقريزى — عن القاضى الفاضل — ببيـــانات كافيـــة عن المقادير الخراجية التى حرصت الدولة الأيوبية على جبايتها من الوجه القبلى فـــذكر انهـــا بلغت فى متجـــددات ســـنة ٥٩٥هـ ١٠٦١٠ر٤٤١ر١ دينارا(٣٩) ، وفيما يأتى بيان هذه المقادير ونواحى استخراجها(٤٠) :

---

(٣٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ص ٤٥٤ .

(٣٥) القلقشندى : المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٤٥٦ .

(٣٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ، ص ٤٥٦ .

(٣٧) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٤ و ٤٥٥ .

(٣٨) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٤ .

(٣٩) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٨٨ وما بعدها .

(٤٠) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٨٨ وما بعدها .

الجهـــة	الخراج بالدينار
الجـيزية	٢٠٤ر١٥٣
الأطفيحية	٧٢٨ر٥٩
البوصيرية	٤٦٦ر٦٠
الفيـومية	٦٣٤ر١٥٢
البهنســية	٦٣٤ر٣٥٢
الواحات الداخلة والخارجة وواح البهنسا	٢٥٠٠٠
الاشـــمونين	٧٣٢ر١٤٧
السيوطية خارجا عن منفلوط ومنقباط	٥٠٤ر٧٢
الأخميمية	٨١٢ر١٠٨
القوصـــية	٥٠٠ر٣٦٢
ثغر اسوان	٢٥٠٠٠

تغيرت مقادير الجباية فى العصر المملوكى ، فعندما أجرى الروك الحسامى عام ٦٩٧ هـ زمن السلطان حسـام الدين لاجين(٤١) زادت مقادير الجباية فى الوجـه القبلى ، فبلغت ٦٦١ر٣٦١ر٤(٤٢) دينارا ، وتفصيل ذلك من الجدول التالى :

---

(٤١) استهدف السلطان لاجين تعديل قيمة الضريبة المفروضة على البلاد بما يناسـب التغيرات التى تطرأ على الأرض من نقص أو زيادة فى مساحتها بين الحين والآخر (المقريزى:السلوك : جـ ١ ص ٨٤٢ أبوالمحاسن النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ص ٩٠ و ٩١ ٠

(٤٢) عمر طوسون : مالية مصر ص ٢٤٤ و ٢٤٥ ٠

الجهـة	الخراج بالدينار
الجـيزية	٧٨٥ر٤٣٤
الاطفيحيـة	١٤٠ر٧٥٢
الفيـومية	٥٣٣ر٠٢١
البهنساوية	١ر١٧٨ر٣٨٣
الاشمونين	٦٣٧ر٤٩٦
المنفلوطية	٦٤ر٣٧٥
الاسيوطية	٣٨٣ر٨٣٢
الاخميمية	١٨٨ر١٦٩
القوصية	٤٤٩ر٧٤٩

ولم يمر وقت طويل على هذا التعديل حتى رأى السلطان الناصر محمد بن قلاوون ضرورة مسح البـلاد لاعادة النظر فيما طـرأ على الأرض من اصلاح أو عمارة أو اهمال(٤٣) ، واهتم السلطان بتعديل توزيع الاقطاعات ــ وبالذات ــ فى بلاد الوجه القبلى ، حين توجـه اليها فى شعبان سنة ٧١٥هـ واشرف على ترتيب الأمراء والكتـاب(٤٤) لهذا الغرض(٤٥)،وركز على توزيع اقطاعات الأمراء فى أماكن متباعدة عـلى عكس ما كان من قبـل(٤٦) ، ويذكـر ابن اياس(٤٧) أنه فى سنة ٧١٥ هـ أمر السـلطان الناصر محمد بن قـلاوون بمسح البـلاد

---

(٤٣) المقريزى : السلوك ج ٢/١ ص ١٤٧ ــ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٩ صفحة ٤٢ و ٤٣ .

(٤٤) النويرى : نهاية الأرب ، ج ٣٠ ــ مخطوط ــ ورقة ٩١ .

(٤٥) المقريزى : السلوك ، ج ٢/١ ص ١٤٧ .

(٤٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٢ .

(٤٧) بدائع الزهور ج ١ ص ١٥٩ .

المصرية «فزاد عن الروك الحسامى فى مواضع،ونقص فى مواضع(٤٨)، وكيفما كانت الحال كان خراج الوجه القبلى فى الروك الناصرى يزيد عن خراج الروك الحسامى بوجه عام ، وقد بين لنا ابن الجيعان مقادير الجباية فى هذا الاقليم حسبما يقتضيه التعديل الناصرى(٤٩)، ومما يجدر ذكره ان الروك الناصرى استمر العمل به (الى أن زالت دولة بنى قلاوون بالملك الظاهر برقوق فى رمضان عام ٨٧٤هـ وأبقى الأمر على ذلك ٠٠٠٠ الا أن أشياء منه أخذت تتلاشى ٠٠٠٠ الى أن كانت الحوادث والمحن سنة ٨٠٦هـ ، ٠٠٠٠٠ حيث حدث من أنواع التغيرات ، وتنوع الظلم ما لم يخطر ببال أحد)(٥٠) ، ومن نتائج ذلك انخفضت مقادير الجباية زمن الجراكسة فى بلاد الوجه القلبلى ، وفيما يلى جدول نبين فيه على سبيل المثال — بعض النواحى بالوجه القبلى ومقادير خراجها من واقع ما أمدنا بل كل من « ابن دقماق »(٥١) «وابن الجيعان»(٥٢)،وهى بيانات كافية تؤكد لنا انخفاض قيمة الجباية فى تلك النواحى زمن الجراكسة عنها زمن الروك الناصرى :

---

(٤٨) وكان الناصر محمد يبغى من وراء ذلك تعديل التوزيع الاقطاعى بحيث يكون توزيع الأراضى توزيعا عادلا بين الأمراء والأجناد والزراع ، لذا وجدنا التوزيع فى الروك الحسامى يختلف عن التوزيع فى الروك الناصرى حسب أحقية كل مقطع فقد يزيد أمير فى اقطاعاته فى الروك الناصرى عما كان عليه فى الروك الحسامى وقد ينقص ٠

(٤٩) اتفق بيان ابن الجيعان مع البيان الذى أورده ابن دقماق عن مقادير الخراج بالوجه القبلى ، غير أننا اعتمدنا على ابن الجيعان لأن بيانات ابن دقماق جاءت فى هذا الشأن ناقصة وغير كافية ٠

(٥٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٩١ ٠

(٥١) ابن دقماق : الانتصار جـ ٤ ص ١٣٣ الى ١٣٦ و جـ ٥ ص ١٥

(٥٢) ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ١٤٧ وما بعدها ص ١٧٤

العمل المستقر	الناحية	قيمة الجباية زمن الروك الناصرى	قيمة الجباية زمن ابن الجيعان
الجيزية	تربية وحصة بنى قادوس	٨٥٠٠ دينار	٤٥٠٠ دينار
	بولاق الدكرورى	٤٧٠٠ دينار	٤٤٥٠ دينار
	منية قادوس	٦٠٠٠ دينار	٣٠٠٠ دينار
الاطفيحية	افوازينى بحر	١٢٦٠٠ دينار	٣٠٠٠ دينار
	اطفيح (المدينة)	٢٥٠٠٠ دينار	١٢٥٠٠ دينار
	الحى الصغير	٣٥٠٠ دينار	٢٩١٦ دينار
	الزنتفور البحري	٦٠ دينار	صارت خرابا
	الزنتفور القبلى	٧٥ دينار	صارت خرابا
	جزائر الميمون	٢٤٠٠ دينار	صارت خرابا
الفيومية	منشية الطوحين وأقصابها	٤٥٠٠ دينار	١٧٥٠ دينار
	منشية رفيع بن حاتم	٢٠٠٠ دينار	١٠٠٠ دينارا
	منية شنها	٢٠٠٠ دينار	٦٥٠ دينار
البهنساوية	ابوج	٥٠٠٠ دينار	٢٥٠٠ دينار
	ابشاق وطمبير	١٣٠٠٠ دينار	٦٠٠٠ دينار
	أبو صير قوريدس	٣٠٠٠٠ دينارا	٢٠٠٠٠ دينار
	أبو دخان	٤٠٠٠ دينار	١٠٠٠ دينار
	ادريحة وكفورها	٦٠٠٠ دينار	٢٠٠٠ دينار

الاشمونين	ابشاده	٨٠٠٠ دينار	٤٠٠٠ دينار
	البدرمان	٧٠٠٠ دينار	٤٠٠٠ دينار
	البريا الكبير	٣٠٠٠ دينار	١٠٠٠ دينار
	البريا الصغير	٣٠٠٠ دينار	٢٠٠٠ دينار
	بلبصه	٢٠٠٠ دينار	١٦٢٥ دينار
السيوطية	ذورة سريام	١٨٠٠٠ دينار	٤٥٠٠ دينار
	بوتيج	٣٨٦٥٠ دينار	٢٢٥٠٠ دينار
	جزيرة شندويل	١٠٠٠٠ دينار	٢٥٠٠ دينار
الاخميمية	المراغات وزباجير وجزائرهـا	٢٣٠٠٠ دينار	١٩٫٢٥٠ دينار
	جزائر الجبل	١٥٠٠ دينار	١٠٠٠ دينار
القوصية	الاقصرين وجزائرها	١٨٠٠٠ دينار	٩٠٠٠ دينار
	فرجوط	١٩٧٠٠ دينار	١٥٠٠٠دينار (٥٣)

ويرجع انخفاض الجباية زمن الجراكسة الى الاختلال الذى حل بالنظام الاقطاعى حين اتجه السلاطين الى نظام الوقف مدفوعين فى ذلك بعوامل سياسية وأحاسيس دينية(٥٤) ، فضلا عن الوجوه الأخرى التى وزعت عليها الاقطاعات ، مثل الأرزاق والأملاك ـ يضاف الى ذلك تلك الأحداث التى دهمت بلاد الوجه القبلى منذ النصف الأخير من القرن الثامن الهجرى ، وازدادت شدتها زمن السلطان الظاهر برقوق

---

(٥٣) ابن دقماق : الانتصار جـ ٥ ص ١٥ .
ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ١٤٧ وما بعدها وصفحة ١٧٤ .

(٥٤) محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية ، ص ٩١ .

عام ٨٠٦هـ(٥٥) ، ولنضرب لذلك مثلا فى سيوط عام ٧٤٩هـ حينما اكتسح الوباء بلاء الصعيد ، وأهلك الأهلين ، وانخفضت الجباية « بحيث كان مكلفة مساحة أرض اسيوط تشتمل على ستة آلاف يؤخذ منها الخراج ، فصارت فى سنة الوباء هذه تشتمل على مائة وستة عشر نفرا »(٥٦) .

والواقع أن معدل ما يغله الاقطاع فى الوجه القبلى فى العصر المملوكى يقل كثيرا عن مثيلاتها فى الوجه البحرى ، ذلك أن الأخير لم يطرأ عليه ضخامة الأحداث بالصورة التى رأيناها فى الوجه القبلى ، ويؤكد ذلك مقادير الجباية التى أمدنا بها « ابن الجيعان » .

ومن الأموال الخراجية ما كان زمن الفاطميين وابقاه الأيوبيون، فقد جرت العادة أن يتقرر تحصيل مبلغ من المال على الجهات التى تتوافر بها شجر السنط ، مقابل ما يؤخذ من اطراف الأخشاب لاستخدامه فى الوقود ، كما كانت تجبى رسوم أخرى وتعرف بمقرر السنط(٥٧) ، وكان يؤخذ رسوم عن القرظ ثمر شجر السنط(٥٨) ، ويصرف من مقرر السنط اجرة قطع الخشب(٥٩) ، وكان مال القرظ يستخدم فى صناعة عدد من المراكب لبيعها ، ويؤخذ من ثمنها الربع(٦٠) ، وهكذا كانت الحال زمن الأيوبيين حينما يأتى موعد قطع الأخشاب فى بلاد الوجه القبلى من البهنسا والأشمونين وأخميم،

---

(٥٥) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٩١ .

اقترنت هذه الأحداث بجور الولاه وتعديهم على اهالى النواحى الأمر الذى دفع الأهالى الى التخلص منهم ، ويذكر المقريزى أنه تعذر أخذ الخراج بعد مقتل والى قوص عام ٨٢٥هـ (السلوك جـ ٤/٢ ص ٦٤٠).

(٥٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ٢٠٩ و ٢١٠ .

(٥٧) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٦ .

(٥٨) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١١١ .

(٥٩) المقريزى : المصدر نفسه والصفحة .

(٦٠) المقريزى : المصدر نفسه والصفحة .

وغيرها وقد أهمل استخراج هذه الرسم زمن المماليك الى أن توقفت وانعدمت زمن المقريزى(٦١) •

ومن المصادر الرئيسية لموارد مصر زمن الأيوبيين والمماليك تلك الرسوم المفروضة على المعـادن التى تستخرج من المنـاجم المصرية وأهمها معدن الزمرد ويوجد بكثرة بالقرب من قوص ، وكان ينفق من الرسوم المفروضة على هذا المعدن(٦٢) على العمال ، كان جزء منهـا يخصص للديـوان(٦٣) الذى أنشىء لمعـدن الزمرد فى البر المتصـل بأسوان(٦٤) ، وظلت جباية الرسوم على الزمرد يجرى تحصيلها حتى نهاية عهـد السلطان النـاصر حسن بن محمد بن قـلاوون فى سلطنته الثانيـة(٦٥) •

المكـوس :

تعتبر من أهم الموارد المالية العامة ، ومن المعروف أن السـلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الغى معظم المكوس الفاطمية عام٥٦٧هـ وهو لا يزال نائبا عن نور الدين محمود فى مصر(٦٦) ، وقـد أبقى على بعض هذه المكوس ، واعاد بعضها(٦٧) ، منها على سبيل المثال

---

(٦١) المقريزى : المصدر نفسه والصفحة •

(٦٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٣٢ •

(٦٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٣٢ و ٢٣٣ •

(٦٤) المقريزى : المصدر نفسه والصفحات •

(٦٥) المقريزى : المصدر نفسه والصفحات •

Hyed : Histoire de Commerce, T II, P. 662.

(٦٦) كان عدد المكوس الملغاة ٨٨ مكسا ، وجملة حصيلتها فى العام الواحد مائة ألف دينار (المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٠٤ و ١٠٥) •

(٦٧) المقريزى : السلوك جـ ١/١ ص ٦٤ ـ الخطط جـ ٢ ص ٢٣٣

مكس تجار الكارم ، فكانت اعادته عام ٥٧٧هـ(٦٨) ، وكان يؤلف مثل هذا النوع من المكوس جانبا كبيرا من الموارد المالية واختص بها الديوان السلطاني ، وكانت تجبى معظمها من مدن الوجه القبلي حين كانت تفرض رسوم على البضائع التي يجلبها التجار الكارمية في البحر الأحمر من جهة الحجاز واليمن ويجرى تحصيلها في موضعين « عيذاب »(٦٩) وهي أكثر الموانى نشاطا ومن عيذاب يتم نقل البضائع الى قوص ، ومن قوص تحمل عن طريق النيل الى فندق الكارميه في الفسطاط ، واما الموضع الثاني فهو « القصير » ، ويجرى فيه تحصيل المكوس من السفن التي ترددت عليه لقرية من قوص(٧٠).

ابقى المماليك على أنواع كثيرة من المكوس ، وابتكروا أنواعا جديدة ومن الملاحظ في أمر هذا النوع من الضرائب انها لم تكن ثابتة على حال واحد طوال عصر المماليك ، فما يتطرف أحد السلاطين في جمعها وزيادة قيمتها ، ثم يعقبه سلطان آخر تغلب عليه روح العطف على الرعية ، فيلغي بعض هذه المكوس أو معظمها ، وقد انعكس ذلك على جباية المكوس بالوجه القبلي ، فقد ألغيت بعض منها،واعيد بعضها ، ومن ذلك ما أمر به السلطان الناصر محمد بن قلاوون بوقف جباية الرسوم المقررة على المباشرين بالسواحي في الوجهين القبلي والبحرى(٧١) ، كما ابطل ما كان يجبى من عرف الاسواق وبيوت

---

(٦٨) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ص ٧٢ و ٧٣ .

(٦٩) أحمد دراج : عيذاب ص ٥٧ .

(٧٠) السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين ص ١٩٣و١٩٤.

(٧١) أعيدت هذه الضريبة بعد الناصر محمد بن قلاوون واخذت شكلا آخر حين أدخلت ضمن أموال البراطيل ، وهى الأموال التى تؤخذ من ولاة البلاد ، ومحتسبيها وقضاتها ، وعمالها ، وصارت لهذه الضريبة

الفواحش فى الوجه القبلى(٧٢) ، وأعيد هذا النوع من المكوس بعد وفاة السلطان الناصر محمد ، ثم ألغى مرة أخرى عام ٧٧٥هـ(٧٣) ، ولكن سرعان ما أعيد مرة أخرى ، وظل المسئولون يقومون على جبايته طيلة عهد المماليك ، باستثناء سنتى ٧٧٨هـ و٧٨٤(٧٤) ، التى رسم فيها بالغائه حين ابطل السلطان ضمان المغانى بناحية منية بنى خصيب(٧٥) ، وابطل السلطان عام ٨٠١هـ نفس العكس بأعمال الأشمونين(٧٦) ، ومن المكوس الأخرى فى الوجه القبلى تعريف الغلال ، وضمان العرصه ، واخصاص الغسالين بمنية بنى خصيب والأشمونين ، وقد جباها المماليك ، ولكن ابطلها السلطان الظاهر برقوق عام ٨٠١هـ على يد استاداره يلبغا السالمى(٧٧) وجرت العادة أن يكتب السلطان رسوما الى بلاد الوجه القبلى يأمر فيه بابطال هذه الأنواع من الضرائب(٧٨) ، وكانت هذه المراسيم السلطانية تكتب على لوحات تذكارية يتم وضعها فى المساجد بجوار المحاريب ، ولدينا

=

شأن كبير زمن الجراكسة فى عهد الظاهر برقوق ، وكانت تمثل فى الوجه القبلى أفظع أنواع الضرائب .

(المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ١١١ ــ أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٩ ص ٤٤ وما بعدها .

(٧٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٤٥ .

(٧٣) المقريزى : السلوك جـ ٣/١ ص ٢١٧ .

(٧٤) المقريزى : السلوك ، جـ ٣/٢ ص ٦١١ .

(٧٥) المقريزى : السلوك ، جـ ٣/١ ، ص ٤٠٥ .

(٧٦) المقريزى : السلوك ، جـ ٣/٣ ص ٩٧٢ .

(٧٧) المقريزى : السلوك جـ ٣/٣ ص ٩٧٢ ــ الخطط جـ ١ ص١٠٧

(٧٨) المقريزى : السلوك جـ ٣/٣ ص ٩٧٢ .

مرسومان يرجعان الى عصر السلطان جقمق بمسجدى اللمطى والعمروى بمدينة المنيا(٧٩) ٠

وكان هناك ضرائب أخرى فرضها السلطان المؤيد عام ٨٢٢هـ ومن بعده سائر السلاطين على بلاد الجيزية برسم ترميم القناطر بها، فقرر على كل فدان عشرين درهما(٨٠) ، ولا يعفى من ذلك وقف،ومن الملاحظ أن اقامة الجسور والصرف عليها فى الصعيد الأدنى كانت من أهم المشروعات التى استرعت انتهاء السلاطين طيلة عصر المماليك ففرضوا عليها الضرائب ، حتى بلغ الأمر بالسلطان الغورى فى نهاية عصر المماليك أن يقرر على أصحاب الأرزاق والاقطاعات ثلث الخراج مقابل تعمير الفيوم ٠

ضرائب أخرى :

ومن أهم هذه الضرائب زمن الأيوبيين ما هو معروف باسم « الأموال الهلالية » ، وهى ايجارات شهرية عن جهات سكنية خاصة بالسلاطين الأيوبيين وكانت هذه الجهات تستخدم لسكن أرباب الحرف وصناعاتهم المنزلية المختلفة ، وكانت تجبى حسب الشهور القمرية ، ويذكر عنها النويرى(٨١) و « المقريزى »(٨٢) ، انها مجموعة

---

(٧٩) لا يزال هذان المرسومان موجودان بالمسجدين المشار اليهما ، ومما يذكر أن هذه المراسيم كانت قبل العصر المملوكى تعلق على أبواب المدن والحصون ٠

(٨٠) المقريزى : السلوك جـ ٤/١ ص ٤٨١ و ٤٨٢ ٠
اشترك الفلاح والمقطع فى اداء هذه الضريبة ، فدفع الأول ستة دراهم والثانى أربعة عشر درهما (المقريزى : السلوك ، جـ ٤/٢ ص ٤٨١ و ٤٨٢) ٠

(٨١) نهاية الأرب ، جـ ٨ ص ٢٢٨ ٠

(٨٢) الخطط ، جـ ١ ص ١٥٧ ٠

الايجـارات المتحصلة من حوانيت الصـناع والصـباغين والحاكة ، والعطارين والشماعين والسيوفيين ، والسروجيين ، وغيرهم فضلا عن ايجارات الطواحين والحمامات والافران ، والرباع السكنية(٨٣)، وفى هذا المعنى تكثر الأموال الهلالية فى جهات كثيرة من بلاد الوجه القبلى، مثل الفيـوم وأسوان ، وهى بلاد تميـزت بكثرة رباعها وأسـواقها وحوانيتها ، وفى ذلك تشير المصادر على أن هذين الاقليمين يعدان من أفضل البلاد من حيث كثرة الأموال الهلالية ، فيذكر القاضى الفاضـل فى متجددات سنة ٥٨٥هـ متحصل ثغر اسوان بلغ خمس وعشرين ألف دينار(٨٤) واورد النابلسى قائمة تفصيلية عن الأموال الهلالية المتحصلة من مدينة الفيوم زمن السلطان الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤١هـ ومبلغها ١٧٣٣ دينار،وكان للمقطعين الأمراء منها ١١٠٠ دينار والباقى وقدره ٦٢٣٥ دينار كل من نصيب الدولة(٨٥) ، منها ٢٤٧ دينـار من معمل الفرج(٨٦)،وثمانية دنانير من مواقف الصيادين(٨٧) ١٧٠ دينار من ايجارات الحوانيت المرتبة لائحة المساجد واجرة قباب الفاخور(٨٨) وخمسون دينارا من بئر الحمام الديوانيه(٨٩) ، و٢٠٥ دينـارا من « دار الغرابيل »(٩٠) .

---

(٨٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٤١ .

(٨٤) المقريزى : الخطط ، ج ١ ص ١٩٨ .

(٨٥) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٢٧ و ٢٨ .

(٨٦) النابلسى : المصدر نفسه ، ص ٣٣ و ٣٧ و ٣٨ .

(٨٧) النابلسى : المصدر نفسه ص ٣٠ .

(٨٨) النابلسى : المصدر نفسه ص ٢٧ و ٢٨ .

(٨٩) النابلسى : المصدر نفسه ص ٢٧ و ٢٨ .

(٩٠) النابلسى : المصدر نفسه ، والصفحات .

واهتم المماليك بجباية الأموال الهلالية ، على أن المصادر المعاصرة لم تعطنا فكـرة واضحة عن جباية هذا النـوع من الضرائب فى بلاد الوجه القبلى ، ومن الثابت أن أهالى تلك البلاد قد قاسوا الكثير من النكبات التى حلت بهم عـلى الأخص زمن الجراكسة ، وقد اضـطر بعض السلاطين اذاء ذلك — الى اعفاء الأهالى من جباية هذه الموارد، وصدرت الاعفاءات فى صورة مراسيم سلطانية علقت بجدران المساجد، ومن ذلك مرسوم سلطانى باسم السـلطان الظاهر جقمق (٨٤٢هـ — ٨٥٧هـ) بمسجد اللمطى بمدينة المنيا ينص على عفو ضريبى للصادرات والواردات بمدينة منية بنى خصيب احدى بلاد الأشمونيين •

ولجأ بعض السـلاطين الى وقف الأملاك على أصحاب الحـرف والصنائع ببلاد الوجه القبلى حماية لهم من جباية الضرائب ، فأصدر السلطـان قايتباى (٨٧٢هـ — ٩٠١هـ) مرسـوما بوقف عدة أمـلاك لأصـحاب الحرف من البزازين والصناعية والبزازين ، والاسـكافية بناحيـة سوهاج(٩١) ، على أن الحرفيين لم ينجحوا من ظلم وجـور الحكام الذين تسلطوا على الأملاك الموقوفة ، وطالبوا باعادة جبـاية الضرائب بعد قيتباى ، ولدينا مرسـوم سلطانى أصدره السـلطانى قانصوه الغورى (٩٠٦هـ — ٩٢٢هـ) يثبت فيه ملكية أصحاب الحـرف الأملاك التى أوقفها السلطان قايتباى(٩٢) •

والأمر الجدير بالاعتبار أن المراسـيم السلطانية فى هذا الشـأن قد خصت بلاد الوجه القبلى دون غيرها ، وكان السلطان اذا صـدر مرسوما يبغى من ورائه العطف على الرعية الذين قاسوا أشد ألوان الظلم والجور منذ القـرن التاسع الهجـرى ، مما يؤكد صحة قـول

---

(٩١) لا يزال هذا المرسوم موجودا بالمسجد الكبير بمدينة سوهاج
(٩٢) انظر الملاحق •

المقريزى المعاصر الذى أثبت فى خططه أمر دثور بلاد الصعيد منذ أيام السلطان الظاهر برقوق •

ومن الموارد المالية ، التركات ، ويقصد بها مال من يموت وليس له وارث خاص ، وكان يتولى الاشراف عليها « ناظر » من قبل السلطان ، مهمته جمع ايرادها ، وارساله الى بيت المال ، واما ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية فى الوجهين القلبى والبحرى فلها مباشرون يقومون بارسال ما يتحصل منها الى الديوان السلطانى(٩٣) ولم تمدنا المصادر بشىء يذكر عن متحصلات المواريث فى الوجه القبلى، اللهم الا تلك الاشارة التى أوردها النابلسى(٩٤) عن هذه المتحصلات فى الفيوم والتى بلغت زمن الصالح نجم الدين أيوب ٤٣٤ دينارا ونصف ، واذا كانت بلاد الوجه القبلى قد تعرضت للتخريب والفناء منذ نهاية عصر المماليك البحرية وأوائل المماليك الجراكسة فأننا نتوقع كثرة أموال المواريث منذ ذلك الحين فى هذه البلاد •

مما تقدم يتضح لنا أن بلاد الوجه القبلى احتفظت بقدر كبير من الازدهار الاقتصادى زمن الأيوبيين والمماليك مما ساعد على تنمية الثروة فى مصر ، لكن أحداث المحن التى طرأت على هذه البلاد منذ سنة ٨٠٦هـ أفقدتها أهميتها ، وكان من أثر ذلك أن اضطربت الأحوال الداخلية لتلك البلاد،فنقصت ثرواتها،وانعدمت محصولاتها •

---

(٩٣) محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس فى مصر ، ص ١٤٧ •

(٩٤) تاريخ الفيوم : ص ٢٥ •

الباب الثانى

الحيـاة الاجتماعية فى الوجه القبلى منذ قيام الدولة الأيوبية حتى سـقوط الدولة المملوكية

ـ عناصر السكان :

١ ـ العـرب .
٢ ـ المغـاربة .
٣ ـ أهل الذمة .
(الأقباط ـ اليهود) .
٤ ـ الأسـالمة .

ـ مظاهر الحياة الاجتماعية :

(أ) ترف الحكام وكبار رجال الدولة .
(ب) الأخلاق والعادات .
(جـ) الحياة العامة فى المدينة والقرية .
(د) المواسم والأعياد والمجالس الاجتماعية .

أولا : عنـاصر السكان

١ ــ العـرب :

بدأت القبائل العربية تزحف عــلى بلاد الوجه القبلى بعد الفتــح العربى ، وأخذت الجموع تعمل على صبغ هذه البلاد بالصبغة العربية عن طــريق الاتصال التدريجى والاختــلاط بالمصريين(١) ، واستغرق ذلك سنين عددا(٢) ، وظلت هذه القبائل تتــوافد على بلاد الوجــه القبلى حتى استقرت استقرارا فعليا فى العصر الفــاطمى ، ومنذ ذلك الوقت أخذت كل قبيلة تسيطر على منطقــة معينة فى الوجــه القبلى

---

(١) إبراهيم أحمد العدوى : مصر الاسلامية ، انظر نظام الارتباع

(٢) ازداد هــذا الاختــلاط منذ النصف الأول من القــرن الثالث الهجرى حينما زحف العرب الى ريف مصر للبحث عن حياة أفضل بعد أن فقدت القبائل امتيازاتها العسكرية والادارية والمالية منذ عام ٢١٨هـ الذى أصدر فيه الخليفة العباسى « المعتصم » قراره ، باسقاط حق العرب من العطاء وفرض عليهم الخراج مما ساعد على تغلغل العنصر التركى فى ادارة شئون دولته (ابن خلدون المقدمة ، ص ١٥٢ ــ المقريزى : الخطط ج ١ ص ١١١) .

Macmechael : History of Arabs in the Sudan, VI, PP. 155—166.

وبدأ الاختلاط الفعلى بين العرب والمصريين منذ ذلك الوقت ، ونزلت القبائل العربية ضمن ما نزلت بلاد الوجه القبلى ، وشهدت هذه البلاد الهجرات العربية بمعناها الواسع .

Macmechael : Ibid, VI, P. 137.

وظهرت فى صورة احلاف عربية كان هدفها مواجهـة تزايد العنصر(٣) التركى واسـتخدمت الأحلاف أيضـا فى المنـازعات القبلية ، وكان الفاطميون يعاملون هذه الجموع معاملة تنطوى على العطف واللين ، ولما أحس العرب بزوال دولة الفاطميين ثاروا فى الصعيد سنة ٥٦٦هـ ، فأرسل اليهم صلاح الدين أخاه شمس الدولة لوقف تمردهم ، وظـل شمس الدولة يحاربهم شـهرين ونصف(٤) ، ولما ولى صـلاح الدين السـلطنة رأى وقف هذا التمـرد فمنح العرب الاقطاعات ، وامتـد تنظيمه الاقطاعى الى القبائل العربية حتى صار لهذه القبائل اقطاعات متفرقة فى الديار المصرية(٥) ، ومع ذلك لم يسلم صـلاح الدين من شر عربان الصعيد ـ خصوصا ـ هؤلاء العربان الذين تزعموا فكـرة أحياء الدولة من جديد،ومنهم أبناء قبيلة ربيعة بزعامة كنز الدولة الذى رأى فى رغبة أهل مصر لاحياء الخلافة الفاطمية فرصة لاعلان الجهاد ضد

(٣) سـيطرت قبيلة قريش على معظم الصـعيد الأوسـط فى بلاد الأشـمونيين (المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٣٩) فى حـين تغلبت بلى وجهينة على جهات كثيرة فى الصعيد الأعلى .

وقد ظهرت الأحلاف فى بلاد الأشـمونيين فى العصر الفـاطمى ، فتدفق على هذه البلاد جماعات من بيوت قريش ، وظهرت جماعات منهم فى صورة أحلاف تجمع بيوتا مختلفة من القرشيين ومواليهم ، وكان هذا الحلف القرشى يتألف من عدة بطون من بنى جعفر بن أبى طالب ، وكان معهم بنو مسـلمة بن عبـد الملك بن مروان ، ومعهم بطن آخر يقـال له بنو عسكر ، ومعهم حلفاء من بنى خالد بن يـزيد ابن معـاوية بن ابى سفيان ، ومنذ ذلك الوقت صارت بلاد الاشمونين تعرف فى كتب العرب ببلاد قريش (المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ١٩٠)

(٤) ابو شامة : الروضتين فى اخبار الدولتين ، جـ ١ ص ١٩١

(٥) المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٢٢ الى ٢٧

الأيوبيين(٦) ، فهاجم الأيوبيون بنى الكنز بجيش من قبل السلطان صلاح الدين تحت أمرة أخيه الملك العادل سنة ٥٧٠هـ(٧) ، وهزموهم، وانسحب أكثرهم من أسوان صوب الجنوب(٨) ، واتخذوا بلاد قريش مركزا لنشاطهم(٩) ، ومنذ ذلك الحين بدأ السلطان صلاح الدين يباشر نشاطاته فى الخارج والداخل « واستقرت له قواعد الملك »(١٠)، على أن العرب عادوا الى الثورة من جديد فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب حينما وجد فى تمرد عربان الصعيد ما يبعده عن تنظيم أمور دولته ، فأرسل على الفور عام ٦٣٨ هـ عسكرا بقيادة زين الدين بن أبى زكرى لقتال عرب الصعيد(١١) « ولما تمكن هذا الجيش

---

(٦) ابو شامة : الروضتين ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ ــ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ٧ ص ١٦٥

(٧) أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٢٣٥ ــ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ٦ ص ١٦٥ . وكان الملك العادل قد اغار فى نفس السنة على رجل من عرب ، ثار بقوص ونهبها ويدعى « عباس بن شادى » فأوقع به ، وفض جموعه وقتله (أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ٢٣٥) .

(٨) يذكر ابن خلكان ان ثمانين ألف من أتباع كنز الدولة قد قتلوا فى هذه المعركة (ابن خلكان وفيات الاعيان ، جـ ٦ ص ١٦٥)

(٩) عبد المجيد عابدين : البيان والاعراب دراسة فى العروبة والاسلام ص ١٢٥ .

(١٠) أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ ــ ابن خلكان : المصدر نفسه ، جـ ٦ صفحة ١٦٥ .

(١١) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/١ ، ص ٣٠٠ ــ الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٣٦ .

من الايقاع بهم أخذ السلطان يشرع فى النظر فى مصالح دولته ، وتمهيد قواعد مملكته ، ونظر فى عمارة أرض مصر »(١٢) .

وكان عصر الأيوبيين أخف وطأة على العرب ، وأقرب الى نفوسهم من العصر المملوكى ، فقد اشتدت رغبة العرب فى مقاومة المماليك الذين مسهم الرق ، ولم ير المماليك بدأ من وقف هذه المقاومة بشتى الصور والوسائل ، فبدأت حركة المقاومة فى صعيد مصر بزعامة الجعافرة الأشراف الذين رأوا أنهم أحق بحكم البلاد من المماليك(١٣)،فأعدوا العده فى سنة ٦٥١هـ ، وقاموا بحركة واسعة النطاق فى بلاد الصعيد بقيادة الشريف الأمير حصن الدين بن ثعلب الذى أعلن أن العرب هم أصحاب البلاد،ومنع الأجناد من تناول الخراج(١٤) ، واتخذ الشريف « دهروط » من الصعيد الأوسط(١٥) مركزا لقيادة حركة المقاومة ، وصادفت هذه الحركة قبولا لدى عرب الوجه البحرى ، فأتت جموع كثيرة منهم من أطراف البحيرة ، والصعيد الأدنى — من الجيزة

---

(١٢) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/١ ، ص ٣٠٠ — الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٣٦ .

(١٣) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/١ ، ص ٣٨٦

(١٤) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/١ ، ص ٣٨٦ وما بعدها — الخطط ، جـ ٢ ص ٢٣٨ — البيان ، ص ٢٥

(١٥) أطلق على هذه الناحية عدة أسماء ، فسميت « دروت سريام » ، « ودروط سريان » ، « ودروة سريام » ، « ودروط الشريف » والتسمية الأخيرة عائده على صاحب تلك الناحية « الشريف بن ثعلب » . وكان موقع تلك الناحية بين النيل وترعة المنهى ، ودهروط هى ديروط الحالية احدى مراكز محافظة اسيوط .

المقريزى : السلوك جـ ٢/١ ص ٣٨٧ انظر حاشية (١)

والفيوم ــ وانضموا الى الشريف(١٦) ، وبلغ عــدد فرسانهم اثنى عشر ألفا(١٧) ، فتصــدى لهم المماليك ، وأوقعــوا بهم بناحية دروط وغيرها(١٨) ، فقتــلوا منهم مقتله عظيمــة ، وغنموا مغانم كثــيرة ، وأخمدوا جزوة ثورتهم،وفر الشريف،وطلب الأمان ثم قبض عليه(١٩)، وأمرا المعز أبيك أول سلاطين دولة المماليك البحرية بزيادةالقطيعة(٢٠)، على العرب ، وبزيادة القود(٢١) المأخــوذ منهم وقد أخــذ عســكر المعز أبيك من العرب الثروات الطــائلة ، من « الأســلاب والنســوان والأولاد والخيول والمواشى ما عجزوا عن ضبطه »(٢٢) ٠

---

(١٦) المقريزى : السلوك ، ج ١/٢ ، ص ٣٨٧ و ٣٨٨

(١٧) المقريزى : المصدر نفسه ، ج ٢/١ ، ص ٣٨٧ و ٣٨٨

(١٨) تمكن المماليك بفضــل مهارة القائدين فارس الدين اقطــاى المستعرب ، وفارس اقطاى الجمدار ــ المقــريزى : الســلوك ، ج ٢/١ ص ٣٨٧

(١٩) بعث الشريف الى الملك المعز ايبك يطلب الامان فأمنه ،ووعده باقطاعات له ولأصحابه ،لكن المعز لم يلبث ان قبض على الشريف وجموعه حينما قدموا عليه ليحضروا مجلسه ببلبيس ، وامر المعز بشنق جمــوع الشريف وعدتهــم الفي وســـتمائة فارس ، وبعث بالشريف الى ثغــر الاسكندرية حيث سلم لواليها وحبس ٠

المقريزى : السلوك ، ج ٢/١ ، ص ٣٨٧ و ٣٨٨

(٢٠) القطيعة ، هى ما يفرضه الســـلطان من المال على ولاية أو ناحية (المقريزى : السلوك ، ج ٢/١ ص ٣٨٧)

(٢١) القود : هو ما يبعث به من قبــائل العرب الى السـلاطين كالخيول (المقريزى : السلوك ، ج ٢/٢ ص ٣٨٧)

(٢٢) المقريزى : السلوك ، ج ٣/١ ، ص ٣٨٧ و ٣٨٨

لم يكف الحرب عن ازعاج السلطة الحاكمة « فهمــوا سنة ٦٦٠هـ بتغيير الممالك ، وثبوا على والى قوص وقتلوه »(٢٣) ، فســار اليهم الأمير عز الدين الأفرم ، وأوقع بهم ، وثاروا ــ أيضا ــ سنة ٦٨٩هـ فى قــوص ، فسار اليهم الأمــير طرنطاى ، وقتلــ جماعة منهم، وغنم منهم ألف رأس من الغنم وألف ومائتى فرس ، وألف جمل ، وسلاح لا يقع عليه الحصر(٢٤) .

تعددت ثورات العربان فى صــعيد مصر زمن المماليك ، وشــغلوا بذلك السلاطين والأمراء ، وقد دأبوا على شن الأغارات على البلاد، والرغبة فى الاستيلاء على ما بيد الأتراك من ثروات ، وكثــيرا ما كانوا ينتهزون فرصة الفتن الداخلية بين الأمراء ، أو خروج الجنــود الى غزوة خارج مصر(٢٥) ، ثم يغيرون على البلاد وفلاحيها ، وزراعها ، فيسلبون ما لديهم من أقوات وأموال ون ذلك ما حدث عام ٧٠١هـ حين كثر فساد العربان بالوجه القبلى ، وقطعوا الطريق وفرضوا على التجار

---

(٢٣) المقريزى : السلوك ، جـ ١/٣ ، ص ٤٧١

(٢٤) المقريزى : السلوك ، جـ ١/٣ : ص ٧٥١

(٢٥) خرج عربان الوجه القبلى عن طــاعة الســلطان عام ٧٠٠ هـ حين كان السلطان مشغولا بحروبه مع غازان ،فخرج اليهم الوزير شمس الدين سنقر الأعسر فى عدة مائة من المماليك السلطانيه الى الوجه القبلى واوقع بهم ، وقتل منهم ، واخذ سائر الخيول التى ببلاد الصعيد ، وعاد من قوص ومعه الف وستون فرســا وثمانمـــائة وسبعون جمــلا والف وستمائة رمح ، والف ومائتا سيف ، وست الأف رأس من الغنم « فسكن ما بالبلاد من الشر ، وذلت الفلاحون ، واعطوا الخراج .

المقريزى : السلوك ، جـ ١/٣ ص ٩١٤

وأرباب المعايش بسيوط ومنفلوط فرائض «جبوها شبه الجالية» (٢٦)، واستخفوا بالولاة ، ومنعوا الخـــراج ، وبلغ الأمر بهم أن تســـموا بأسماء الأمـــراء (٢٧)، وتقلدوا زى الجنـــود (٢٨) ، وأخرجوا أهـــل السجون (٢٩) ، واضطر الأمراء الى الخروج اليهم بعد أن افتوا القضاء بجواز ذلك (٣٠) ، وحينئذ منع الأهالى من السفر الى الصعيد فى البر والبحر ، ووضع العسكر المملوكى (٣١) السيف فى كل من وجدوه من عرب الصعيد حتى قتلوا من بجانبى النيل حتى قوص بعد أن أخذوا أموالهم وسبوا نساءهم ، وأسروا كثيرا منهم (٣٢) ، وكان من نتيجـــة ذلك أن تدهورت الحياة الاجتماعية فى صعيد مصر ، وفى ذلك يذكـــر ابن تغرى بردى (٣٣) (وخلت بلاد الصعيد من أهلها بحيث صـــار الرجل يمشى فلا يجد فى طريقه أحد ، ينزل القرية فلا يرى الا النساء والصبيان) ، فأطلق السلطان من وقع فى الأسر لحفظ البلاد (٣٤) ،

---

(٢٦) المقريزى : السلوك ، ج ٣/١ ، ص ٩٢٠ ــ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٤٩ و ١٥٠

(٢٧) المقريزى : السلوك ، ج ٣/١ ص ٩٢٠ ــ ابو المحـــاسن : النجوم ج ٨ ، ص ١٤٩

(٢٨) ، (٢٩) المقـــريزى : الســـلوك ، ج ٣/١ ، ص ٩٢٠ ــ ابو المحاسن : النجوم ج ٨ ، ص ١٤٩ و ١٥٠

(٣٠) المقريزى : المصـــدر نفســـه ، ج ٣/١ ، ص ٩٢٠ و ٩٢١ ــ ابو المحاسن : المصدر نفسه والصفحات

(٣١) وزع العسكر لقتال العرب فى الصعيد على عدة اقســـام ، ففريق رحل الى الواحات ، وآخر الى الفيوم ، وثالث الى قوص ، ورابع الى الجيزية والأطفيحية .

المقريزى : السلوك ، ج ٣/١ ص ٩٢١ و ٩٢٢

(٣٢) المقريزى : السلوك ، ج ٣/١ ، ص ٩٢١ ــ ٩٢٢

(٣٣) النجوم الزاهره : ج ١ ، ص ١٥٢ ــ ١٥٤

(٣٤) أبو المحاسن : النجوم ، ج ٨ ص ١٥٢ ــ ١٥٤

ومما يجدر ذكره أن الغنائم التي انتزعها العسكر من بلاد الصعيد قد فاضت بحيث صادر للديوان السلطاني الكثير منها(٣٥) كما كثرت الأموال والغنائم بأيدى الجند والغلمان والفقراء الذين كانوا بأرض الصعيد حتى لجأوا الى بيع ما بأيديهم بأرخص الأثمان(٣٦)،ولم يلبث العربان أن ثاروا مرة أخرى وعاثوا فى البلاد فسادا عام ٧١٣هـ ، فاضطر السلطان الناصر محمد بن قلاوون الى التوجه الى الصعيد لوقف تمردهم(٣٧) ، وأوقع بهم ، وأسر نحو النصف منهم(٣٨) •

واستمر فساد عربان الصعيد فى سنة ٧١٩هـ(٣٩) وسنة٧٣١هـ(٤٠) وسنة ٧٣٩هـ(٤١) ، وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون يرسل اليهم

---

(٣٥) صار للديوان السلطانى من الغنائم ستة عشر ألف رأس من جملة ثمانية ألف رأس ما بين ضأن وماعز ، ومن السلاح نحو مائتين وستين جملا ومن الأموال المحملة على البغال نحو مائتين وثمانين جملا ، وكذا اربعمائة الف فرس ، وثلاثة الأف جمل ، وثمانية الاف رأس من البقر ، غير ما ارصد فى المعاصر • (ابو المحاسن النجوم ، جـ ٨ ، ص ١٥٢ ـ١٥٤)

(٣٦) باعوا الكبش الثمين بدرهم واحد ، وكان يباع بثلاثة دراهم ، وباعوا رأس الماعز بدرهم ، والجرة الصوف بنصف درهم ، ورطل السمن بربع درهم ، ولم ير من يشترى الغلال لكثرتها (أبو المحاسن : النجوم جـ ٨ ، ص ١٥٢ و ١٥٤

(٣٧) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ص ٣٦

(٣٨) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ص ١٥٨ و ١٥٩

(٣٩) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/١ ، ص ١٩٤

(٤٠) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/٢ ، ص ٣٣٥

(٤١) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/٢ ص ٤٣١

التجريدات ، وظفر الناصر من خلال ذلك بكثير من ممتلكاتهم ، ويبدو أن الناصر محمد بن قلاوون أحكم السيطرة على عربان الصعيد الأدنى القريبين من العاصمة ، ولما انتهى عهد الناصر محمد بدأ هؤلاء العربان يعبرون عن سخطهم فى صورة ثورات فى سنة ٧٤٣هـ(٤٢) ، وفى سنة ٧٤٨هـ ، وسنة ٧٤٩هـ ، وسنة ٧٥١هـ وسنة ٧٥٢ وسنة ٧٥٣هـ، وكانت أعظم هذه الثورات فى الفيوم والسيوطية الأطفيحية(٤٣)،ومما يذكر أن عرب الفيوم (أغار بعضهم على بعض ، وذبحوا الأطفال على صدور أمهاتهم .... ومنعوا الخراج فى الجبال .... وقطعوا المياه حتى شرق أكثر بلاد الصعيد)(٤٤) ، وانشغل الأمراء بشئونهم الخاصة(٤٥) ، ولم يكن السلاطين أسلم حالا من الأمراء ، فقد شغلوا بالمنازعات الداخلية عن وقف خطر العرب بالصعيد ، ويذكر المقريزى(٤٦) ، أن العرب فى سنة ٤٧٨هـ قطعوا الطرقات على المسافرين ، ولم يعبأ السلطان بذلك ، وفى سنة ٧٤٩هـ وسنة ٧٥١هـ أغار العرب على بلاد الصعيد ، وقتلوا كاشف الوجه القبلى ، ونهبوا الغلال، وقطعوا الطرقات ، ودخلوا سيوط ونهبوها ، ولم ترسل اليهم التجريدات خوفا على هلاك(٤٧) المزارع ، وبلغ من هول معارك العربان فى الصعيد سنة ٧٥٢هـ أن اضطر السلطان الى ندب الأمراء من جاهت مختلفة لمقاومة هذا الخطر الداهم ، وأفاد الأمراء من ذلك،

---

(٤٢) انتهز العرب فرصة غياب السلطان الناصر احمد بن الناصر محمد بالكرك وأعلنوا ثورتهم . المقريزى : السلوك جـ ٢/٣ ص ٦١٧

(٤٣) المقريزى : السلوك جـ ٢/٣ ، ص ٨٤١

(٤٤) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/٣ ، ص ٦٦٨

(٤٥) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/٣ ، ص ٨٥٠

(٤٦) السلوك ، جـ ٢/٣ ، ص ٧٣١ و ٧٣٢

(٤٧) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/٣ ، ص ٧٧٠

فترقوا فى الرتب بحيث صار الأمير من أمرة عشرة الى أمرة أربعين ثم الى تقدمة ألف ، وهكذا (٤٨) ، فضلا عن زيادة اقطاعاتهم (٤٩) .

واشتد تيار الخطر العربانى بعد موت السلطان الناصر محمد ابن قلاوون ، وكان هناك من الأسباب ما ساعد على ذلك ، ومنها سوء الحالة الاقتصادية ، وعنف النظام الأقطاعى المملوكى فضلا عن الكراهية العنصرية المماليك (٥٠) ، وكان أحد رجال عرك ويدعى « بالأحدب » (٥١) من أوائل من تزعم حركة المقاومة فى سنة ٧٥٤ وسنة ٧٥٥هـ ، فجمع جمعا كبيرا من العرب ، وأغار على البلاد ، وقتل المئات من الرجال ، ونهب المعاصر ، وأخذ حواصلها ، وذبح أبقارها، وتكاتف عرب الصعيد الأوسط فى منفلوط والمراغة مع « الأحدب » ، وقطعوا الجسور بالأشمونين (٥٢) ، وصار للأحدب من العرب فى قوص الواح (٥٣) بلاد الفيوم (٥٤) ، وعقد أمراء المشورة فى سنة ٧٥٤ هـ لوقف هذا التمرد بين يدى السلطان ، وقرروا القيام بحملات تأديبية الى قوص (٥٥) ، والسواح (٥٦) والبهنسا والفيوم (٥٧) ،

(٤٨) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ /٣ ، ص ٨٥٠

(٤٩) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ /٣ ، ص ٨٥٠

(٥٠) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ /٣ ، ص ٨٩٩ ، ح رقم (١)

(٥١) هو محمد بن واصل المعروف بالأحدب

(٥٢) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ /٣ ، ص ٨٩٦ و ٨٩٧ ، جـ ٢ /٣ ، ص ٩٠٨

(٥٣) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ /٣ ، ص ٨٩٨ و ٨٩٩

(٥٤) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ /٣ ، ص ٩٠٠

(٥٥) كان على رأس هذه الحملة الامير سيف الدين بزلار العمرى . المقريزى : السلوك ، جـ ٢ /٣ ص ٨٩٨

(٥٦) كان على رأس هذه الحملة الامير قطلبغا الذهبى . المقريزى : السلوك ، جـ ٢ /٣ ، ص ٨٩٨

(٥٧) كان على رأس هذه الحملة الامير « كاز » « وصرغتمش » . المقريزى : السلوك جـ ٢ /٣ ، ص ٩٠٠

وأوقع الأمـراء بهم ، واسـتولوا على كثير من الأراضى القريبة من النيل (٥٨) وفر الأهالى واختفى بعضهم فى حفـائر تحت الأرض ، « وقبضوا على النسـاء والصبيـان ، وعـاقبوهم حتى دلوهم على الرجال » (٥٩) ، واختفى كثير من العرب (٦٠) ، وامتـلأت خزينة الدولة من متحصلات الغنائم (٦١) على أن هذه الحملات التأديبية لم تنجح فى احباط عزيمة العرب فى الوجه القبلى عن صد هذه السياسة الاقطاعية ، فلم يلبث الأحدب أن ادعى السلطنة ، (ومد السماط بين يديه ونفذ أمره فى الفلاحين ، وصار الجندى اذا انكسر له خراج قصده ، وسأله فى خلاصة من فلاحة ، فيكتب له ورقة لفلاحة وأهل بلده فيصل بها الى حقه) (٦٢) ، وصارت له الكلمة حتى خشاه كاشف الوجه القبلى ، وولاة الأقاليم(٦٣) ، وكان لابد من عقد المشورة للمرة الثانية بين الأمراء ، فأتموا ذلك فىشوال عام ٧٥٤ هـ ، وخرجت التجريدات صحبة الأمير سيف الدين شـيخو المعمرى ، ومعه اثنى عشر مقدمـا بمضافيهم من أمراء الطبلخاناه ، والعشرات ، وقسموا أنفسهم ، فمنهم من اتجه نحو قوص وآخر نحو السـواح ، وثالث نحـو الأطفيحية ، ورابع صوب البهنسا تحت أمرة السلطان الذى سافر بحجة الصيد (٦٤) وأخذ المعسكر العرب على حين غفلة منهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، واستولوا على كثير من أموالهم وعتـادهم — خصوصـا — فى بـلاد

---

(٥٨) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/٣ ، ص ٨٩٩

(٥٩) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/٣ ، ص ٩٠٠

(٦٠) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/٣ ، ص ٨٩٩

(٦١) المقريزى : المصدر نفسه والصفحة

(٦٢) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/٣ ، ص ٩٠٨

(٦٣) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/٣ ، ص ٩٠٨

(٦٤) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/٣ ، ص ٩٠٨ و ٩٠٩

الجيزية والبهنساوية (٦٥) ، وحشد الأحدب أما مذلك جموع جهينة وعرك ، وبنى كلب، وعرب منفلوط والمراغة حتى تجاوزت فرسانه عشرة آلاف فارس تحمل السلاح(٦٦) (سوى الرجالة المعدة ، فانها لا تعد ولا تحصى لكثرتها) (٦٧) ، وأعد الأحدب العدة لمواجهة قدوم العسكر المملوكى ، وجمع من أصحابه الأموال والمواشى والغلال (٦٨) وانتهى الأمر بهزيمة العرب(٦٩)، فتعقبهم العسكر المملوكى ،« وأقاموا على هذا عدة أيام حتى لم يبق ببلاد الصعيد بدوى » (٧٠) ، وأمر شيخو بنصب المشانق على طول البلاد وعرضها ، فكان أولها « طما » وآخرها « منية بنى خصيب »(٧١) ، وكانت هذه الواقعة(٧٢) جليلة القدر ، اذ اراح شيخو السلطان من خطر أكابر العرب ، وقتل أكثر

---

(٦٥) المقريزى : السلوك ، ج ٣/٢ ، ص ٩٠٩ و ٩١٠

(٦٦) المقريزى : السلوك ، ج ٣/٢ ، ص ٩١٠ و ٩١١

(٦٧) المقريزى : المصدر السابق والصفحات

(٦٨) المقريزى : المصدر السابق والصفحات

(٦٩) المقريزى : السلوك ، ج ٣/٢ ، ص ٩١١ و ٩١٢

(٧٠) المقريزى : السلوك ، ج ٣/٢ ، ص ٩١٣

(٧١) المقريزى : السلوك ، ج ٣/٢ ، ص ٩١٣

(٧٢) يذكر المقريزى عن هذه الواقعة انها من اعظم حوادث الصعيد خطورة حتى ان السلطان اعد موكبا للأمير شيخو حينما عاد الى العاصمة، وكان يوما مشهودا ظهر فيه الأمير شيخو فى صعوده الى القلعة والاسرى بين يديه والخيول والسلاح وكان من عظمة الأمير شيخو فى صد الخطر العربانى بالصعيد ان مدحه الشعراء ومنهم ناصر الدين النشائى أحد كتاب الانشاء ، ومدح شيخو بقوله ·

صعودك للصعيد له سعود ... به نجزت من النصر الوعود

وأرسل نحوهم فرسان حرب ... ضراغمة تخافهم الأسود

من عشرة آلاف رجل ، فضلا عن الغنائم التى غنمها ، وأودعها خزانة الدولة (٧٣) ، وتوج هذا النصر بقدوم محمد بن واصل الأحدب شيخ عرك من بلاد الصعيد طائعا بعد أن أوصى به خيرا لدى الأمير شيخو المعتضد أبى القاسم الطحاوى (٧٤) ، فكتب له السلطان بالأمان ، وعاد الى الصعيد ، « وكان لدخوله يوما مشهودا » (٧٥) •

واتجهت جهود المماليك لوقف تمرد الكنوز ، فقد هالهم من أمر الكنوز ما أقدموا عليه سنة ٧٦٧ هـ من منع التجار من السفر وقطع الطريق أمامهم ، وأخذهم أموال الناس حين تغلبوا على ثغر اسوان وصحراء عيذاب ، وبرية الواحات الداخلة (٧٦) ، ولجأ الكنوز للوقوف فى وجه المماليك الى مصاهرة أمراء العكارمة(٧٧) ، وملوك النوبة فاشتد بأسهم ، وقويت شوكتهم ، وسيقوا بأولادهم ، وأسراهم ، ونسائهم الى القاهرة(٧٨) ، بفضل معاونة ملك النوبة ، وترتب على هذه الحروب أن خربت (دنقلة) ، وانتقلت مركز الحاضرة فى النوبة الى

---

(٧٣) المقريزى : السلوك ، ج ٢/٣ ، ص ٩١٣

ومن جملة ما حمل ١٣٠٠ فرس و ١٥٠٠ جمل ، و ٧٠٠ حمار ، وأغنام كثيرة ، ومن السلاح ١٠٠ حمل من الرماح ، و ٨٠ حمل من السيوف ، و ٣٠ حمل ورق •

(٧٤) المقريزى : السلوك ، ج ٢/٣ ، ص ٩١٦

(٧٥) المقريزى : السلوك ، ج ٢/٣ ، ص ٩١٦

(٧٦) المقريزى : السلوك ، ج ٣/١ ، ص ١٠٩

(٧٧) العكارمة بطن من الأوس من القحطانية ، وكانوا يسكنون صعيد مصر بجوار منفلوط • المقريزى : السلوك ، ج ٣/١ ، ص ١٠٩ ، ح ١ و ٢

(٧٨) المقريزى : السلوك ، ج ٣/١ ، ص ١١١ و ١١٢

« الدو » (٧٩) ، ولا ننسى أن ملك دنقلة قد لقى مقاومة شديدة من عرب بنى جعد (٨٠) بالصعيد الأوسط حينما عاونوا أحد الخارجين عليه ، وأقاموه فى الملك بدلا منه ، وانتهى الأمر بأن دبر لهم أحد أعوان الملك فى دنقلة مؤامرة أفنت معظمهم ، ومهما يكن من أمر هذه المناوشات ، فقد ساعدت هجرة القبائل العربية الى بلاد النوبة منذ أواخر القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى على صبغ هذه البلاد بالطابع العربى خاصة جهينة وحلفائها فزارة التى انطلقت الى جنوب النوبة تاركة الأقاليم الشمالية لبنى كنز وعكرمة (٨١) .

ويلاحظ أن مملكة علوة قد ضعفت الى درجة الانحلال فى القرن الثالث عشر الميلادى بسبب ضغط المجموعات العربية التى تكاثرت الى حد كبير (٨٢) .

استمر النزاع بين العرب وحكام المماليك قائما ، ولم يكف العرب عن التمرد ، وازدادت ثوراتهم على عهد الجراكسة رغم ما كانوا يلقونه من أشد أنواع التنكيل (٨٣) ، وكانوا فى هذا العهد أكثر استقلالا ، واتباعا لتقاليدهم الخاصة (٨٤) ، فكانوا يختارون من بينهم أميرا لكل

---

(٧٩) سعيد عاشور : مصر فى عصر المماليك البحرية ، ص ٩١

(٨٠) بنى جعد ، بطن من لخم منازلهم ساحل اطفيح من البر الشرقى بصعيد مصر .

(٨١) سعيد عاشور : مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ، ص ٦١

(٨٢) الشاطر المصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارة السودان الشرقى والأوسط ص ١٠٧ و ١٠٨ .

(٨٣) طرخان : مصر فى عصر مماليك الجراكسة ، ص ٢٦٧

(٨٤) محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ونتاجهم العلمى والأدبى ، ص ٣٢٨

قبيلة يشترط عند اختياره أن يجمع بين صفات القوة البدنية ؛ والرغبة فى مسايرة الأحداث (٨٥) ، وكان للعرب فى كل اقليم أمـير ، فعرب الفيوم عليهم أمير يسمى « أمير عرب الفيوم » (٨٦) ، وتماسـكت العناصر العربية فى صعيد مصر ، وأصبحت أشد قوة ، وأصلب عودا عن ذى قبل ، وكانوا أكثر ضراوة فى مناهضة السلطة ، فكثر شرهم منذ أواخر القرن الثامن الهجرى حتى مستهل القرن العاشر (٨٧) ، وكانت هذه الثورات فى معظمها ضد النواب والولاة بالوجه القبلى وأسفر كثير منها عن مقتل عدد كبير منهم (٨٨) ، كما استهدفت ثروات البلاد (٨٩) ، ومما ساعد على كثرة فسادهم نزول طائفة جديدة من العرب على صعيد مصر ،

---

(٨٥) السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ١٥٨

كان عيسى بن يوسف أمير هواره سنة ٨٦٣ « طوالا بدنيا ، مليح الشكل ، عفيفا عن المنكرات .. ذا مشـاركة بالجملة » السخاوى : الضوء ، ج ٦ ، ص ١٥٨

(٨٦) المقريزى : السلوك ، ج ٢/٣ ، ص ٥٧٤

(٨٧) ومن أهم الثورات تلك الثورات التى فجرها العرب فى صعيد مصر فى سـنين ٧٨٥ هـ و ٧٨٧ هـ و ٧٩٠ هـ و ٧٩٢ هـ و ٧٩٦ هـ ، و ٧٩٧ هـ و ٧٩٨ هـ و ٨٠١ هـ و ٨٠٢ هـ و ٨٠٣ هـ و ٨٠٤ هـ ، و ٨١٨ هـ و ٨٢٠ هـ و ٨٢١ هـ و ٨٢٢ هـ و ٨٢٥ هـ و ٨٣٨ هـ ، و ٨٤٣ هـ و ٨٤٤ هـ و ٨٧٠ هـ و ٨٧٢ هـ و ٨٩٢ هـ و ٩٠٢ هـ و ٩٢٠

(٨٨) من ذلك اغار الأحامدة عام ٧٩٨ هـ على قطلبغـا الطشتمرى وقتله (المقريزى : السلوك ، ج ٣/٣ ، ص ٨٥٨) وقتـل الهواريون عام ٨٠٤ هـ سنقر التركمانى كاشف الوجه القبلى .

(المقريزى : السلوك ، ج ٢/٣ ، ص ١٠٨٩ و ١٠٩٠)

(٨٩) المقريزى : السـلوك ، ج ٢/٣ ص ٤٩٨ و ٦٩٠ و ٨٦٠ و ٨٦١ ، أحداث سنة ٧٨٥ هـ و ٧٩٢ هـ و ٧٩٨ هـ

وهم عرب «هوارة» الذين أنزلهم بهذا الاقليم السلطان برقوق، والهواريون أكثر ميلا للشغب وأكثر حبا للنصب والتملك، ولما وقعت الخصومة بينهم انقسموا فريقين وتربص كل فريق بالآخر، اتخذت القبائل العربية الأخرى من ذلك فرصة لنصرة فريق على آخر رغبة فى الحد من خطورة هذه الأعداد الكبيرة من هوارة (٩٠) ، وتحول الأمر الى عداء بين الهواريين والقبائل العربية الأخرى وازدادت الفتن ، وفى هذه الحالة انشغل الولاة والنواب بالوجه القبلى وظلوا بعيدا عن السلطه الحاكمة (٩١) •

استمر فساد العرب فى صـــعيد مصر حتى أوشك هذ الاقليم أن يكون قسما مستقلا بذاته يحكمه العرب ، يحدثنا المقريزى (٩٢) سنة ٨٢٥ هـ عن ذلك بقوله « وبلاد الصعيد قد عاث بهـــا العربـــان ، وكثر فسادهم » •

واضطر سلاطين المـــاليك الى ارضـــاء العرب ، فأنعموا عليهم وزادوا فى اقطاعاتهم (٩٣) ، وعهدوا الى أحد قـــادتهم بحكم الوجه القبلى (٩٤) ، لكنهم من ناحية أخرى اتخذوا التدابير اللازمة للايقاع بهم ، فولوا عليهم الأمراء (٩٥) ، وأرسلوا اليهم التجريدات ، وكانت

---

(٩٠) المقريزى : السلوك ، جـ ٣/٢ ، ص ٩٢٧ ، انظر

(٩١) المقريزى : السلوك ، جـ ٣/٣ ، ص ١٠٠٢ ، انظر

(٩٢) السلوك ، جـ ٤/٢ ، ص ٦٠١

(٩٣) المقريزى : السلوك ، جـ ٣/٣ ، ص ١٠٦٩

(٩٤) عين السلطان قايتباى داود بن سليمان امير هوارة فى امرة الوجه القبلى •

المقريزى : السلوك ، جـ ٣/٣ ، ص ١٠٦٩

(٩٥) من ذلك ما حدث سنة ٨٩٨هـ حين عين يشبك الدوادار أميرا على هواره عوضـــا عن الأمير أحمد بن عمر الهوارى ، ولم يحدث أن تولى أحد الأمراء أمرة العرب قبل ذلك •

أعظمها فاعلية تلك الحملات التى أرسلها السلطان قايتباى بقيادة يشبك الدوادار وأقبردى فى سنين ٨٧٣ هـ (٩٦) و ٨٨١هـ و ٨٩٨هـ ، وتمكن هذان الأميران من الايقاع بهم ، وكسر شوكتهم ، وبلغ من حرص هذين الأميرين على سلامة البلاد أن ظل أقبردى زمنا ببلاد الصعيد يقضى على الفتنة التى وقعت بين القبائل – خصوصا – بين طرفى هوارة ، وبين قبيلتى حرام وبنى وائل سنة ٩٢٠ هـ ، وجاءت هذه الفتن نذيرا بزوال الحركة العربية،حتى اننا لم نسمع عن ثورات تذكر بصعيد مصر بعد أن احتدم الصراع بين القبائل ، وأضعفوا أنفسهم بأنفسهم .

رأينا كيف أن الأعراب فى صعيد مصر أنفوا من سلطان المماليك بحيث لم يتمكن المماليك من اخضاعهم الا بعد لأى وعناء ، ولم يترك العربان فرصة تمر الا استغلوها فى السلب والنهب ، وقطع الطرق والاخلال بالأمن ، واستطاع العرب بهذه الوسيلة الاستيلاء على مساحات واسعة من الأراضى ، والاستحواذ على ثروات طائلة حتى ركبهم الغرور ، واحتقروا ما عداهم من سكان البلاد .

وحاول بعض السلاطين حماية البلاد من أذى العربان ، فولوا مشايخ العربان على القرى المجاورة لهم ، وكان هؤلاء الحكام من العرب يعيشون فى رغد من العيش وتميزت حياتهم بمظاهر خاصة ، وتقلبت بين ألوان من الترف والبذخ وشغفوا بجمع المال (٩٨) ، ولم يدخر مشايخ العرب جهدا فى سبيل بقائهم فى الرياسة فترة طويلة من

---

(٩٦) ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ص ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥

(٩٧) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ .

(٩٨) الأدفوى : الطالع ص ٥٢٦ – أبو المحاسن : النجوم ج ٨ ص ٢١٦ .

الزمن ، ويذكر « أبو المحاسن » (٩٩) أنهم بـذلوا فى تحقيق ذلك الأموال الطائلة .

وامتلك الحكام من مشايخ العرب الاقطاعات الواسعة فى الوجه القبلى ، واستغل بعضهم هذه الأملاك فى منافع الخير ، فأوقفوا على الفقراء بعضا منها (١٠٠) ، ومنهم من أوصى بجزء من ماله للفقراء(١٠١) وكثيرا ما كانوا يتصدقون فى الأعياد (١٠٢) ، واتخذ كثير منهم الصدقة عادة يدفعها فى أول كل عام ، ونذكر على سبيل المثال زين الدين بن ابراهيم (ت سنة ٧٤٤ هـ) الذى كان يتصدق بألف دينار فى أول كل عام(١٠٣) ، ومما يدل على كثرة أموالهم لجوء السلاطين اليهم حينما تشتد الأزمات بالبلاد ، ، وحسبنا فى ذلك من أمر جمال الدين محمد بن عبد الوهاب بن على بن السديد الذى جمع فى خزائنه بالوجه القبلى زيادة على ألفى اردب وخمسمائة زمن وقوع الغلاء سنة ٧٣٠ هـ ، فكتب الوالى فى أمـره الى الديوان السلطـانى ، وانتهى الأمر بأن صـدر المرسوم السلطانى (بالحوطه عليه واحضاره اليه)(١٠٤) .

وكان هؤلاء الرجال من حكام الوجه القبلى يسـتغلون أهـالى البلاد بقدر اسرافهم فى وجوه الخير ، فدأبوا على تخزين الغلال رغبة

---

(٩٩) النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢١٦ .

(١٠٠) الأدفوي : الطالع ص ١٠٣ .

(١٠١) الأدفوى : الطالع ص ٦٣٥ .

(١٠٢) ومن بين هؤلاء على بن هبة الله الشرف الأسنائى (ت٦٩٦هـ) الذى تصدق فى أحد الأعياد بتسعين أردبا من الغلال (الأدفوى : الطالع ، صفحة ٦٣٥) .

(١٠٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ١٠٨ .

(١٠٤) الأدفوى : الطالع ، ص ٥٤٦ .

فى بيعها بأسعار مرتفعة حين يكثر طلبها زمن المحن والشدائد (١٠٥) ، وكونوا — أيضا — من وراء ذلك الثروات — الطائلة — وأقاموا فى بيوت غاية فى الثراء ، ووصف الأدفوى (١٠٦) أحدهم بأنه (نشأ فى سعادة ورياسة ونفاسة وحشم وخدم ، وأيامهم فى الجاه والوجاهة رسوم قدم) .

وكان حكام العرب فى الوجه القبلى يحيون حياة السلاطين ، وقيل أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون سافر الى صعيد مصر لمحاربة العربان سنة ٧١٣ هـ ، وكان من بين من قبض عليهم مقداد بن شماس ، وكان اذ ذاك قد عظم حاله حتى بلغ عدة جواريه أربعمائة جارية ، وعدة أولاده ثمانية (١٠٧) .

وأقبل الشعراء على هؤلاء الحكام فى بلاد الوجه القبلى ومدحوهم (١٠٨) ، كذلك كان هؤلاء يكرمون الضيوف الغرباء فى هذه البلاد،ومما يذكر أن الرجل أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون وما بعدها كان يمر من القاهرة الى أسوان فلا يحتاج الى نفقة ، بل يجد بكل بلد وناحية عدة دور للضيافة (١٠٩) ، (واذا دخل دارا فيها أحضر لدابته علفها ، وجىء له بما يليق من الأكل ونحوه) (١١٠) ، وخصص مشايخ العرب رجالا يقومون بالاشراف على شئون الضيافة وكان الحسام بن الجلال مرصدا للضيافات « بقمولا » من الصعيد

---

(١٠٥) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٥٤٦ .

(١٠٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٩ ، ص ٣٦ .

(١٠٨) الأدفوى : الطالع ص ٣٧ .

(١٠٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٠ .

(١١٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٠ .

الأعلى ، ويشرف على المطعم والمشرب ، ويستقبل من يأتى من الضيوف (١١١) .

ويحكى أن الرجل كان يرتقى من حالته العادية الى حالة الثراء فى صعيد مصر اذا بلغت ثروته عشرة آلاف دينار ، وفى تلك الحال يجعل الرجل على داره قبة تعبيرا عن عظم شأنه وقدره (١١٢) ، وتعددت على أثر ذلك الدور ذات القباب .

ولا ننسى أن هؤلاء الحكام من العرب اهتموا — كما سنرى ، ببناء المدارس والربط والزوايا ، وأسهموا فى احياء الحركة العلمية .

واختصت بعض الأسرات العربية فى بلاد الوجه القبلى بمظاهر الثراء ، منها أسرة أولاد فضيل بملوى من الصعيد الأوسط ، وتولى أبناء هذه الأسرة مهمة زراعة قصب السكر ، وأقاموا الصناعات عليها ، وأمدوا بلاد الوجه القبلى بمنتجات هذه الأنواع ، وقيل عنهم أنهم كانوا يسمحون للفقراء بدخول معاصرهم ، (فيأتى الفقير بالخبز الحارة ويطرحها فى القدر التى يطبخ السكر فيها ، ثم يخرجها ، وقد امتلأت سكرا ، فينصرف بها ...) (١١٣) ، وبلغ من كثرة أموال أولاد فضيل وامتلاء خزائنهم أن أوقع بهم النشو الناظر الخاص زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وألزمهم بحمل ثمانية آلاف قنطار الى الخزائن السلطانية ، وذلك بعد أن استولى على آلاف القناطير من القند (١١٤) .

---

(١١١) الأدفوى : الطالع ص ٣٩ .

(١١٢) الأدفوى : الطالع ص ١٣ .

المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٤٣٢ .

(١١٣) ابن بطوطة : الرحلة جـ ١ ص ٣٩ .

(١١٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠٤ .

ومن الأسرات العربية الثرية بنو نوفل بادفو من الصعيد الأعلى ، واتصفوا بأنهم (أهل مكارم ورياسة ، جلالة نفاسة ، ومناصب حكمية ، وصفات مرضية) ، ومن أبناء هذه الأسرة « الأدفوى » صاحب كتاب « الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد »ويقول الأدفوى (١١٥) عن بنى نوفل (لولا أنهم أهلى لشرحت فضلهم وذكرت نبلهم) « وبنو المفضل » الذين يصفهم الأدفوى (١١٦) بأنهم (بيت رياسة وعلم وكرم) ، وأبناء اللمطية ، وهم ينتمون الى أسرة عريقة فى النسب ، واستقر أبناؤها فى قوص فى الربع الأخير من القرن السادس الهجرى ، وقد برز من أبنائها محرم مجد الدين بن اسماعيله اللمطى ، وكان حاكما على قوص ، وتوفى بها عام ٦٠٦ هـ ، وكان قد احتل مكانة رفيعة فى عصره حتى أقبل عليه الشاعر بهـاء زهير ، وألف فى مدحه كثيرا من القصائد (١١٧) ، وقد هاجر كثير من أبناء تلك الأسرة الى منية بنى خصيب فى الربع الأخير من القرن السادس الهجرى ، ويظهر ذلك من اشارة ياقوت الحموى (١١٨) من أن اللمطى أنشأ مسجدا بهذه المدينة ، والكتابة الأثرية على عتب مدخل مسجد اللمطى — بالمنيا — تؤكد أن اللمطية أقاموا بمنية بنى عصيب سنة ٥٧٨هـ ، وظل أبناء اللمطية بمنية بنى خصيب فترة من الزمن ، فيذكر النويرى اسم لأحد أبناء هـذه الأسرة يدعى بالأمير اللمطى ، وكان قد أقام بهذه الناحية وتوفى بها عام ٦٣٣ هـ (١١٩) ، وليس من المستبعد أن يكون هذا الأمير أحد أبناء محرم مجد الدين حاكم قوص المتوفى (١٢٠) سنة ٦٠٦ هـ ، ومما يجدر

---

(١١٥) الطالع ص ٣٦ .

(١١٦) الطالع ص ٢١٠ .

(١١٧) Garcia : Annales Eslamolegiques — In Mosque Al Lamati P. 109.

(١١٨) معجم البلدان جـ ٨ ص ١٨٨ .

(١١٩) Garcin, OP, Cit ; P. 109.

(١٢٠) Garcin, Op. Cit., P. 109.

ذكره أن أبناء هذه الأسرة كانوا من الذين يتولون بعض المناصب فى الدولة لفترة طويلة من الزمن ، وأشار اليه الأدفوى (١٢١) أن مجير الدين بن اللامطى — أحد أبناء هذه الأسرة والمتوفى سنة ٧٢١ هـ — كان يتولى النظر على رباع الأيتام بالقاهرة من قبل قاضى القضاه الشيخ تقى الدين .

ولا ننسى أن نذكر فى معرض حديثنا عن العرب ومكانتهم الاجتماعية أن تلك الجموع العربية أورثت بلاد الوجه القبلى — بالذات — النظام القبلى ، ولا يزال ذلك النظام الى اليوم ضاربا بجذوره فى التركيب الاجتماعى لهذه البلاد .

ونتناول بالدراسة توزيع القبائل العربية ، ومناطق نفوذها فى بلاد الوجه القبلى زمن الأيوبيين والمماليك ، ودورها البارز فى الحياة الثقافية فى هذه البلاد .

---

(١٢١) الطالع ص ٤٤٨ .

القبائل العدنــانية

قريش :

بدأت قريش فى الظهور بصورة واسعة فى بلاد الوجه القبلى عقب الفتح الفاطمى لمصر فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، وطرد الفاطميون جماعات بلى وجهينة المشاغبين (١) ، وأفسحوا الطريق لأبناء قريش الذين توافدوا على بلاد الأشمونيين من الصعيد الأوسط بصورة لم يسبق لها مثيل ، واستمرت هجرة قريش الى تلك البلاد ، وشــكل أفرادهــا أغلبية فى المجتمع العربى بمنطقة الأشمونيين حتى صارت لهم السيادة على تلك البلاد ، ولا أدل على ذلك من اطلاق اسم قريش على بلاد الأشمونيين (٢) •

وتفيد المصادر المعاصرة بأن القرشيين كانوا مقربين لبنى أيوب فى مصر ، ذلك أن الأيوبيين قد ادعوا الانتساب الى العرب ، مما ساعد فى توجيه سياستهم نحو التعاطف مع القبائل العربية فى مصر (٣) •

وتفرعت من قريش عدة بطون أقامت ببلاد الوجه القبلى ونذكر منهــا :

---

(١) القلقشــندى : نهــاية الأرب ، ص ٢٠٧ ـ المقريزى : البيان والاعراب ص ٣٨ •

(٢) القلقشندى : نهاية الأرب ص ٧٠ •

(٣) عبد المجيد عابدين : البيان ص ١١٨ و ١١٩ ، انظر •

١ ــ بنو مخزوم (٤)

وكان أول ظهورهم فى صعيد مصر زمن الفاطميين حينما استوطنت جماعة منهم عرفت بالشـــدة والبـــأس ببلاد الأشمونيين ، وانتشرت جماعات من بنى مخزوم بصورة واسعة فى بلاد الصعيد الأوسط زمن المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) فى الأماكن المتـــآخمة لديـــار عروه بن الزبير بالبهنسا من الصعيد الأوسط (٥) ، وكـــانوا فى ذلك الوقت يؤثرون أكثر قريش (٦) .

٢ ــ بنو هاشم

يقصد بالبيت الهاشمى تلك الجموع التى تنتمى الى أبى طالب ، ويتمثل أبناء أبى طالب الذين عاشـــوا فى الوجه القبلى فى العصـــور الاسلامية فى ذرية « على وجعفر » التى وصفت فى المراجع المعاصرة بقبائل الجعافرة ، وذكر القلقشندى (٧) أن جماعة من الجعافرة من بنى جعفر الصادق (ت ١٤٨ هـ) من ولد الحسين بن على سكنوا صعيد مصر ، وكانت مساكنهم تمتد من بحرى « منفلوط » الى « سمالوط » من الصعيد الأوسط .

---

(٤) ينســـبون الى مخـــزوم بن يقظـــة بن مرة بن كعب ، والى تلك القبيلة ينسب خالد بن الوليد ، وأبو جهل ، والعاصى ولدى هشام اللذين قتلا فى موقعة بدر .

(القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١ ص ٣٥٥) .

(٥) المقريزى : البيان والاعراب ص ٤٥ .

(٦) المقريزى : المصدر نفسه والصفحة .

(٧) القلقشندى : نهاية الأرب ص١١٤ ــ صبح الأعشى جـ١ ص٣٥٩

ومن بطون الجعافرة الحـوته والحيادرة(٨) ، وكانت الأمرة فى الصعيد الأوسط زمن الأيوبيين وأوائل المماليك لبنى ثعلب من الحيادرة من أولاد جحيش(٩) ، وعاشت هذه البطون فى الصعيد الأوسط فى هدوء وسكينة زمن الأيوبيين ، ولما تولى المماليك أمر البـلاد أنفت هـذه البطون من سلطنتهم ، وثاروا بزعامة الشريف حصن الدولة ثعلب(١٠) الذى جمع العربان ، وكاتب الملك الناصر يوسف بن عبد العزيز صاحب دمشق (١١) فتصدى لهم الملك المعز أيبك التركمانى ، وأوقع بهم ، ولم ير الجعافرة بدا من الهجرة الى الصعيد الأعلى ، وأستطابوا هناك الحياة المدنية فأسهموا فى مجال العلم والأدب ، ونبغ منهم كثيرون كالشريف الأسقونى الذى يعرف بابن الغضنفر(١٢) ، ويبدو أن كثـيرا منهم هرع الى أسوان فى طلب العلم ، ويذكر الأدفوى(١٣) أنه خرج من أسوان خلائق كثيرة من الأشراف من أهل العلم والرواية والأدب .

ومما لا شك فيه أن الجعافرة من بنى ثعلب قد نجحوا فى مباشرة أعمالهم العمرانية ، واستطابوا الحياة المدنية ، واستقروا استقرارا ثابتـا فى الصـعيد الأوسط جعلهم يطلقـون عـلى بلادهم « بـلاد

---

(٨) القلقشندى : نهاية الأرب ص ١٣٠ .

(٩) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٦٨ .

(١٠) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١ ص ٦٨ .

المقريزى : البيان ص ٤٤ و ٤٥ .

(١١) المقريزى : البيان ص ٤٤ و ٤٥ .

(١٢) توفى بعد الثمانين والستمائة . الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٣٢٩ .

(١٣) الطالع السعيد ص ٢٩ و ٣٠ .

الأشراف » (١٤) وظلت هذه التسمية قائمة الى وقتنا الحاضر (١٥) ٠

ومما يجدر ملاحظته أن لقب اشراف قد اقتصر على أحفاد الحسين ابن على دون غيرهم ، ويروى القلقشندى(١٦) أن جمــاعة من أولاد جعفر الصادق من أحفاد الحسين قد سكنوا أسيوط وعرفوا بأولاد الشريف ، وقد انتشرت جماعات الأشراف فى صعيد مصر بصورة واسعة زمن الأيوبيين والمماليك ، ويحدثنا الأدفوى (١٧) (ت ٧٤٨ هـ) أنه وقف على مكتوب فى صـــعيد مصر مؤرخ بعد العشرين والستمائة من الهجرة يوضح كثرة الأشراف فى هذا الاقليم ، وقد جاء فيه (وأخبرنى من وقف على مكتوب فيه أربعون شريفا ••• ووقفت أنا على مكتوب فيه قريب من أربعين ، منه جمع كبير من بيت واحد مؤرخ بعد العشرين وستمائة) (١٨) ٠

أما عن ذرية جعفر بن أبى طالب ، فيذكر ماك مايكل أنهم جاءوا الى مصر لما طردوا من مكة فى القرن العاشر الميلادى (١٩) ، وأقاموا بالصعيد الأوسط ويذكر المقريزى (٢٠) أنهم ظلوا حتى أيامه أصحاب

---

(١٤) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١ ص ٦٨ ٠

(١٥) لا تزال ديروط من الصــعيد الأوســط حتى وقتنا الحــاضر معروفة باســم « ديروط الشريف » ويرجع أصل تســميتها الى الشريف حصن الدولة ثعلب ٠

(١٦) صبح الأعشى جـ ١ ص ٣٥٩ ٠

(١٧) الطالع السعيد ، ص ٢٩ و ٣٠ ٠

(١٨) الأدفوى : الطالع ص ٢٩ و ٣٠ ٠

(١٩) Macmachael : Op. Cit., Vol. I, P. 142.

(٢٠) الخطط جـ ١ ص ٢٣٩ ٠

شوكة يحالفون الأمويين من بنى مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، وبنى خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، وهرعت جماعات من بنى جعفر بن أبى طالب زمن ابن خلدون (ت ٨٠٨ﻫ) الى الصعود الأعلى، واستوطنوا الأماكن بين أسوان وقوص الى جانب جماعات بنى الكنز ، ولا يزال غالبية الجعافرة الموجودين بأسوان اليوم من أبناء جعفر بن أبى طالب (٢١) •

٣ ــ بنو أمية (٢٢)

استقر القرشيون من بنى أمية فى صعيد مصر الأوسط ــ على الأخص ــ بلاد الأشمونيين ، وتكشف أوراق البردى العربية عن استطابتهم الحياة منذ استقرارهم الاستقرار الفعلى هناك (٢٣) ، وقد أقام بنو أمية فى مواطنهم الجديدة فى هدوء وسكينة ، وظلوا على تلك الحال حتى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى ، ويذكر القلقشندى (٢٤) (ومرت الدولة الفاطمية ، وهم بأماكنهم من ديار مصر لم يروع لها سرب ،ولم يكدر لهم شرب ، وهم على ذلك الى الآن) •

وتنوعت جموع بنى أمية فى صعيد مصر الأوسط فمنهم بطون من بنى ابان بن عثمان ، ومن بنى خالد بن يزيد ، وبنى مسلمة بن عبد الملك وبنى حبيب بن الوليد بن الملك(٢٥) ، ويبدو أن الأمويين بالوجه

---

(٢١) الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ، ص ٢٢٠ •

(٢٢) بدأت اقامتهم فى هذه البلاد منذ القرن الثانى الهجرى وتشهد على ذلك شواهد القبور •

C.S.W.: Op, Cit, T II, P. 24, 144, 200

(٢٣) كان ذلك منذ القرن الثالث الهجرى (جروهمان : أوراق البردى ، جـ ١ ص ٧٣) •

(٢٤) نهاية الأرب ص ٨١ و ٨٥ •

وبنى حبيب بن الوليد بن عبد الملك(٢٥) ، ويبدو أن الأمويين بالوجه القبلى كانوا بعيدين فى العصرين الأيوبى والمملوكى عن مسايرة الأحداث فلم نسمع عن اشتراكهم مع جموع العربان الأخرى فى مناهضة السلطة الحاكمة ، ومما لا شك فيه أن بنى أمية اتخذوا من بلاد الصعيد منذ اللحظة الأولى لفرارهم أمام العباسيين مأمنا من السلطة الحاكمة ، وأنهم بمرور الزمن انصرفوا نحو استطابة الحياة المدنية ، وعاشوا فى هدوء وسكينة ، ولا أدل على ذلك من اشارة القلقشندى (٢٦) (ت ٨٢١ هـ) التى تصفهم فى القرن التاسع الهجرى بأنهم ظلوا بأماكنهم « لم يروع لهم سرب » .

ربيعة (٢٧)

وتأتى قبيلة ربيعة على رأس القبائل العربية التى قامت بدور هام فى الأحداث التى ألمت ببلاد الصعيد الأعلى ، ويمثل ربيعة فى هذه البلاد بنو الكنز الذين خرجوا على السلطان صلاح الدين يوسف بن

---

(٢٥) القلقشندى : نهاية الأرب ص ٨١ و ٨٥ ــ المقريزى : البيان ص ٤٧ .

(٢٦) نهاية الأرب ص ٨١ و ٨٥ .

(٢٧) تتفرع تلك القبيلة من نزار بن معد بن عدنان ، وكانت ديارها بلاد نجد وتهامة فى شبه الجزيرة العربية ، ودبت الحرب بين بطون القبيلة تفرقت على أثرها أفرادها ، وهرعت الى بقاع مختلفة فى البحرين وظواهر نجد والحجاز . ومنها بطون نزلت باليمامة،وقد ألزمها بنى الأخيضر الى الجلاء عنها ، فنزحت الى مصر فى عهد المتوكل على الله العباسى عام ٢٤٠هـ ، ثم سارت الى أسوان ، واستطاع زعيم ربيعة فى أسوان « أبو المكارم هبة الله » أن يظفر بالثأر أبى ركوة الذى خرج على الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ، فأكرمه الخليفة ولقبه بكنز الدولة .

(المقريزى : البيان ص ٤٨) .

أيوب ، وانتهى الأمر بمقتل زعيمهم كنز الدولة عـام ٥٧٠ هـ (٢٨) ، وفرار فلولهم الى شمال النوبة ، وهنـاك اختلطوا بأهـالى النوبة ، وتزوجوا من بنات زعمائهم(٢٩) ، وتصف المراجع بنى الكنز فى أسوان زمن السلطان صلاح الدين بأنهم (٣٠) (أهل مكارم وفتوة ، ممدوحون ومقصودون من البلاد الشاسعة) (٣٠) ، ووصف لهم أبو الحسن بن عرام على عهد بن دقماق (ت ٨٠٩ هـ) سيرة ذكر فيها مناقبهم وجمع فيها أسماء من مدحهم (٣١) .

قويت شوكة الكنوز فى القرنين السابع والثامن الهجريين فى بلاد النوبة ، ولم تفلح الحكومة المركزية فى مصر فى كسر شوكتهم ، وتظهر جهود الكنوز فى تعريب جزء كبير من بلاد النوبة وقد ساهم المماليك بطريق غير مباشر على تقوية نفوذ العروبة والاسلام فى هذه البلاد ، ذلك أن نجاح السلطان الظاهر بيبرس فى فتح بلاد النوبة عام ٦٧٤هـ(٣٢) قد شجع جموع من القبائل العربية على النزوح الى النوبة ، والتفت هذه الجموع حول كنز الدولة ، وصبغوا تلك المنطقة بالصبغة العربية ، ولما أقام السلطان الناصر محمد بن قلاوون ملكا مسلما على عرش النوبة بدلا منملك مسيحى (٣٣) ، استغل كنز الدولة تأييد الجموع العربية ،

---

(٢٨) المقريزى : البيان ص ٥٠ .
(٢٩) سعيد عاشـور : مصر فى عهد عصر دولة المـماليك البحرية ص ٩١ .
(٣٠) الأدفوى : الطالع السعيد ص ٣٠ .
(٣١) ابن دقماق : الانتصار جـ ٥ ص ٣٤ .
(٣٢) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٦٢١ و ٦٢٢ .
(٣٣) محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصرص١٥٥

واستطاع اغتصاب عرش النوبة عام ٧٢٣ هـ (٣٤) ، ومنذ ذلك الوقت ضعف شأن المسيحية فى تلك البلاد وصار بنو كنز أقوى قبيلة على الحدود السودانية المصرية حتى الفتح العثمانى عام ١٥١٧م(٣٥) .

ومما لا شك فيه أن بنى كنز أدوا دورا بارزا فى حركة التعريب وانتشار الإسلام ، فعن طريقهم تسربت الدماء العربية الى النوبيين ، وأدى ذلك الى ظهور سلالة جديدة يعرف أفرادها حتى الآن بالكنوز (٣٦) .

ومن بطون ربيعة بنى شيبان ، وقد نزحت جموع من بنى شيبان الى أسوان ، ونزلت أرض المعدن فى أوطان البجة فى الصحراء الشرقية (٣٧) ، وأخذ أفراد هذه القبيلة يهاجرون جماعات الى صعيد مصر على مر السنين حتى اذا جاء العصر المملوكى (امتدت بهم أسباب الحياة) ، وطاب لهم العيش (٣٨) ، واشتركوا فى كثير من ألوان النشاطات ، وظهر منهم العلماء ، ومن بينهم جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف « بابن القفطى » صاحب كتاب « أنباء الرواه على أنباء النحاة » (٣٩) (ت

---

(٣٤) سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ص ٩٢ ــ ٩٦ .
مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ١٧٤ .

(٣٥) Macmechael : Op. Cit., Vol. I, P. 149.

(٣٦) الحويري : سوان فى العصر الوسطي ص ٢٢٥ .

(٣٧) كان ذمك منذ القرن الثالث الهجرى ، وهم بنو شيبان بن ثعلب بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل .
القلقشندى : صبح الأعشى ج ١ ص ٣٢٨ .

(٣٨) ابن القفطي : انباء الرواة ج ١ ص ١٠ .

(٣٩) ابن القفطي : انباء الرواة ج ١ ص ١٠ انظر المقدمة .

سنة ٦٤٦ هـ) ، وظهر من أبناء بنى شيبان من استطاب الحياة ببلدة « طود » (٤٠) ، واشتهروا بالكرم والفضائل (٤١) ، وفى ذلك مدحهم الشعراء ، ومن بينهم أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن النصر(٤٢)

بنو هلال (٤٣)

تعتبر قبيلة هلال من أشهر القبائل العدنانية التى انتشرت فى بلاد الوجه القبلى ، وكان لبنى هلال شأن يذكر زمن الفاطميين فوقفوا بجانب الثائر أبى ركوة ، فتصدى لهم الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله،وأوقع بهم ، وفر من بقى منهم الى المغرب الأقصى (٤٤) ، غير أنهم استردوا نفوذهم فى الوجه القبلى ، وصارت لهم بلاد أسوان وما تحتها (٤٥) ، واصتدمت جموع بنى هلال — زمن المماليك — بالجموع العربية الأخرى التى اتجهت صوب أماكنهم للقضاء عليهم ، فناصب العركيون الهلاليين العداء ، وهاجموا أماكنهم فى صعيد مصر بين حين الى آخر ، وكان أخطر هجومهم فى سنتى ٧٤٩ هـ (٤٦) و ٧٥٣ هـ (٤٧) ، وتعرض

---

(٤٠) يذكر عنها الأدفوى أنها بلد كبير بالقرب من قوص ٠

(٤١) الأدفوى : الطالع ص ١٧ ٠

(٤٢) الأدفوى : الطالع ص ١٧ ٠

(٤٣) ينسبون الى هلال بو عامر بن صعصعة بن معاوية بن أبى بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان بن نصر بن نزار بن معد ابن عدنان ٠

(٤٤) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١ ص ٣٤١ ٠

(٤٥) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١ ص ٣٤١ — نهاية الأرب ، ص ٤٤٣ و ٤٤٤ ٠

(٤٦) المقريزى : السلوك جـ ٢/٣ ، أحداث سنة ٧٤٩هـ ٠

(٤٧) المقريزى : السلوك جـ ٢/٣ أحداث ٧٥٣هـ ٠

الهلاليون لبطش السلطة الحاكمة ، حينما رفضوا الوقوف بجانب السلطة فى وجه عرك سنة ٧٥٤ هـ ، ووجد المماليك فى ذلك الفرصة للقضاء عليهم ، فباغتوهم وقتلوا منهم أربعمائة فارس (٤٨) .

ومهما يكن من أمر الحروب التى تعرض لها الهلاليون فان جموعهم ظلت منتشرة فى أرجاء الصعيد ، واستطابت الحياة المدنية ، وسايرت الأحداث حتى القرن التاسع الهجرى (٤٩) ، وكانوا اذ ذاك ببلاد الصعيد الأعلى ، ولا نعرف من الشواهد ما يؤكد أنهم سكنوا — أيضا — الصعيد الأدنى ، ولعل اختيارهم لمنطقة الصعيد الأعلى يرجع الى غنى هذه المنطقة فى ذلك الحين ، فمن الظواهر الواضحة أن الوادى الخصيب لا يتسع فى الجانب الشرقى للنيل الا عند الصعيد الأعلى مما يساعد على توفير البيئة الصالحة للاقامة والاستقرار ، ولا غرو فى أن الهلاليين استغلوا هذه البيئة فى زراعة الأرض ، والمراجع المعاصرة تصفهم أنهم يزرعون الأرض ، ويتجرون فى غلاتها (٥٠) ، فضلا عن مهارتهم فى ركوب الخيل (٥١) .

وسكنت بلاد الصعيد عدة بطون من بنى هلال ، منها بنو قرة بأخميم ، وبنو معرو بساقية قلته (٥٢) ، وبنو عقبه وبنو جميلة

أدرك السلطان خطورة هذه الأحداث ، وأرسل على الفور الأمير بليان الاستادار والأمير قمارى الحموى الحاجب فى عدة من أولاد الأمراء الى بلاد الصعيد حتى يتم جباية الخراج .

المقريزى : السلوك ، جـ ٣/٢ ص ٨٥٩ .

(٤٨) المقريزى : السلوك جـ ٣/٢ ص ٩١١ .

(٤٩) المقريزى : البيان والأعراب ص ٣٦ .

(٥٠) المقريزى : البيان والأعراب ص ٣٦ .

(٥١) المقريزى : المصدر السابق والصفحة .

(٥٢) المقريزى : المصدر السابق والصفحة .

بأصفون (٥٣) ، وهناك جموع أخرى من بينهم انتشرت وتنقلت بين أرجاء الصعيد كبنى رفاعة وبنو جحير (٥٤) •

---

(٥٣) القلقشندى : نهـاية الأرب ص ٤٣٧ ـ المقريزى : البيان ، ص ٣٦ •

(٥٤) المقريزى : البيان ص ٣٦ •

القبائل القحطانية (١)

بلى(٢)

أقامت بلى فى البلاد الواقعة بصعيد مصر حتى عيـذاب (٣) ، واستقرت بلى مع جهينة ببلاد الأشمونيين من الصعيد الأوسط (٤) ، وانتشرت جماعات منها فى الصحراء الشرقية المتاخمة لتلك البـلاد ، وظلوا هكذا الى زمن الفاطميين ، ومنذ ذلك الوقت انهزمت بلى الى الصعيد الأعلى (٥) .

ظلت جماعات بلى فى الصعيد الأعلى حتى القرن العاشر الهجرى وانتشرت جماعات كثيرة منهم زمن المماليك فى الأعمال القوصية وتمثلت الأمارة عندهم زمن القلقشندى فى بيتين ، الأول « بنو شاد » المعروفين « ببنى شادى » ، وكانت منـازلهم بالقصر الخراب المعـروف بقصر شادى بالأعمال القوصية (٦) ، والثانى ، « العجالة » ، وهم بنو العجيل

---

(١) تمثـل تلك القبـائل عرب الجنوب أو عرب اليمن ، وهى التى يقال عنها العرب العاربة ، وقد هبطت مصر قبائل قحطانية عديدة مع الجيش الفاتح ، ثم انتشرت فى أرجاء مصر من أدناها الى أقصاها .

(٢) أدى أبناء هذه القبيلة دورا هاما فى عمليات الفتح ، وتميزت هذه القبيلة بكثرة من ظهر من أبنائها من الصحابة . ابن عبد الحكم:فتوح مصر ، ص ٦٢ .

(٣) المقريزى : البيان ، ص ٣٦ و ٣٧ .

(٤) القلقشندى : نهاية الأرب ص ٢٠٧ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٦٧ .

المقريزى : البيان ص ٣٧ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٦٧ ــ المقريزى : المصدر نفسه والصفحة .

ابن الذئب (٧) ، وكانوا — أيضا — بالأعمال القوصية ، ومساكنهم بجوار بنى شادى .

وهناك بطون أخرى من بلى أقامت بلاد الصعيد ، منها« بنو هرم » و « بنو سواده » (٣) ، و « بنو خرافة » و « وبنو رايس » ، « وبنو قاب ، و « بنو فضالة » الذين استقروا جنوب منطقة الأشمونين ناحية منفلوط (٩) ، وبنو خيار « بفرشوط » (١٠) ،ويضيف « الأدفوى »(١١) أن هناك جماعات من بلى أقامت على عهده « بمرج بنى هميم » بصعيد مصر شرقى النيل قريبا من اراضى جرجا ، ومن المعروف أنه منذ أرغم الفاطميون بليا على الانتقال من الأشمونين تفرقت جماعتها فى الصعيد

---

(٧) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٦٧ — المقريزى : المصدر نفسه والصفحة .

وزعم قوم أن بنى شادى من بنى العجيل بن الذئب ، « وانما هم اخوتهم » ، ذلك أن العجيل كان قد تزوج أخت ابراهيم بن شاد ، فأنجبت له ابنا سمته « شاد » ، فتوهم من لا علم له ان بنى العجيل شاد من بنى العجيل .. المقريزى : البيان ، ص ٣٧ .

(٨) أقام بنو سواده باحدى قرى صعيد مصر الأوسط قبالة منية بنى خصيب ، ويشير المقريزى الى أن قرية سوادة الموجودة بهذا المكان سميت بهذا الاسم نسبة الى جماعة من العرب نزلوا بها ، وسوادة ذكرها ابن الجيعان من أعمال الأشمونين المقريزى : البيان ص ٣٧ — ابن الجيعان التحفة السنية ، ص ١٦٠ وما بعدها .

(٩) المقريزى : البيان ص ٣٧ .

(١٠) المقريزى : البيان ص ٣٧ .

وفرشوط من الأعمال القوصية .

(١١) الطالع ص ٨ .

الأعلى ، وصارت لها الرقعة الممتدة من جسر سوهاج غربـا الى غرب قموله (١٢) ٠

ولم تكن بلى من بين تلك القبائل التى حملت لواء مقاومة الحكم التركى ، وليس فى أسماء القبائل التى وقفت الى جانب حركة الشريف حصن الدولة ثعلب الثائر فى وجه الترك عام ٦٥١ هـ ما يفيد أن بليا قد أسهمت فيها بنصيب ، والغالب على بلى زمن المماليك ــ بالذات ــ حب الاستقرار ، والرغبة فى التعايش (١٣) ، وان كانت انضمت جماعات منها بجانب جهينة لغزو بلاد النوبة (١٤) ٠

جهينة (١٥)

هاجر الكثير من بطون جهينة الى صعيد مصر الأوسط وسيطروا على منطقة الأشمونين فى القرنين الثالث والرابع الهجريين وكـانت كثتهم العددية تفـوق بلى ، الا أن جهينـة لم تلبث أن طـردت من الأشمونين بمجىء الفاطميين (١٦) ، وتفرقت فى الصعيد الأعلى من

---

(١٢) عبد المجيد عابدين : البيان ص ١٢٨ ، انظر

(١٣) عبد المجيد عابدين : المصدر نفسه والصفحة ٠

(١٤) ابن خلدون : العبر جـ ٢ ص ٥١٦ ٠

(١٥) تنتسب تلك القبيلة لجهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ابن الحافى بن قضاعة ٠

القلقشندى : نهاية الأرب ص ٢٠٧ ــ المقريزى : البيان ص ٣٨ ٠

وهاجر أبناء جهينة الى مصر مع الفتح ، ونزحوا الى الصعيد بجوار جماعات بلى ، ودفعهم الى ذلك رغبتهم فى مجاورة هذه الجموع ، كما كانوا من قبل جيرانا لهم فى الحجاز ٠

القلقشندى : نهاية الأرب ص ٢٠٧ ٠

(١٦) القلقشندى : نهاية الأرب ص ٢٠٧ ٠

حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية ص ١٠٤ ٠

عقبة فاو الحزاب الى عيذاب (١٧) ، وبقيت جماعات منهم بمنفلوط وسيوط (١٨) ، وقد أقامت جهينة بالدور الأكبر فى حركة التعـريب وانتشار الاسلام فى المناطق التى قاموا بها ، وفى القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى ، اتجهوا الى مملكة الغوية المسيحية ، وأسـهموا فى تمهيد السبيل الى تفكك هذه المملكة ، وتحولها الى الاسلام (١٩) ، و فى ذلك يذكر ابن خلدون (٢٠) (وانتشروا ما بين صعيد مصر وبـلاد الحبشة .. وغلبوا على بلاد النوبة ، وفرقوا كلمتهم ، وأزالوا ملكهم) أما القلقشندى (٢١) فيشير الى أنه لما اشتد بأس جهينة فى بلاد النوبة وعجز ملوك تلك البلاد عن اخضاعهم لجئوا الى مصاهرتهم (مصانعة لهم) ، وبذلك انتقل الملك فى بلاد النوبة الى بعض أبناء جهينة ، عن طريق أمهاتهم طبقا لنظام وراثة العرش فى تلك البلاد (٢٢) ، ومنذ ذلك الوقت لم يحسن النوبيون سياسة الملك ، وصاروا « شيما ورحـالة بادية » (٢٣) .

ويمكننا القول أن بلاد النوبة أضحت منذ القرن الثامن الهجرى وطنا ليس للنوبيين فقط ، وأن شاركتهم فيه قبائل عربية كثيرة ، ولم يعد الشلال الثانى حاجزا يمنع تدفق القبائل العربية نحو الجنوب(٢٤) ،

---

(١٧) المقريزى : البيان ص ٣٧ و ٣٨ ، انظر

(١٨) المقريزى : المصدر نفسه والصفحات .

(١٩) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ١١٧ ، انظر

(٢٠) العبر ، ج ٢ ص ٥١٦ .

(٢١) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٧٧ و ٢٧٨ .

(٢٢) يوصى هذا النظام بتملك الأخت وابن الأخت .

القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٧٧ و ٢٧٨ .

(٢٣) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٧٧ ر ٢٧٨ .

(٢٤) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية ص ٥٨٧ .

الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ص ١٩٩ .

ومما لا شك فيه أن هذه القبائل أدت دورا هاما تجلى فى نشر الاسلام والثقافة الاسلامية فى تلك البلاد ، وتبع انتشار الاسلام بين شعوب هذه البلاد تغيير شامل فى عاداتهم ومعتقداتهم فغيروا أسماء أبنائهم ، واستبدلوها بأسماء مسلمة ، وظهرت النتائج بصورة واضحة عند شعوب البجة فما بين القرنين الحادى عشر والرابع عشر الميلاديين ، حينما عايشت هذه الشعوب الجماعات العربية التى تدفقت صوب الجنوب الشرقى ، وظهرت العادات الاسلامية عند شعوب البجة فى ذلك الوقت فى طريقة دفن الموتى ، فصاروا يدفنون موتاهم على الطريقة الاسلامية(٢٥) .

وأسهمت جهينة بدور بارز فى مقاومة السلطة الحاكمة ، ففى عام ٦٩٨ هـ قامت أحلاف عربية شاركت فيها جهينة وكانت مسرحها منفلوط وسيوط ، وفرضوا على التجار وأرباب المعايش بهذه البلاد « فرائض جبوها » ، واستمرت حركة المقاومة ثلاث سنوات ، ثم قضى عليها المماليك (٢٦) .

ومن أخطر بطون جهينة فى وجه السلطة المملوكية « عرك »(٢٧) وقد حمل لواء المقاومة ضد الترك زعيمها محمد بن واصل العركى الملقب بالأحدب (٢٨) ، فى مدة تزيد عن خمس سنوات (٧٤٩ هـ ـ ٧٥٥ هـ) ،

---

(٢٥) الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ص ٢٠٢ .

(٢٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٤٩ .

(٢٧) عرك ، بطن من جهينة ، قطنت جماعاتها فى الشمال الغربى من بلاد العرب ، ثم انتقلوا مع جماعات جهينة الى الصعيد الأعلى .
عبد المجيد عابدين : البيان ص ١٣٠ .

(٢٨) لقب بالأحدب لطوله ، وانحناء قامته .
عبد المجيد عابدين : البيان ص ١٣٠ .

وبلغ من خطورة « الأحدب » أن نادى بالسلطة لنفسه ، وجلس فى جتر وجعل خلفه المسند ، وأجلس العرب حوله ، ومد السماط بين يديه ، وأنقذ أمره فى الفلاحين (٢٩) ، وعقد الأمراء المماليك المشورة فى أمر « الأحدب » ، وقرروا تجريد العسكر لوقف تمرده ، فحشد الأحدب جموعه ، واجتمع حوله عرب منفلوط ومراغه وبنى كلب ، وسائر جموع جهينة(٣٠) ، وقامت معارك حامية بين الحلف العركى والمماليك وقتل من الجانبين خلق كثير ، ويذكر المقريزى(٣١) أن جماعات كثيرة من عرب الصعيد قد هرعت الى بلاد السودان فى أعقاب هزيمة الحلف العركى •

على أن بقايا كثيرة من أبناء جهينة ظلت بأماكنها فى صعيد مصر على عهدى القلقشندى (ت ٨٢١هـ) والمقريزى (ت ٨٤٥هـ) ، ويذكر عنها المقريزى (٣٢) أنها (قبيلة عظيمة ، وفيها بطون كثيرة ، وهى أكثر رعب الصعيد) •

بنو جعد (٣٣)

قطنت جماعات من بنى جعد صعيد مصر الأدنى ، وزادت كثرتهم فى العصر المملوكى ، وكانت منازلهم ساحل اطفيح من البر الشرقى(٣٤)

---

(٢٩) المقريزى السلوك جـ ٣/٢ • أحداث سنة ٧٥٤هـ •

(٣٠) المقريزى : البيان ص ٣٨ •

(٣١) السلوك جـ ٣/٢ ، أحداث سنة ٧٥٤ •

(٣٢) البيان والاعراب ص ٣٨ •

(٣٣) بطن من بطون لخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أزد بن زيد ابن يشجب بن زيد بن كهلان • (القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١ ص ٣٣٤ و ٣٣٥) •

(٣٤) المقريزى : السلوك جـ ١/٣ ص ١٠٩ ، حاشية ٤ •

وكانت جموع بنى جعد أكثر ميلا الى التمرد وعلى الرغم من وجودهم فى الصعيد الأدنى بالقرب من العاصمة ، نراهم يعايشون أحداث النوبة وقفوا فى سنة ٧٦٧ هـ بجانب ابن أخت متملك دنقلة ، ونجحوا فى نصرته(٣٥) ، وكان أكثر الجعيدية شهرة « الأمير على » (ت ١٦ جمادى الآخره سنة ٧٩٣ هـ) ، « ولم يقم بعده مثله » (٣٦) .

وهناك بطون أخرى من لخم أقاموا بصعيد مصر ، وكان أكثرهم ذيوعا « بنو فهم » ، وقد استوطنوا الصعيد الأدنى وكانت مساكنهم بالحى الكبير من الأطفيحية(٣٧) .

بهراء (٣٨)

يذكر ابن خلدون عن بهراء « وكانت منازلهم شمال منازل بلى من الينبع الى عقبة ايله ، ثم جاور بحر القلزم منهم خلق كثير ، وانتشروا ما بين بلاد الحبشة وصعيد مصر ، وكثروا هناك ، وغلبو اعلى بلاد النوبة ، وهم يحاربن الحبشة الى الآن » أى الى عهد ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ ١٤٠٦ م) ، ومن بطون بهراء « جيدان » و « مهرة » (٣٩) .

بنو كلاب

استوطنت جموع بنى كلاب بلاد الفيومية زمن الأيوبيين ، ومن بطون بنى كلاب ، بنو مجنون ، واستوطنوا احدى قرى الفيومية ،

---

(٣٥) المقريزى : السلوك جـ ٣/١ ص ١٠٩ .

(٣٦) المقريزى : السلوك جـ ٣/٢ ص ٧٣٠ .

(٣٧) القلقشندى : نهاية الأرب ص ٣٩٤ و ٣٩٥ .

(٣٨) وهم بنو بهراء بن عمرو بن الحاتى بن قضاعة (القلقشندى: صبح الأعشى جـ ١ ص ٣١٧) .

(٣٩) عبد المجيد عابدين : البيان ص ١٣٤ .

وعرفت بهم(٤٠) ، وبنو جعفـر الذين أقـاموا بقرية « أقلول » من الفيومية ، وعـرفت بهم(٤١) ، وبنو عامـر ، وبلادهم « مطـول » « وبوصير » ومنشأة المطوع ، وبنو « ربيعة » ، وبلادهم « قبشـا » « ودموشـيه » ، « ومنيـة الأسـقف » ، وبنـو حاتم ، وبـلادهم « المهيمش »(٤٢) « ولبتوت » .

ويبدو أن جماعات بنى كلاب كانوا بعيدين عن الأحداث ، وكانوا أكثر ميلا الى الهدوء واستطابة الحياة المدنية ، ولم نسمع عنهم أنهم أسهموا بأى نصيب فى الأحداث التى نشـبت بين العرب والحـكام المماليك .

وقصارى القول أن الكثرة والغلبة ببلاد الوجه القبلى كانت لست قبائل وهم بنو هلال ، وبلى ، وجهينة ، وقـريش ، ولوانه ، وبنـو كلاب ، وعاشوا جميعا تحت هدف واحد هو مناهضة السلطة الحاكمة ــ على الأخص ــ سلاطين المماليك وأمرائهم ولم نسمع عن أى تنازع عصبى حدث بين العدنانيين والقحطانيين ، اللهم الا ذلك النزاع الذى نشب بين الهلاليين والعركيين بسبب تعارض المصالح وفضلا عن ذلك فان بعض القبائل العربية فى صعيد مصر كربيعة وجهينة انطلقت صوب الجنوب ، وأسهمت فى حركة التعريب وانتشار الاسلام .

٢ ــ المغاربة

ومن العناصر التى وفدت على بلاد الوجه القبلى وأقامت به فترة من الزمن جموع من قبـائل المغاربة ، وقد هاجـرت هذه القبائل الى

---

(٤٠) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ص ٢٧ .
(٤١) النابلسى : المصدر نفسه ، مادة أقلول .
(٤٢) النابلسى : المصدر السابق ص ١٣ .

مصر بعد انتقال الفاطميين اليها ، واستقرت فى بلاد الصعيد الأوسط وصارت لهم أماكن ثابتة ببلاد البهنسا والأشمونين ، حيث استقر نفر منهم من لواته فى نواحى « دلاص » بالبهنساويه (٤٣) ، ومن هذه الجموع بنو غرواس(٤٤) الذين استقروا استقرارا فعليا واندمجوا فى الحياة المدنية ببلاد البهنسا من لصعيد الأوسط مما جعل اسم قبيلتهم يطلق على احدى نواحى تلك البلاد .

ظلت جموع المغاربة ببلاد البهنسا والأشمونين بعد زوال الدولة الفاطمية ، ويذكر المقريزى ثبتا جمع فيه بطون لواته من البربر التى استقرت فى هذه البلاد ، ونذكر منها « بنو بركيه » و « بنو على » ، و « بنو حديدى » ، و « بنو الحكم » ، و « أولاد زعازع » (٤٥) ، واستمرت هذه البطون فى أماكنها الثابتة حتى القرن العاشر الهجرى ، ويذكر الحمدانى أن الأمارة فى بلاد البهنسا كانت مقسمة بين المغاربة وقريش ، وكانت الزعامة عند المغاربة لأولاد زعازع ، وكانوا حتى القرن التاسع الهجرى أميل الى الاستقرار ، وحسبنا فى ذلك ما نراه من اطلاق اسم قبيلتهم على كثير من مدن صعيد مصر الأوسط ، وظلت هذه الأسماء باقية حتى وقتنا الحاضر ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، نرى أسماء بطون تطلق على بلاد « أبوان الزبادى » نسبة الى جماعة البربر التى نزلت بها فى القرن السابع الهجرى(٤٦) ، « والبلاعزة »

---

(٤٣) الأدريسى : صفة المغرب ص ٥١ .

(٤٤) أشار ابن مماتى الى قرية باسم بنى غرواس ضمن قرى البهنساوية وتمثل هذه القرية اليوم قرية ملاطيه من أعمال مركز مغاغه (محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج ٣ ص ٢٥٠) .

(٤٥) المقريزى : البيان والاعراب ص ٥٦ و ٥٧ .

(٤٦) يرجع أصلهم الى زياد ، وزياد ناحية من نواحى المغرب ،

بالبهنساوية نسبة الى قوم من البربر ينسبون الى جد لهم لقبه بلعز ، وجاءوا من أطراف طرابلس الغرب،« وبنو واللمس » نسبة الى العائلة البربرية واللمس(٤٧) ، ومغاغة(٤٨) نســبة الى جماعة من البربر من لواته (٤٩) ، وجاءوا اليها فى آخر حكم دولة المماليك ، ووردت باســم مغاغة فى كتاب وقف السلطان الغورى المحرر سنة ٩٢٢ هـ (٥٠) ، وبنى نزار نسبة الى البربر المستوطنين بها فى القرن التاسع الهجرى ، وقد ورد هذا الاسم لأول مرة فى كتاب وقف السلطان الغورى المحرر سنة ٩١١هـ(٥١) ، ومنشية بنى غراوس نســبة الى أحد بطون قبيلة لواته الذين نزلوا بالبهنساوية ، وهناك من فروع لواته من استوطن بلاد الواح والفيومية ، ويذكر النابلسى(٥٢) أن الأصــل الثالث من عرب

وورد فى تاج العروس زياد موضــع بالغرب ينسب اليها مالك بن حـ... الزيادى الاسكندرانى ، وغيره من أهل زياد ـ محمد رمزى : القاموس الجغرافى ج ٣ ص ٢٢٧ انظر .

(٤٧) محمد رمزى : القاموس الجغرافى ج ٣ ص ٢٤٤ .

(٤٨) انقســمت مغاغة الى ناحيتــين ، وهى « نموى » ، و « جزيرة الحجر » ، فأما نموى فهى بلدة مغاغة نفسها ، والأراضى الواقعة الى الغرب والجنوب منها ، وأما جزيرة الحجر ، فتشمل أراضى السواحل والجزائر التابعة لمغاغة ، وقد وردت أسماء هذه النواحى فى كتاب قوانين الدواوين لابن مماتى ، وفى كتاب التحفة السنية لابن الجيعان .

ابن مماتى : قوانين الدواوين،الباب الثالثص ١٢٧ ـ ١٩٧ انظر.

ابن الجيعان : التحفة السنية ، باب جزيرة لحجر ونموى .

(٤٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ص ٣٦٤ .

(٥٠) محمد رمزى : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٠ انظر .

(٥١) أرشيف وزارة الأوقاف رقم ٨٨٣ .

(٥٢) تاريخ الفيوم وبلاده ص ١٤ ، انظر .

الفيوم هم اللائيين ومنهم « بنى هانى » ، و « بنو مكيت » ، و « بلاده
الفيوم هم اللائيين ومنهم « بنى هانى » ، و « بنو مكيت » ، و « بلادهم موسه .

وهناك بطون أخرى أقامت بالفيوم على عهد الأيوبيين وهم « بنو عجلان » ، ويذكر النابلسى (٥٣) عن قرية « القبرا » بالفيوم أن أهلها كعبيون من عرب بنى كعب فخذ من بنى عجلان(٥٤) ، ويذكر عن «منية كرنيس» أن ساكنها بنو جابر كرابسه فخذ من بنى جلان(٥٥) ومن البلاد التى قطنها «بنو عجلان » « المغرق » ، و « سميت » « بغرق عجلان » (٥٦) ، ويبدو أن بنى عجلان استطابوا الحياة فى الفيوم ، وأخذوا يتوافدون عليها حتى نهاية العصر المملوكى ، ولا أدل على ذلك من اطلاق اسم هذه القبيلة على القرى والبلاد التى أقاموا بها ، ففى تربيع سنة ٩٣٢ هـ — أى بعد نهاية حكم المماليك بقليل — تغير اسم بلدة القبرا الى الكعابى نسبة الى بنى كعب من بنى عجلان ، وتغيرت « منية كرنيس » الى « زاوية الكرابسة » بالفيوم نسبة الى بنى جابر كرابسة فخذ من بنى عجلان (٥٧) .

ومن بطون بنى عجلان الأخرى « بنو زرعة » وبلادهم « شانة بياض » و « سيلة » و « مقطول » ، و « الربيات » ، و « بورها » ، و « فرقس » ، و « العدوه » ، و « سرسنا » ، و « مطر طاوس » ، و « المصاوب » ، و « الأعلام » ، و « قشوش » ، و « صنفر » ،

---

(٥٣) تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ١٣ و ١٤ .

(٥٤) النابلسى : المصدر السابق ، ص ١٣ و ١٤ .

(٥٥) النابلسى : المصدر نفسه والصفحات .

(٥٦) ابن الجيعان : التحفة السنية ، مادة عجلان ، انظر .

(٥٧) محمد رمزى : القاموس الجغرافى ج ٣ ص ١٠٠ و ١١١ .

و « نور الرماد » من الفيومية (٥٨) ، و « بنو سمالوس » ، وبلادهم « منية البطس » ، و « الطارمة » ، و « ترســـا » ، و « بموية » ، و « بنو زمران » ، وبلادهم فى « سنهور » (٥٩) ٠

على أن هذه الجموع البربرية من لواتة وبنى عجلان قد باشرت أعمالها المدنية فى هدوء وسكينة فى صعيد مصر ، ولم نسمع أنها تفاعلت مع الثورات أو اشتركت فى أحداث التخريب والسطو مع العنـــاصر العربية الأخرى ، غير أن هناك جماعات منهم نزلت أرض صعيد مصر كان من شأنها أن ساهمت فى ازدياد خطر العربان منذ بـــداية عهـــد الجراكسة ، نعنى بها جماعات هوارة (٦٠) التى نزلت أرض البحيرة سنة ٣٦٠هـ ، ونقلها السلطان الظاهر برقوق الى الصعيد الأعلى(٦١) ، وأقطعها ناحية « جرجا » فعمروها (٦٢) ، بعد أن كانت خرابا ، واتسع نفوذ هذه الجماعات فى الوجه القبلى وانتشرت فى أرجائه « انتشـــار الجراد(٦٣) ، وبسطت يدها على بلاد الصعيد من الأعمال البهنساوية

---

(٥٨) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ١٣ و ١٤ ٠

(٥٩) النابلسى : المصدر نفسه والصفحات ٠

(٦٠) هم من ولد هوار بن أوزيغ بن برنس بن رجيك بن مارغش ابن برين بديان بن كنعان بن حام بن نوح ، وأصل ديارهم من آخر عمل سرت الى طرابلس ٠

المقريزى : البيان والاعراب ص ٦٠ ٠

(٦١) المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٦٠ ٠

(٦٢) المقريزى : المصدر نفسه والصفحة ، وكان على رأس هوارة فى ذلك الوقت اســماعيل بن مازن ، وهو الذى اقطعـه برقوق ناحيـة « جرجا » ٠

(٦٣) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٦٩ ٠

التى حدوده الجنوبية ، وأذعنت لها عشائر العربان (٦٤) ، وكانت الأمارة فى قبيلة هوارة زمن القلقشندى (ت ٨٢١ هـ) فى بيتين ، الأول بنو عمر محمد وأخوته ، ومنازلهم « جرجا » و « منشأة اخميم » ، وأمراهم نافذ من الأشمونين الى أسوان (٦٥) ، البيت الثـانى « أولاد غريب » ، ومنازلهم « دهروط » وما حولها ، وبيدهم بلاد البهنساوية(٦٦) .

ومن بطون هوارة التى قطنت البهنساوية على عهد القلقشندى بنو عمر ، بنو محمد ، وأولاد مآمن ، ونيدار ، والقرايا ، والمسلله ، وأشنـــهوم ، وأولاد مؤمنين ، والروابع ، والزوكـــة ، والبردكين ، والبهاليل ، والأصابغة ، والدناجلة ، والمواسية ، والبلازد ، والصوامع والشوادرة والزيانية ، والخيانشة ، والطرده ، والأهله ، وازليتن ، واسلين ، وبزار قمير ، والتبابعه ، والغنايم ، وفزاره ، والعبـــايده ، وساور ، وغليان ، وحديد ولاسبعة (٦٧) ، وهناك جماعات من هوارة أقامت بلاد الفيوم ، وكانت بعيدة عن مسايرة الأحداث ، فانصرفت الى البناء والتعمير ، وأنشأوا القرى والبلاد ، وقد نزحت هذه الجماعت الى الفيومية زمن الأيوبيين قبل هجرة هوارة الكبرى (٦٨) ، ويذكر النابلسى (٦٩) بلادا سميت هواره نسبة الى جماعة من قبيلة هوارة نزلت الفيوم ، وأنشأت هذه البلاد فسميت بهم ، وظلت هذه الجموع باقية فى الفيومية حتى القرن العاشر الهجرى ، وغيروا أسماء بعض البلاد ، وأطلقوا عليها اسم قبيلتهم ، ويظهر ذلك فى تربيع سنة ٩٣٣ هـ حيث اطلقوا على «دموة اللاهون » اسم « هوارة عجلان » .

---

(٦٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ ص ٦٩ .
(٦٥) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٦٩ .
(٦٦) القلقشندى : المصدر نفسه جـ ٤ ص ٦٩ .
(٦٧) القلقشندى : نهاية الأرب ص ٤٤١ و ٤٤٢ .
(٦٨) نعنى بها هجرة هوارة زمن السلطان الظاهر برقوق .
(٦٩) تاريخ الفيوم وبلاده ص ٢٢ وما بعدها .

وتحدثنا المصادر أن أولاد عمر فى الصعيد الأعلى كانوا على قدر من المهابة والقوة ، فكثرت أموالهم ، وأكثروا من زراعة النواحى ، وأقاموا دواليب السكر واعتصاره ، وكان أشهر القائمين منهم على هذه النشاطات ، محمد المعروف « بأبى السنون » (٧٠) وظلت جماعات أخرى منهم تعيش حياة البدو ، وكانت السيادة لبنى عمر على فرع أولاد غريب ، فالأول كان مواليا للسلطة (٧١) ، لكن تغيرت الحال تماما فى نهاية عصر الجراكسة — على الأخص — زمن السلطان قايتباى — اذ حدث الشقاق بين أولاد بنى عمر والسلطة الحاكمة بسبب تلك الغارات التى شنها الفريق الأول على صعيد مصر الأعلى ولم ير السلطان بدا من ارسال الحملات لردع هؤلاء العربان فى سنة ٨٧٤ هـ وسنة ٨٩٨ هـ ، وتمكن الأمير يشبك الدوادار من خلال هذه الحملات من الايقاع بهم والخلاص منهم ، ومهما يكن من أمر تلك الحملات فان غارات هوارة على جنوب مصر أدت فى النهاية الى خراب الصعيد ، و « دثور أكثر بلاده » (٧٢) .

ومن المعروف أن بطون هوارة — رغم كل هذه الأحداث — استمرت فى نمو مطرد فى الوجه القبلى حتى كان لأولاد همام فى القرن ١٢ هـ ١٨م شوكة عظيمة فى هذا الاقليم ، ولا تزال أسر من هوارة تسكن الى

---

(٧٠) المقريزى : البيان ص ٦٠ .

(٧١) يرجع السبب فى ذلك أن أولاد غريب تحالفوا مع عرب الأحامدة وبنى الكنز للاغارة على ثغر أسوان ، فنهبوه ، وأصدر السلطان وامره سنة ٧٩٨ الى نائب الوجه القبلى بالقبض على عرب هوارة ممن ينتمون الى أولاد غريب وشارك بنو عمر نائب الوجه القبلى فى حملته ضد أولاد غريب .

ابن الفرات : تاريخ ج ٢ ص ٤٤٠ .

(٧٢) المقريزى : السلوك ، حوادث سنة ٨٢٥هـ .

يومنا فى قرى لا تزال تحمل أسماء فروع من قبائلهم ، ومن هذه القرى فى « طما » ، و « الدناجلة » بأبى تيج ، والبــلازد ــ وتســمى الآن البلايزه بأبى تيج ــ والصوامع والغنايم بمحافظة أسيوط ، وأشموم بسوهاج .

من الملاحظ أن قبائل المغرب المهاجرة الى مصر جاءت تحمل أنساب عربية ، وتنقسم فى أنسابها الى الشعبتين العربيتين ، فبعضهم ينتسب الى القيسية مثل لواته ، وبعضهم ينتسب الى اليمانية مثل هواره(٧٣) .

---

(٧٣) عبد المجيد عابدين : البيان ص ١٣٣ .

٣ ـ أهل الذمـة :

(أ) الأقبـاط :

عامل الفاطميون النصارى الأقباط ـ فى معظم الأحيان ـ معاملة تنطوى على العطف والرعاية ، وقلدوهم المناصب الادارية والمالية فى الدولة ، وتمتعوا بقسط وافر من التسامح الدينى ، بدليل ما أقدم عليه النصارى فى بناء عدد من الكنائس ، وتجديد ما خـرب منها ، وسـار الأيوبيون على نفس السياسة تجاه أهل الذمة ، فعاملوهم بما ينطوى على الود واللين ، وسمحوا لهم بالاشتغال فى وظائف الدولة المـالية والادارية ، فأبقى السلطان الناصر صلاح الدين الموظفين الأقباط فى وظائفهم(١) ، وأزاح السلطان الناصر صلاح الدين الموظفين الأقباط فى العديدة ، والتى بلغت حصيلتها السنوية مائة ألف دينار(٢) ، وألغى بقية المكوس(٣) الفاطمية ، ويذكر الكتاب المسيحيون(٤) فى ذلك أن السلطان الناصر صلاح الدين قد أوقف حركة التخريب التى سـادت المجتمع فى منتصف القرن السادس الهجرى .

وكان سلاطين بنى أيوب حريصين على حماية دور العبادة الخاصة بنصارى مصر ، ولم تغفل الوثائق المسـيحية سياسة التسامح التى سارت عليها السلطات الأيوبية حيال أهل الذمة(٥) ، وقد أظهر الملك

---

(١) ومن علامات ذلك قراره بعودة الموظفين الأقباط الذين طردهم أسد الدين شيركوه .

(٢) بلغت هذه الضرائب ثمانية وثمانين ضريبة .

(٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٠٤ و ١٠٥ .

(٤) جاك تاجر : أقباط ومسلمون ص ١٦٥ و ١٦٦ .

(٥) جوزيف نسيم يوسف : دراسة فى وثائق العصرين الفاطمى والأيوبى المحفوظة فى مكتبة دير سانت كاترين ـ مجلة كلية الآداب ـ الاسكندرية ـ مجلد ١٨ .

الكامل عطفا على النصارى الى درجة أن الروايات الفرنسيسكانية تدعى أنه أمضى بقية حياته فى أحد الأديرة فى مصر(٦) — وهو ما نستبعده — وتذكر احدى الوثائق المسيحية أنه منع سب المسيحيين بالكلمات ، وهدد من يخالف الأمر بالعقوبة الصارمة(٧) .

وقد تمتع النصارى فى داخل البلاد فى عهد بنى أيوب بقسط وافر من الحرية ، وانصرفوا الى مباشرة عقائدهم ، واستغلوا بأعمال التجارة ، ويذكر النابلسى(٨) عن النصارى الفيومية أنهم كانوا يمثلون الحضر ، وأقامت طوائف منهم الأسواق(٩) ، وبلغ من كثرة تمركزهم أن أطلقوا أسماء طوائفهم على الحارات والأحياء التى نزلوا بها(١٠)، وعمرت كنائسهم ، وأديرتهم فى الوجه القبلىعلى طول البلاد وعرضها، وتذكر المخطوطات المسيحية فى العصور الوسطى أن معظم كنائس وأديرة الصعيد التى كانت للأقباط ظلت عامرة حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى(١١) ، ومن البلاد التى انتشرت فيها الكنائس بصورة واسعة وظلت باقية طيلة عهد الأيوبيين بلاد الصعيد الأوسط فى « الجيزة »(١٢) ، « واتليدم » ، « وقلوسنا » ، « ودلجة »، ومدينة

---

(٦) جاك تاجر : أقباط ومسلمون ص ١٦٨ .

(٧) جاك تاجر : المصدر نفسه والصفحة .

(٨) تاريخ الفيوم وبلاده ص ١٣ .

(٩) النابلسي : تاريخ الفيوم ، ص ٢٣ .

(١٠) النابلسي : المصدر نفسه ص ٢٢ .

(١١) ميخائيل يخن : تاريخ القديس الأنبا أبى حنس القصير ص ١٣٢ و ١٣٣ .

(١٢) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٥١٧ .

« الأشمونين » ، « وبرقرقص »(١٣) ، « وجبل الطير »(١٤) ، ومدينة « البهنسا »(١٥) ، «وأدرنكه»(١٦)،«وطما»(١٧) ، « وسوهاى »(١٨)، « وقوص (١٩) ، وسيوط ويحدثنا عنها ياقوت الحموى أن بها خمسا وسبعين كنيسة ، (وهم بها كثير)(٢٠) .

على الرغم من دخول معظم الأقباط فى الاسلام زمن الأيوبيين ، فقد ظلت الفئات الباقية على مسيحيتها ، واستمسكت بلغتها القبطية الى جانب العربية ، فيحدث صغيرهم كبيرهم بها ، ويفسرونها بالعربية(٢١) ، كذلك أقبل الأبناء الصغار على تعليم اللغة حتى قيل أن الغالب على نصارى أدرنكة معرفة القبطى الصعيدى وهو أصل اللغة القبطية(٢٢) ، ولا يكاد نساء الصعيد وأولادهن يتكلمن الا بالقبطية الصعيدية(٢٣) .

على أن الحريات التى تمتع بها الأقباط زمن الأيوبيين لم تمنع

---

(١٣) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة مصر .
Fol 92/a — 78, 79/a

(١٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٣ ص ٥٠ .

(١٥) على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٢ .

(١٦) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥١٨ .

(١٧) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥٠٦ .

(١٨) العمرى : مسالك الأبصار ج ١ ص ٣٧٥ .

(١٩) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥١٩ .

(٢٠) معجم البلدان ج ١ ص ٢٥١ .

(٢١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥١٨ .

(٢٢) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥٠٦ .

(٢٣) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥٠٦ .

من ظهور بعض الخلافات داخل الجماعة القبطية ، فقد اشتد التنافس بين كبار رجال الكنيسة ، على الوظائف الدينية مما أدى الى تدخل الحكومة الأيوبية لحسم خلافاتهم ، وظهر ذلك أيام الملك الكامل حينما احتدم النزاع بين اثنين على كرسى البطريركية ، وأيد كل منهما فريق من النصارى ، وانتهى الأمر بأن بقى منصب البطريرك شاغرا تسعة عشر عاما ، ومائة وستون يوما ، وقد أوجدت هذه الخلافات فجوة عميقة داخل الجماعات المسيحية ، ويذكر ابن العميد(٢٤) أن كافة الديار المصرية قد خلت من الاساقفة أيام بطريركية كيرليس ابن داود ابن لقلق .

ظلت الجموع المسيحية فى الوجه القبلى زمن المماليك تباشر عقائدها ، وحياتها المدنية آمنين مطمئنين دون أن يلحقهم أذى أو يصيبهم مكروه ، ونستطيع من خلال معرفتنا بكنائس وأديرة مصر أن نصل الى نتيجة هامة ، وهى أن غالبية أقباط مصر كانوا يسكنون الصعيد ، وتؤكد المصادر العربية صحة هذا القول فيذكر المقريزى(٢٥) عن قرية « طنبدى » من الصعيد الأوسط أن أكثر أهلها نصارى أصحاب صنائع ، وأورد أبو المحاسن(٢٦) عن قرية الخصوص ناحية ابنوب من السيوطية ، أن كل من فيها نصارى ، ولا يزال أغلب سكانها نصارى الى اليوم ، ومن أكبر الدلائل على صحة هذه الظاهرة الاحصاء الذى قدمه لنا المقريزى فى خططه عن كنائس الوجهين القبلى والبحرى ، فقد أحصى خمس عشرة كنيسة فى الوجه البحرى وتسع عشرة كنيسة فى القاهرة ، فى حين بلغ عدد الكنائس التى أحصاها فى

---

(٢٤) تاريخ الأيوبيين ص ١٢٨ و ١٢٩ .
(٢٥) الخطط ج ٢ ص ٥١٧ و ٥١٨ .
(٢٦) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٩ .

صعيد مصر اثنين وثمانين كنيسة(٢٧) مما يشهد على تمركز الأقباط فى الصعيد أكثر من الوجه البحرى والقاهرة .

كذلك انتشرت الأديرة فى صعيد مصر بصورة واسعة ، وكانت الغالبية العظمى من هذه الأديرة لليعاقبة الأقباط(٢٨) ، ونستطيع أن نعطى صورة واضحة لأديرة الوجه القبلى زمن المماليك من خلال الاشارات التى جاءت فى المراجع المعاصرة ، فقد أحصى المقريزى ستة وثمانين ديرا كانت غالبيتها العظمى لليعاقبة الأقباط فى صعيد مصر(٢٩)، وكانت هذه الأديرة تشمل عدة مبان ، كالكنيسة ، والهيكل الذى خصص للصلاة ، والمذبح الذى خصص لتقديم القرابين ، والقلالى التى اقيمت لسكن الرهبان،والحصن الذى الحق بالأديرة لحماية الرهبان والراهبات من هجمات العربان واللصوص(٣٠) .

ويظهر من تلك الاشارات أن عديدا من أديرة الصعيد قد نحتت فى صخور الجبال ، مثل دير مقارة شقلقيل قرب منفلوط من الصعيد الأوسط،ودير السبعة تجاه سيوط ، ودير النقلون بجبال الفيوم(٣١) ، وأن بعض هذه الأديرة استخدم فى بنائها الطوب كما هو الحال فى الدير الأحمر ناحية سوهاج(٣٢) ، وأن البعض الآخر استخدم فى بنائه الطوب والأحجار معا كدير القلمون ببرية الفيوم ودير برفانا من الصعيد الأوسط قرب الأشمونين ، وقد بنيت بعض أديرة الصعيد فى

---

(٢٧) المقريزى : الخطط ص ٥١٠ ـ ٥١٨ ، انظر .

(٢٨) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥٠٠ ـ ٥١٠ ، انظر .

(٢٩) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥٠٠ ـ ٥١٠ ، انظر .

(٣٠) حبيب زيات : الديارات النصرانية ، ص ١٣ ـ ١٥ .

(٣١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥٠٠ ـ ٥٠٤ ، انظر .

(٣٢) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥٠٧ .

الصحراء،ومن أشهرها ديرى انطونيوس وبولا بالصحراء الشرقية(٣٣) والدير الفاخورى فى صحراء أصفون بالقرب من قنا الحالية ، وهنـاك أديرة — بصعيد مصر — بنيت على التلال ، نذكر منها،دير أنبا هدرا بأسوان(٣٤) .

وقد شملت أديرة الصعيد الى جـانب أماكن العبادة أماكن أخرى للنزهة ، فحفلت ببسـاتين الكروم وعيـون الماء ، ونذكر على سـبيل المثال من هذه الأديرة « أبو النمور » من الصعيد الأوسط ، ودير أنبـا « دندونـه » شرقى أطفيـح من الصـعيد الأوسط ، ودير القـديس « أبو شنودة » بأخميم ودير الجميزة بالقرب من دهروط من الصـعيد الأوسط ، ودير بسملوط من الأشمونين(٣٥) ، وقد أوضحت اشـارات المصادر أن السلطة الحاكمة كانت تتدخل بين حين وآخر لمنع النصارى من استخدامهم الأديرة فى غير الأغراض التى بنيت من أجلها ، وقـد أمدنا القاقسندى(٣٦) بوثيقة تبين لنا تحـذيرا من السلطة المملوكيـة الحاكمة جاء فيه (وليعلم أنهم اعتزلوا فيها للتعبد ، فلا يدعها تتخـذ متنزهـات) .

ويصف الجغرافيون أديرة الوجه القبلى والأماكن المجاورة لهـا بحسن المنظر وروعة الموقع ، ويتجلى لنا ذلك فى وصف ياقوت الحموى،

---

(٣٣) حبشى وزكى تاوضروس : صحراء العرب والأديرة الشرقية ، ص ٦٤ .

(٣٤) سعاد ماهر : الفن القبطى ، ص ٦٥ وما قبلها .

(٣٥) أبو صـالح الأرمنى : كنـائس وأديرة مصر ص ٦٨ و ٦٩ و ١٠٤ و ١١١ و ١١٣ و ١١٧ .

(٣٦) صبح الأعشى ج ١١ ص ٣٩٤ و ٣٩٥ .

وقد جاء هذا التحـذير من قبل الدولة فى اطار التحـذيرات التى وجهتها الدولة الى بطاركة النصارى ، وخص هذا التحذير بطرك الملكانية .

وابن فضل الله العمرى عن دير نهيا بالجيزة بأنه (من أحسن ديارات مصر وأنزهها ، وأطيبها مرقعا ، وأجلها موقعا ، وكان له فى أيام النيل منظر عجيب لأن الماء يحيط به من جميع جهاته ، فاذا انصرف الماء ، وزرعت الأرض،ظهرت أراضيه غرائب النواوير وأصناف الزهور)(٣٧)، كذلك كان دير المحرق يحتل موقعا طيبا فى الصعيد الأوسط ، وتعجب ياقوت الحموى(٣٨) من جمال منظره وحسن عمارته ، وكثرة متنزهاته، ويلمس زوار الأديرة فى صعيد مصر ذلك الارتياح لكثرة ما ألحق بهذه الأديرة من الحدائق والمتنزهات ووقوعها فى أماكن منعزلة أضفى عليها جوا من الهدوء والسكينة •

كذلك كانت أديرة الصعيد موضع اهتمام السلاطين الشغوفين بالصيد ، ويشير ابن فضل الله العمرى(٣٩) أنه كان فى صحبة السلطان المنصور قلاوون فى رحلة لهذا الغرض الى الدير الأبيض — فى شمال الصعيد الأعلى — وكان الدير حينذاك تكثر فيه مصايد الطير ، وكان يشرف على بركة تكثر فيها مصائد الأسماك(٤٠) •

وقد روعى عند بناء الأديرة معايش الرهبان وحاجياتهم اليومية من المأكل والمشرب،لذا نجد فى بعض أديرة الصعيد الطواحين المستخدمة فى طحن الغلال(٤١) ، ومعاصرة الزيوت(٤٢) ، كما انتشرت فى أديرة الصعيد — أيضا — مزارع الزيتون والنخيل والبقولات(٤٣) ، فضلا

---

(٣٧) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ، ج ١ ص ٣٦٢ •

(٣٨) معجم البلدان ج ٤ ص ١٧٠ و ١٧١ •

(٣٩) مسالك الأبصار ج ١ ص ٣٧٥ •

(٤٠) العمرى : المصدر نفسه ج ١ ص ٣٧٥ •

(٤١) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة مصر ص ٧٠ •

(٤٢) أبو صالح الأرمنى : المصدر نفسه ص ١١٢ •

(٤٣) أبو صالح الأرمنى : المصدر نفسه ص ٩٠ و ٩١ •

عن الملاحات التى بلغت فى بعض الأديرة بالفيومية فى كل سنة ٣٠٠٠ أردب(٤٤) .

وخصصت فى بعض الأديرة بالصعيد أماكن للنســـاء ، ويفهم من اشارات ابن فضل الله العمرى(٤٥) عن دير ريفة بأسيوط أنه كان يحوى بعض الراهبـــات .

وكانت الأديرة بصعيد مصر زمن المماليك موضع اهتمام المسيحيين والمسلمين على حد سواء ، ويكفينا فى هذا الصدد أن نشير الى الزيارات التى أقامها حجاج المسلمين لبعض أديـــرة الصعيد ، وقد أظهـــرت لنا الاكتشافات الأثرية أن الكثير من المسلمين أقبلوا على زيارة دير القديس أنبا هدرا بأسوان ، ودونوا أسماءهم ، وتاريخ قيامهم بالزيارة، ونذكر على سبيل المثال بعض العبارات التى دونها المسلمون باحدى حجرات الدير(٤٦) .

فكتب فى الركن الجنوبى الشرقى بالحفر المغائر
« حضر جماعة فقراء ، وهم » ...
ابراهيم الحسينى رفيق التلمسانى
وعبد الله وعلى الحفى شهر محرم سنة
أربعـــة وعشرين وسبعمائة
وكتب على الجدار الشمالى بالمداد الأحمر

« حضر على الطبطرى وعلى الحسينى رفيق الحاج أيوب الكردى

---

(٤٤) أبو صالح الأرمنى : المصدر نفسه ص ٩٠ و ٩١ .
(٤٥) مسالك الأبصار جـ ١ ص ٣٧٥ .
(٤٦) حجاجى ابراهيم : الحصـــون الدفاعية فى الأديرة المصرية ــ رسالة ماجستير ــ ص ١٤٦ و ١٤٧ .

وعمر التركى رفيق الفقراء ، وغلمان (كذا) محم سنة أربعة وعشرين وسبعماية » .

وتعطينا هذه الزيارات دلالة واضحة على قوة العلاقات الاجتماعية التى تميزت بروح الوفاق بين المسيحيين والمسلمين فى مجتمع الوجه القبلى ، مما جعل أديرة الصعيد عامرة بالرهبان فترة طويلة من عصر المماليك ، وتؤكد الدراسات الأثرية التى أجراها المتخصصون صحة ذلك ، فقد أثبتت أن طائفة الرهبان باشرت حياتها الدينية فى هدوء وسكنية ، وأن الفنانين أقبلوا على تزيين هياكل الكنائس ، وحجرات القلالى بالأديرة بالزخارف التى شاع استخدامها فى العصر المملوكى ، ولنضرب مثلا « بدير أبو فانا »(٤٧) — حيث زين الفنانون هيكل الكنيسة وحجرات القلالى داخل الدير بزخارف جصية تمثل القصص المسيحى،فضلا عن الزخارف الهندسية التى تعطينا أشكالا صليبية(٤٨)، وذكر المؤرخون المعاصرون فى كتاباتهم « كالعمرى »(٤٩) ، « والمقريزى »(٥٠) ، أن هناك أديرة فى صعيد مصر ظلت حتى أيامهم عامرة بالراهبات ، على أن ذلك لم يدم طويلا ، فقد خرب بعض الأديرة — كما سنرى — بسبب هجمات العربان أو هجمات اللصوص، مما أدى الى أن فقدت بعض الأديرة أهميتها بحيث لم يبق فى الواحد سوى راهب أو اثنين ، وبقى بعضها عامرا حتى نهاية القرن التاسع

---

(٤٧) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥٠٠ ، وما بعدها — انظر .

(٤٨) قام بعمل هذه الدراسات الأثرى مدحت المنياوى ، وقد شاركته العمل .

(٤٩) مسالك الأبصار ج ١ ص ٣٧٥ — ٣٨٩ .

(٥٠) الخطط ج ٢ ص ٥٠٨ .

(٥١) الخطط ج ٢ ص ٥٠٦ .

الهجرى ، ونستدل على ذلك من خلال اشارات المقريزى(٥١) الذى عاش سنة ٨٤٥هـ ، فيذكر فى خططه أن أديرة الصعيد كانت (.. آيلة الى الدثور .. بعد كثرة عمارتها ، ووفور أعداد رهبانها ، وسعة أرزاقهم وكثرة ما كان يحمل اليهم ..) .

ولا يفوتنا أن نذكر أن كثرة الأديرة لدليل قاطع على انتشار الرهبنة فى صعيد مصر ، وكان لصعيد مصر فضل السبق فى نشر الدعوة الى الرهبنة وتطورها منذ أن بدأت فى القرن الثانى الميلادى على يد القديس فرونتون (١٣٨ — ١٦١ م) أول من اعتنق الرهبنة فى مصر ، وقد بدأت الرهبنة فى مصر على نظام التوحد ، فكان الرهبان يعيشون منفردين فى مغارات منثورة فى الجبل فى صعيد مصر ، وكانوا لا يتركون قلاليهم الا يومى السبت والأحد لسماع الوعظ من شيوخ الرهبان ، ثم ينصرفون — بعد ذلك — لتناول وجبة الأغالى (المحبة)(٥٢) ، وكانت حياة الرهبان تعتمد على الصمت ، وكانوا أثناء عملهم يتلون المزامير والمدايح المدينية ، ومن عادة الرهب أن يكون بسيطا فى ملبسه ، ومطعمه(٥٣) .

وقد عاش الرهبان حياة الجماعة بعد أن أدخل القديس باخوم(٥٤) نظام التجمع فى الرهبنة ، واستمر هذا النظام معمولا به حتى وقتنا الحاضر .

وتعد منطقة بسبير فيما بين أطفيح وبنى سويف من الصعيد الأوسط من أقدم مراكز الرهبنة فى صعيد مصر ، اذ أخذت الرهبنة

---

(٥٢) حجاجى ابراهيم : الحصون الدفاعية فى الأديرة المصرية ص ٢٨ و ٢٩ .
وجيه فوزى : تصميم الكنائس القبطية الأرثوذكسية ص ٣٧ .
(٥٣) رءوف حبيب : تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر ص ٦٢و٦٣
(٥٤) كان ذلك فى القرن الرابع الميلادى .

شكلها المألوف فى تلك المنطقة منذ القرن الثالث الميلادى على يد القديس انطونيوس(٥٥)،ثم انتقلت الى أعالى الصعيد حتى الصحراء الشرقية(٥٦) ٠

ويجدر بنا فى معرض الحديث عن الكنائس والأديرة أن نشير الى رجال الدين القائمين على تنظيم الشئون الداخلية للجماعات المسيحية ، ويأتى على رأس هؤلاء البطريرك ، وكان اليعاقبة بصعيد مصر خاضعين لسلطات وواجبات بطريرك اليعاقبة ، التى كانت تشمل تنظيم الشئون الداخلية لجماعته بما فى ذلك بيوعهم ، ومواريثهم ، وأنكحتهم ، ووفقا لأحكام شريعتهم ، وأن يحدد مواعيد أعيادهم ، ومواسمهم ، بالاضافة الى الاشراف على شئون الأديرة ، ومن بها من الرهبان والأساقفة ، والقساوسة(٥٧) ، وكان ضروريا أن يتمتع البطريرك بمعرفة تامة بأحكام الانجيل(٥٨) ، وأن يكون زاهدا فى أمور الحياة الدنيوية(٥٩) ٠

ومن الوظائف الدينية المسيحية الأخرى ، الأسقف وكان ينوب عن البطريرك فى الأقاليم ، ونذكر من بين أقاليم الوجه القبلى أسقفية الفيوم ، وأسقفية الأشمونين(٦٠) ٠

---

(٥٥) حبشى وتاوضروس : صحراء العرب والأديرة الشرقية ص١٣٩

(٥٦) حدث ذلك حينما انطلق الى هذه المنطقة « انطونيوس » و « بولا » ، وهما اذ ذاك من أعظم أقطاب الرهبنة المسيحية ٠

(٥٧) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١١ ص ٣٩٥ ــ ٣٩٧ ٠

(٥٨) القلقشندى : المصدر السابق ج ١١ ص ٣٩٤ ــ ٤٠٥ ٠

(٥٩) القلقشندى : المصدر السابق ج ١١ ص ٣٩٤ ٠

(٦٠) يعقوب موزر : أنبا بولس الربوشى ــ صور من تاريخ القبط ــ ص ٢١٥ ٠

أما المطران ، فكان يتولى الفصل فى المنازعات بين المسيحين ، ويليه القسيس الذى لا يقرأ الاناجيل والمزامير ، ويقيم الصلوات،ومن قساوسة الصعيد المشهوين ، بولس البوشى ، وكيرلس بن لقلق ، وقد عكف هذان القسيسان — كما سنرى — على دراسة العلوم القبطية ، وأسهما فى قيادة الفكر الدينى المسيحى فى صعيد مصر(٦١) .

أما الشماس ، فكان يرعى مصالح الكنيسة ومن أكبر من تولى هذه الوظيفة فى صعيد مصر صليب البنا الذى ذاع صيته بمنطقة أنصنا من الصعيد الأوسط(٦٢) .

وهناك الراهب الذى وهب نفسه للعبادة(٦٣) ، ودراسة علوم الأوائل ، وقد نبغ كثير من الرهبان والراهبات فى الدراسات القبطية(٦٤) .

هذا ، وقد شارك نصارى الوجه القبلى فى أحداث عصر سلاطين المماليك وفى الحياتين الاجتماعية والاقتصادية ، فأحسنوا زراعة الأرض(٦٥) ، وامتلكوا المواشى(٦٦) .

وقد أسهم المسيحيون من الأقباط فى أعمال صيانة النهر مثل حفر الترع والخلجان ، وبناء الجسور ، وما الى ذلك ، ففى سنة ٧٤٩ أمر

---

(٦١) يعقوب موزر : المصدر نفسه والصفحة .

(٦٢) ميخائيل بحر : أبو حنس القصير ص ٧١ .

(٦٣) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٧٢ و ٤٧٤ .

(٦٤) تعرضنا لذلك فى حديثنا عن دور القبط فى الحياة العلمية .

(٦٥) العمرى : مسالك الأبصار جـ ١ ص ٣٧٥ .

(٦٦) العمرى : مسالك الأبصار جـ ١ ص ٣٧٥ .

السلطان الناصر حسن بن قلاوون الأمير منجك اليوسفى بالاشراف على بناء جسر على النيل لدفع المياه من الجيزية تجاه القاهرةوساهم الأقباط فى تغطية نفقات هذا المشروع ، وتم تحصيل الضريبة اللازمة من الأديرة والكنائس(٦٧) .

كذلك أسهم الأقباط بدور بارز فى ميدان النشاط الصناعى ، فأشتهرت عدة قرى من صعيد مصر بسكانها الأقباط الذين تخصصوا فى عمل بعض الصنائع والحرف ، ونذكر على سبيل المثال قرية طبندى التى اكتظت بالنصارى أصحاب الصنائع والحرف اليدوية(٦٨) ، ولا يخفى علينا أن الأقباط قد أدوا دورا هاما فى التقدم الصناعى فى مصر الاسلامية ، وقد ذكرنا فى معرض حديثنا عن النشاط الصناعى العديد من الصناعات التى قامت فى صعيد مصر بفضل مهارة الأقباط، ويأتى على رأس هذه الصناعات ، صناعة النسيج ، وصناعة الزيوت ، وما الى ذلك .

ولم يقتصر نشاط الأقباط على الصناعة ، بل تطرقت جهودهم الى ميادين آخرى ، فيذكر المقريزى(٦٩) ، عن قرية « بو مقرونة » من السيوطية أن أهلها نصارى وكانوا رعاة غنم ، ويساهم النصارى فى النشاط التجارى ، وتذكر كتب الحسبة عن بعض مثاقيل الموازين كانت تحمل كتابة عربية على أحد وجهيها ، فى حين كانت تحمل كتابة قبطية على الوجه الآخر ، وتوضح الوثائق التى ترجع الى عصر المماليك أن بعض المسيحين قد عملوا فى مهنة البيطرة ، كما تشهد الوثائق المسيحية على أن الأقباط امتلكوا العقارات فى شتى أنحاء

---

(٦٧) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٦٧ .
(٦٨) المقريزى الخطط جـ ٢ ص ٥١٧ و ٥١٨ .
(٦٩) الخطط جـ ٢ ص ٥١٧ و ٥١٨ .

البلاد ، وانهم شــاركوا فى عمليات البيــع والشراء مع المسلمين فى حرية تامــة(٧٠) ٠

وبرز دور الأقبــاط فى الحياة العامة ، وأدركوا أهمية نهر النيــل فى حياة مصر والمصريين ، واذا انخفض ماء النيل خرجوا مع المسلمين الى الصحراء ، المسلمون يؤدون صلاة الاستقساء والنصارى يحملون كتبهم المقدسة ، ويبتهلون الى الله أن يزيل عنهم هذا الكــرب(٧١) ، وقد أظهرت هذه الصلات قــوة العلاقات الاجتمــاعية بين الأقبــاط والمســلمين ٠

وظهر تأثير أهل الذمة من النصارى فى عادات وتقاليد المجتمــع فى مصر ، ويتضح لنا ذلك من تلك الأطعمة التى أحبها القبط ، واعتــاد الناس أن يصنعوها ، ويتهادون بها فيما بينهم فى الأعياد والمواسم ، كما أن بعض المدارس تغلق أبوابها أيام هذه المواسم ، وتعطل فيها الدروس(٧٢) ٠

وكان المسيحيون زمن المماليك أكثر ميلا الى الترف ، وتبــاهوا بمظاهرالعز والرفاهية ، ويذكر ابن الأخوة(٧٣) (ت سنة ٧٢٩هـ) أن مسيحى عصره اتخــذوا لأنفســهم الألقــاب ، وتظاهروا بأقــوالهم وأفعــالهم ٠

وتميزت العلاقات بين المسلمين والأقباط فى الوجــه القبلى زمن

---

(٧٠) قاسم عبده : أهــل الذمة فى مصر فى العصــور الوســطى ص ١٤٩ ٠

(٧١) ابن اياس : بدائــع الزهــور جـ ١ ص ٢٢٩ ـ كان ذلك سنة ٧٧٥هـ ٠

(٧٢) ابن الحاج : المدخل جـ ١ ص ٢٨١ ٠

(٧٣) معالم القرية ص ٩٦ ٠

المماليك بروح الوفاق والوئام ، ولم يتعرض الأقباط لاية اضطهادات طيلة عصر المماليك ، اللهم الا تلك الاضطهادات التى لقيها أهل الذمة كرد فعل لاستفزازاتهم ، وتماديهم فى التظاهر بثرواتهم ، ولنضرب مثلا لذلك ، حينما قدم مصر الوزير المغربى(٧٤) سنة ٧٠٠هـ ، وقدم احتجاجا شديدا على ما يلاقيه أهل الذمة من مظاهر الترف وجمع الثروات(٧٥) ، وكان من نتائج هذه الزيارة أن تحمس السلطان ، وأصدر مرسومه الشهير الذى جدد ما عرف باسم (الشروط العمرية)(٧٦) ، وفرضت القيود على الذميين المصريين لفترة من الوقت ، ولم تلبث ان عادت الى ما كانت عليه ٠

وصادفت دعوة الوزير المغربى قبولا لدى مشايخ الوجه القبلى، فنادوا بغلق الكنائس فى قوص ، ولم تفلح جهود النصارى فى فتحها(٧٧) ، ويعلق الأدفوى(٧٨) على ذلك بقوله (فلم يأت وقت الظهر الا وقد هدمت ثلاث عشرة كنيسة) ، ومما قيل أن الدعوة الى ذلك العمل جاءت من قبل الشيخ عبد الغفار بن نوح القوصى الدورى الأقصرى (ت ٧٠٨هـ)(٧٩) ٠

---

(٧٤) كان وزيرا لأبى الفوارس المتوكل ملك مراكش ٠

(٧٥) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٤٩٨ ٠

(٧٦) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٤٩٨ و ٤٩٩ — أبو المحاسن : النجوم ج ٨ ص ١٣٤ ٠

(٧٧) الأدفوى : الطالع السعيد ص ٣٢٥ و ٣٢٦ ٠
لجأ النصارى الى السلطة الحاكمة ، واحضروا مرسوما بفتح الكنائس فقام شخص يدعو المسلمين فى جامع قوص بهدم الكنائس ٠
الأدفوى : الطالع ص ٣٢٥ و ٣٢٦ ٠

(٧٨) الطالع ص ٣٢٥ و ٣٢٦ ٠

(٧٩) الأدفوى : المصدر السابق والصفحات ٠

وكثر ايقاع المسلمين بالنصارى – على الأخص فى بلاد الوجه القبلى – وذلك فى عهد كريم الدين وزير السلطان الناصر محمد بن قلاوون ثم ناظره(٨٠) الخاص ، وكان كريم الدين قد أضر بالمسلمين ، فكرهته العامة ، وأقدموا على كنائس الصعيد وأخربوها ، ومنها ست كنائس فى كل من البهنسارية « وسيوط » ، « ومنفلوط »، « ومنية بنى خصيب »(٨١) ، وثمانية كنائس « بقوص » ، « وأسوان »، واحدى عشر « بالأطفيحية » ، فضلا عن الديارات الكثيرة التى خربت(٨٢) ، وكانت هذه الأحداث فى مدة يسيرة (قلما يقع مثلها فى الأزمان المتطاولة ، وهلك فيها من الأنفس ، وتلف فيها من الاموال ، وخرب من الأماكن ما لا يمكن وصفه لكثرته)(٨٣) ، ولم يكف العامة

---

(٨٠) الشوكانى : البدر الطالع ص ٣٧٤ .

عظم شأن كريم الدين فى عهد الناصر محمد بن قلاوون ، وكان نصرانيا وأسلم فى سن الشيخوخة ، ووزر أثناء الفتنة التى ضيق فيها سلار وبيبرس الخناق على الناصر ، على أن الملك الناصر أثناء سلطنته الثالثة قبض على كريم الدين ، وصادر أمواله حتى شفع له جماعة من الأمراء ، فعفا عنه ، وعينه ناظره الخاص وكان أول من عين فى هذه الوظيفة وعلى الرغم من مبالغته فى اظهار اسلامه لم ترض عنه العامة لسوء معاملته ، وعدم التزامه مبدأ الحياد ، وأمر السلطان الناصر بمصادرة أمواله ودوره ، وبعث به الى بيت المقدس ، وانتهى الأمر بنفيه إلى أسوان وأقام فى السجن حتى مات سنة ٧٢٢هـ .

ابن أياس : بدائع الزهور ج ١ ص ١٦٢ – الشوكانى : البدر الطالع ص ٣٧٤ .

(٨١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥١٦ و ٥١٧ .

(٨٢) المقريزى : المصدر نفسه ج ٢ ص ٥١٦ و ٥١٧ .

(٨٣) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٥١٧ .

عن فكرة الأضرار بكنائس القبط فى الوجه القبلى ، فأقبلوا فى ٩ ربيع سنة ٧٢٠هـ على هدم ما بقى من كنائس قوص ، وتواترت الأخبار فى الوجه القبلى بكثرة ما هدم فى هذا اليوم ، فاشتد غضب السلطان من العامة(٨٤) .

وكان من الطبيعى أن تثير هذه الحوادث ثائرة المسيحين فأشعلوا النار فى القاهرة ومصر ، واندلع لهيبها سنة ٧٢١هـ(٨٥) شهرا كاملا(٨٦) فأعيد تنفيذ القرار الذى أصدره السلطان الناصر محمد فى رجب سنة ٧٠٠هـ ، وأرسل الى كافة الأقاليم صيغة المرسوم لتنفيذه فى النصارى ، ومن بين عباراته وكانت جماعة من مفسدى النصارى قد تعدوا وطغوا وتمادوا فى المخالفة الى ما يقتضى نقض العهود ، وبغوا ومكروا مكرا كبارا ، ... اقتضى رأينا الشريف أن نأخذهم بالشرع الشريف(٨٧) ... ، « ومع ذلك فقد استخدم الناصر كثيرا من أبناء هذه الطائفة فى وظائف الدولة العامة ، لأنهم كانوا رجال أعمال(٨٨) ، وتمتع النصارى بعطف الناصر محمد بن قلاوون ، وسار معظم أولاد الناصر وأحفاده على سياسة أبيهم فى العطف على النصارى .

ووقعت فى عهد السلطان صلاح الدين صالح (٧٥٣هـ — ٧٥٥هـ) بعض حوادث أدت الى أصدار السلطان فى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٧٧٥هـ مرسوما شبيها بمرسوم رجب سنة ٧٠٠هـ ونص فيه أن يمنعوا من الخدم فى جميع الأعمال ، ولا يستخدموا فى ديوان

---

(٨٤) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٥١٣ و ٥١٤ .

(٨٥) العينى : عقد الجمان جـ ٢٣ ، — مخطوط — أحداث سنة ٧٢١هـ

(٨٦) نعنى به شهر جمادى الأولى من سنة ٧٢١هـ .

(٨٧) العينى : عقد الجمان جـ ٢٣ ، أحداث سنة ٧٢١هـ .

(٨٨) Lane People : History of Egypt in the Middle Ages, P. 390

(٨٩) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٤٩٨ .

السلطان ، ولا دواوين الأمراء ، وتبع ذلك هدم بعض كنائسهم ومساكنهم(٨٩) ، ويذكر المقريزى(٩٠) أن أكثر كنائس الصعيد قد هدمت وبنيت مساجد .

ولم تكن نصارى الوجه القبلى من اليعاقبة الأقباط فى رغد من العيش بالقدر الذى كان عليه المسيحيون فى الأقاليم الأخرى من مصر، ذلك لأن الغرب المسيحى وقف بجانبهم مقابل الخدمات التى أدوها خلال الحروب الصليبية ، واستطاعت دول الغرب أن تضغط على البلاد الاسلامية كلما كان الملكانيون من النصارى معرضين للاضطهاد (٩١)، ومما ساعد على ذلك تلك العلاقات التجارية التى نمت وازدهرت بين العالم الاسلامى والعالم المسيحى ، وينهض دليلا على صحة ذلك أن الكتاب المسيحيين قد أشاروا فى كتاباتهم بأن الأقباط ظلوا فى عزلة عن العالم زمن المماليك(٩٢) ، وازداد الضغط عليهم من قبل العامة ، فأضروا بكنائسهم وأموالهم حتى اذا جاءت أحداث المحن منذ عهد السلطان الظاهر برقوق فأكملت على البقية تخريبا وتدميرا .

وكانت لأحداث التخريب التى طرأت على بلاد الوجه القبلى — زمن الجراكسة — أثر لا يغفل فى زلزلة الكثير من دور الكنائس والأديرة،فلم يبق بمدينة قوص زمن المقريزى سوى كنيسة واحدة(٩٣) وخربت جميع كناس « أصفون »(٩٤) ، وهلك تبعا لذلك أكثر رهبان

---

(٩٠) الخطط جـ ٢ ص ٤٩٨ .

(٩١) جاك تاجر : أقباط ومسلمون ص ١٧٣ و ١٧٤ .

(٩٢) جاك تاجر : المصدر نفسه والصفحة .

(٩٣) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٥١٩ .

(٩٤) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٥١٩ .

الأديــرة حتى قيل أن « دير برفانا »(٩٥) من الصــعيد الأوسط ولم يبق به زمن المقريزى ســوى راهبين بعــد أن كان به فى القــديم ألف راهب(٩٦)،ولم يبق بدير بالوجه الذى اختص به نصارى دلجة ســوى راهب أو راهبين(٩٧) ، ويقال عن دير تادرس بالصعيد الأوسط جنوب صنبوانه (قد تلاشى أمره لاتضاع حال النصارى)(٩٨) •

ومما يجدر ذكره أن الأحداث التى تعــرض لها نصــارى الوجه القبلى على عهد أسرة قــلاوون والجراكسة قــد أدت الى انتشــار الاسلام ، فدخل كثير منهم فى الاسلام ، وعادوا الى مباشرة أعمالهم، ثم تزوجوا من المسلمات(٩٩) ، وصار منهم القضــاة والعلماء ، ويشير المقريزى(١٠٠) فى أحداث سنة ٧٥٥هـ الى ذلك بقوله (وقدمت الأخبار بكثرة دخول النصارى من أهل الصعيد فى الاسلام ، وتعلمهم القرآن وان اكثر الكنائس فى الصعيد قد هدمت ، وبنيت مساجد) •

وهكذا عاش الأقبــاط فى صعيد مصر حياة هادئة ، وشاركوا فى الأحداث زمن سلاطين الأيوبيين والمــاليك ، ونشاطاته الاجتمــاعية والاقتصادية ، فأحسنوا زراعة الأرض ، وامتلكوا الضياع ، واشتغلوا بعمليات البيع والشراء ، فضلا عن أنهم مارسوا حرياتهم وأســهموا بايجابية فى الحيــاة العامة داخــل المجتمع يتأثرون بأحداثها ويؤثرون

(٩٥) دير برفانا، بحرى بنى خالد ، وهو من أعمال منية بنى خصيب ومبنى من الحجــر ويذكر عنه المقريزى أن عمــارته حســنة (الخطط ، جـ ٢ ص ٥٠٥) •

(٩٦) المقريزى : الخطط : جـ ٢٢ ص ٥٠٥ •

(٩٧) المقريزى : المصدر السابق والصفحة •

(٩٨) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٥٠٤ و ٥٠٥ •

(٩٩) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٤٩٨ •

(١٠٠) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٩٨ •

فيها ، ولم يتعرضوا لأية اضطهادات اللهم الا تلك الفترات التى كانوا يقومون فيها ببعض المناوشات والفتن •

(ب) اليهــود :

لم يكن لليهود شأن كبير فى صعيد مصر ، فقد بلغ عددهم فى هذا الاقليم زمن الفاطميين ستمائة يهودى(١٠١) ، ولم يلبث هذا العدد أن أخذ فى النقصان فى العصر الأيوبى ، ويحدثنا بنيامين التطيلى أن اليهود استوطنوا المدن التجارية فى صعيد مصر — وبالذات — مدينتى « قوص » و « أبى تيح » ، وكان يقطن بقــوص ثلثمائة يهودى ، ومائتان بأبى تيح(١٠٢) ، وعلى الرغم من ضعف التمركز اليهودى فى صعيد مصر ، فان نسبة تواجدهم فى هذا الاقليم أقل منها فى القــاهرة والاسكندرية ومدن الدلتا(١٠٣) •

---

(١٠١) متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ص ٦٥٠
محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٧٨ •

واثبتت وثائق الجنيزا أن أعــداد اليهود فى مصر فيمــا بين القرنين الرابع والسابع الهجريين كان ضئيلا ، وهى وثائق خطية يرجع تاريخها الى القرنين الرابع والســابع الهجريين ، ومعظمهــا قطع من كتب عبرية كتبت أغلب أوراقها باللغــة العربية والحروف العبرية ، وهى تعكس لنا الحالة الاقتصــادية والاجتماعية لبلاد البحر المتوســط فى الشر: فى تلك الفترة ، وكانت هذه الوثائق قبل اكتشافها محفوظة فى معبد الفسطاط اليهــودى ، وفى جبانه البســاتين القريبة من المعبد ، وقد قسمت هــذه الوثائق الى مجموعتين ، أهمها مجموعة « جواتين » المسماة بكتاب الهند، وتختص بالحديث عن تجارة الهند فى القرنين الخامس والسادس الهجريين وقد وضع « جواتين » مفتاحا لهذه الوثائق فى كتابه •
Atentutive Billiography of Geniza Documents (Islamic Social History, The Documents of Cairo Geniza, P. 279.

(١٠٢) بنيامين : رحلة بنيامين ، ص ١٧٣ •

(١٠٣) متز : المصدر نفسه ص ٦٥ •

ومعلوماتنا عن النشاط اليهودى فى صعيد مصر غامضة كل الغموض ، مضطربة كل الاضطراب ، ومن الثابت أنهم عاشوا فى المدن المصرية ، وأدوا دورا هاما فى التجارة والأعمال المالية ، ومما لا شك فيه انهم باشروا هذه الأعمال فى مدن الصعيد التجارية التى أقاموا بها ، على الأخص زمن المماليك ، وهو العهد الذى بلغت فيه التجارة قدرا كبيرا من الازدهار .

هذا وقد عرف اليهود بحبهم لبعض الحرف والصنائع ومنها صناعة الصباغة ، ويذكر بنيامين التطيلى(١٠٤) انهم كانوا على علم ودراية بفنون هذه الصناعة ، بل انهم احتكروا هذه الصناعة فى القرن الثانى عشر الميلادى ، ومن الطبيعى أن يباشر اليهود هذه الصناعة فى بلاد الصعيد التى انتشر فيها الصباغون بصورة واسعة زمن الأيوبيين والمماليك(١٠٥) .

كذلك كان نشاط اليهود الاجتماعى فى صعيد مصر ضعيفا ، ويمكن القول أنه ظهر من بين يهود الصعيد عدد من كبار الأغنياء الذين كونوا الثروات من وراء أعمالهم التجارية والمالية .

ويخضع المجتمع اليهودى فى بلاد الصعيد لسلطة رئيس اليهود فى القاهرة الذى كان يتولى الاشراف على شئونهم الدينية والاجتماعية ، وتنظيم العلاقة بينهم وبين الدولة ، وكان رئيس اليهود يلقب « بسر هاشيم » أى « أمير الأمراء » ، وكان يعين أحبار اليهود فى مصر(١٠٦) .

---

(١٠٤) الرحلة ص ٣٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٩ .
(١٠٥) أشرنا الى ذلك فى حديثنا عن الحرف والصناعات فى الباب الثانى
(١٠٦) متز : الحضارة الاسلامية ص ٦٥ .

وكان لليهود المصريين مقدساتهم يتبركون بهـا ويعظمونها ، فيجتمعون فى شمال الوجه القبلى حول كنيس كبـير لهم بالقـرب من أهرام الجيزة يعتقدون انه المكان الذى كان يلجأ اليه نبى الله موسى حين كان يبلغ فرعون رسالة ربه ، وبالقرب من هذا المكان توجد شجرة جميلة المنظر ويعتقد اليهود أن النبى موسى — عليه السلام — غرس عصاه فى المكان الذى نبتت فيه هذه الشجرة ، ويذكر المقريزى(١٠٧)، أن اليهود كانوا يحجون فى زمانه الى هذا المكان فى عيد الأسابيع(١٠٨)، وهو من الأعياد الشرعية عند اليهود ، ويسمى بعيد العنصره .

وقد أحصى المقـريزى(١٠٩) احـدى عشر معبدا لليهـود وكان أشهرها معبد دموة بالوجه القبلى بالقرب من أهرام الجيزة ، وهـو المعبد الذى أشرنا اليه بأنـه المكان الذى كان يأوى اليه النبى موسى حين كان يبلغ رسالة ربه الى فرعون .

وقصارى القول أن اليهود فى صـعيد مصر استوطنوا المـدن التجارية ، واشتغلوا بالتجارة ، وبعض الصناعات ، ولم يكن لهم أى نفـوذ فى البلاد .

---

(١٠٧) الخطط ج ٢ ص ٤٦٣ و ٤٦٤ .

(١٠٨) الأسـابيع عنـد اليهـود ، هى التى أنزل الله فيهـا على بنى اسرائيل الفرائض متضمنة الوصايا العشر المنسوبة الى النبى موسى عليه السلام .

(قاسم عبده : أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى ص ١٢٥).

(١٠٩) الخطط ج ٢ ص ٤٦٣ — ٤٧٤ ، انظر .

٤ ــ الأسـالمة :

بدأت هذه الفئة فى الظهور فى بلاد الصعيد منذ القرن الثـالث الهجرى ، ومما ساعد على ذلك قرب القبط من العرب ، واختـلاطهم المتزايد بهم ، وبمرور الزمن تزايد أعداد هذه الفئة بخطى سريعـة حتى اذا جاء القرن السـادس الهجرى تحول الأغلبيـة العظمى من نصارى الصعيد الى الاسلام(١) ، ولم تكن الاضطهادات هى السبب وراء اعتناق الذميين من النصارى الاسلام ، وانما كانت هناك أسباب اقتصادية وأخرى عقائدية ، وقد رأينا أن أعدادا كبيرة من هؤلاء أقبلت فى بلاد الصعيد على اعتناق الاسلام لأسباب اقتصـادية فى القـرن الثامن الهجرى ، ويحدثنا المقريزى(٢) عن كثرة دخول النصـارى من أهل الصعيد فى الاسلام ، وأن هذه الأعداد دانت بالاسلام عن ايمان ويقين،وتزوجوا من المسلمات ، وأقبلوا على الدراسات القرآنية(٣) ٠

وقد انصرفت هذه الجماعات فى صعيد مصر الى مباشرة الأعمال المدنية فى فلاحة الأرض،وعمل بعض الصناعات ، واقبلوا على مجالس العلماء ، وحفظوا القرآن ، ومن ثم احتلوا مكانة رفيعـة زمن الأيوبين والمـاليك ٠

والأمر الجدير بالذكر أن هذه الجماعات فى صعيد مصر لم تكن قليلة العدد ، وعاشوا حياتهم مع العرب والمسلمين فى وئام ووفاق ٠

---

(١) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة مصر ٠

(٢) الخطط جـ ٢ ص ٤٩٨ ٠

(٣) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٤٩٨ ، انظر ٠

ثانيا : مظاهر الحياة الاجتماعية :

اتخذت الحياة الاجتماعية فى صعيد مصر زمن الأيوبيين والمماليك مظاهر خاصة ، كما تقلبت بين ألوان من البذخ والترف قل أن نجدها فى العصور السابقة ، وقد تجلى بذخ الحكام فيما أورده الكتاب والمؤرخون عن حياة الولاة(١) فى بلاد الوجه القبلى ، فقد عاشوا كطبقة منفصلة عن سائر السكان ولم يتزوجوا من أهل البلاد ، مما أوجد فجوة واسعة بين الحكام والمحكومين ، كما نستدل على ترف الولاة من الثروات التى جمعوها من أهالى البلاد ، ويذكر المقريزى أن الولاة فى صعيد مصر انصرفوا الى الملذات ، وبذلوا لأموال الطائلة فيما تهواه أنفسهم من الكبائر(٢) .

كذلك كان نواب السلطنة(٣) فى الوجه القبلى يعيشون عيشة الترف ، ونستدل من اشارات المقريزى(٤) أن الأمير أقبغا الماردينى

---

(١) كان ولاة الاقاليم فى عصر المماليك على اربع مراتب ، وكان اعلاهم النواب ، ويليهم الكشاف ثم الولاه ثم حكام العرب ، وكان الولاة يختارون — دائما — من بين الأمراء ليقوموا بوظيفة المحافظ فى المدن الكبرى ، وكان يعهد اليهم الأشراف على المدينة وصيانتها ، وحماية اهلها من عبث المفسدين واللصوص ومروجى الفتن .

المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ ، انظر

(٢) السلوك ، جـ ١/٤ ، ص ٣٩٠

(٣) ظهرت هذه الوظيفة فى عصر السلطان الظاهر برقوق ، فعين نائبين ، احداهما للوجه البحرى والآخر للوجه القبلى ، وصارت بلاد الوجه القبلى منذ ذلك اوقت تتبع نائب الوجه القبلى ومقره مدينة اسيوط من الصعيد الأوسط

(٤) السلوك ، جـ ٢/٣ ، ص ٧٣٤ و ٧٤١ و ٨٥٨

(ت ٧٨٤هـ) نائب الوجه القبلى كان مترفا فى حياته ، وأن الأمير قطلوبغا الطشتمرى (ت ٧٩٨هـ) جعل لنفسه مكانه رفيعة فى مقر نيابة السلطنة بسيوط ، وجمع كثيرا من ثروات النواحى .

وليس أدل على مظاهر العظمة وأبهة الحياة الاجتماعية عند الحكام بصعيد مصر زمن المماليك من هذه البيوت التى خصصت لهم من الطشت خاناه ، والفراش خاناه(٥) والركاب خاناه ، واكتظت هذه البيوت بأرقى أنواع الأوانى من النحاس والفضة ، ويضم متحف الفن الاسلامى مجموعة من الأوانى (٦) عثر عليها فى قوص باسم الأمير طبطق(٧) حاكم مدينة قوص زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وقد لاحظنا على الأوانى كتابات أثرية منقوشة جاء فيها القاب متكررة لهذا الأمير المملوكى تؤدى معانى التشريف والتبجيل ، ومن بين هذه الأوانى ابريق من النحاس الأصفر المكفت بالفضة ، عليه زخرفة كتابية تسجيلية بالخط النسخى المملوكى جاء فيها « والمقر الأشرفى العالى طبطق عزه نصره »(٨) ، وثمة قطعة معدنية أخرى عبارة عن صدرية

---

(٥) الفراشخاناه ، ويحوى انواع الفرش والبسط والخيام التى يحتاج اليها السلطان أو الحاكم فى حله وترحاله ، والطشت خاناه ، اى بيت الطشت .

(نبيل محمد عبد العزيز : الخيل ورياضتها فى عصر سلاطين المماليك ، ص ١٠١)

(٦) سجل رقم ٢٤٠٨٤ و ٢٤٠٨٥

(٧) هو نفس الأمير طقصبا الذى ذكره المقريزى (الخطط ـ جـ ١ ، ص ١٨٩)

(٨) متحف الفن الأسلامى ، قاعة المقتنيات الحديثة ، سجل رقم ٢٤٠٨٤ .

تضم كتابات تحمل اسم صاحب التحفة والقاية جاء فيها(٩) :

١ ــ مما عمل برسم المقر الأشرفي ...
٢ ــ العــالى المولوى ...
٣ ــ العــالى العادلى ...
٤ ــ الغــازى المجاهدى ...
٥ ــ المرابطى المالكى ...
٦ ــ السيفى طبطق الملكي الأشرفي ...

وقد تميزت هذه الأوانى بالزخارف الكتابية البارزة على أرضيه من الزخارف النباتية والهندسية ، وقد أظهرت هذه التحف المعدنيــة التى عثر عليها فى قوص قدرة الفنان المصرى على الابداع الفنى ، كمــا أظهرت لنا ــ أيضا ــ مكانة حاكم قوص من خلال عبارات التشريف والتى زين بها الفنان التحفة المعدنية .

كذلك أظهرت لنا النقوش الكتابة على اللوحات مكانة الحكــام فى صعيد مصر ، وأعمالهم الجليلة ، ومن ذلك نذكر لوحة كتابية عثر عليهــا فى قوص مؤرخة بــ سنة ٧٤١هـ جاء فيها « أمر بانشاء هذا المصحف المبــارك ، المقر الكــريم العالى المولوى الأميرى العورى عمرو الدين خليل الملكى الناصرى ، أعز الله أنصاره بمحمد وآله(١٠) .

وكان الأمير خاير من حــديد حاكم الفيــوم مولعا بالبســاتين والمنشآت ، فبنى ضيعة ، وجعل بها طاحونا يدور بالماء الى جــانب بستانه الكبير الذى أنشأه ، واتخذ لنفسه مطابخ خاصة له ، ولأضيافه

---

(٩) متحف الفن الأســلامى : قاعة المقتنيات الحديثة ، ســجل رقم ٢٤٠٨٥

(١٠) آمال العمرى : التحف المعدنية ، ص ١٠٥ ، انظر
G, S, W, Op., Cit., T 15, PP. 139 — 140.

وليس أدل على مظاهر الترف عند هذا الأمير من تلك الأسـفار التى قام بها السلطان قايتباى سنة ٨٨٤هـ لزيارة منشأته وبساتينه ، وأقام السلطان فى ضيافة خاير من حديد عدة أيام فى أرغد عيش(١١) ومما يجدر ذكره أن هذا الأمير كان من أكبر الأمراء حيـازة للاقطاعات ، وانصرف الى البناء والتعمير من متحصلات اقطاعه(١٢) .

وكان الكشـاف(١٣) فى بلاد الوجه القبلى يعيشون — أيضا — عيشة الترف ، ويذكر المقريزى(١٤) أن الكاشف اذا صدر أمر بتعيينه

---

(١١) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٨٣
عبد الرحمن عبد التواب : قايتباى المحمودى ، ص ٧٩

(١٢) تعرفنا على ذلك من خلال ما أمدنا به ابن الجيعـان فى أمر توزيع الاقطاعات على السلاطين والأمراء والأجناد .

(١٣) ظهرت وظيفة الكاشف بمعنى والى بشكل واضح محدد فى دولة المماليك وكان يشـغلها أحد العسـكريين ، وكانت اللفظة تعنى والى اقليم من مرتبة معينه ، وكان فى مصر زمن المـماليك فى بداية الأمر كاشفان من أمراء الطبلخاناه ، احدهما بالوجه البحـرى والآخـر بالوجه القبلى ، ثم استبدل الكاشفان منذ عصر السلطان الظاهر برقوق بنائبين الى جانب كاشف بالوجه البحرى ، وكاشف آخر من رتبته لعمل الفيـوم بعد أن كان يحكمها والى ، ويبدو أن ترتيب الكشاف قد تطور فى نهاية عصر المماليك ، فعين — احيانا — فى الوجه القبلى ثلاثة كشاف ، واحد فى الفيوم والبهنساوية ، وآخر فى الصعيد الأوسـط ، وثالث فى الصـعيد الأعلى ، وعين أحيـانا كاشـف للوجه القبلى كله ، وكان يلقب بكاشـف الكشـاف .

القلقشندى : صـبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٢٥ و ٢٦ — خليـل الظاهرى : زبدة كشف الممالك ، ص ١٣٠ — حسن الباشـا : الفنـون والوظائف ، جـ ٢ ، ص ٩٢٧ و ٩٢٨ و ٩٢٩ .

(١٤) السلوك ، جـ ٢/٤ ، ص ٩٣٧

ينزل من القلعة الى داره الجديد فى « موكب جليل » ، واتخذ مسكنه فى داره الجديد ، وجعل له دودارا،ورأس نوبة(١٥) ، وكان الكاشف اذا هم بالنزول على قرية من القرى يأتى اليه مشايخ القرية ، ويقفون بين يديه فى رعب وخوف ثم ينصرفون لتقديم الضيافة فيمدون سماطا مصفرا عليه ألوان من المشروبات والمأكولات(١٦) ، وتظهر لنا مظاهر العظمة عند الكشاف من تلك الألقاب التى خصصت لهم ، ففى كتابة أثرية بمرسوم منقوشة على لوح بأحد حوائط المسجد العمرى بقوص مؤرخة ١٧ ربيع الأخر سنة ٨٨٣هـ وردت عبارة صاحب اقطاع الكشف السعيد ، وقد ازداد ، كشاف الوجه القبلى فى ترفهم ، وأفاض عليهم السلاطين بكثير من الخلع(١٧) ، وصارت لهم الأعوان من العسكر والأتباع حتى بلغ الأمر بالكتاب المعاصرين أن أطلقوا على الكاشف الذى يتبعه عدة كشاف بالوجه القبلى لقب « ملك الأمراء »(١٨)،ومن بين هؤلاء الأمير أركماس الجاموسى الذى أنعم عليه السلطان بالخلع، واستقر سنة ٨٤١هـ ملك الأمراء ليحكم من الجيزة الى أسوان(١٩) .

ومما يدل على ثراء أمراء الصعيد وترفهم تلك الأموال الطائلة التى حصلوا عليها من الاقطاعات ، فبلغ اقطاع أمير الطبلخاناه(٢٠) ،

---

(١٥) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/٤ ، ص ٩٣٧

(١٦) الشربينى : هز القحوف ، ص ١٩٤

(١٧) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/٤ ، ص ١٠٢٠

(١٨) المقريزى : السلوك ، جـ ٢/٤ ، ص ١٠٢٩

(١٩) المقريزى : المصدر نفسه والصفحة .

(٢٠) كان أمراء الطبلخاناه يؤلفون عصب دولة المماليك فى الناحية الحربية ، وكانوا فى الوجه القبلى يتولون اكبر الأعمال ، ومنهم زمن السلطان الظاهر برقوق ، والى البهنسا والأشمونين ، وقوص ، واخميم ، واسوان ، ويتبع أمير الطبلخاناه اربعون مملوكا من الأجناد لحفظ البلاد

ثلاثين ألف دينار أو أكثر ، وقد ينقص — أحيانا — الى ثلاثة وعشرين ألف دينار(٢١) ، فضلا عن انعامات السلاطين من الخيل والكساء والأطعمة فى المناسبات المختلفة(٢٢) ، كما كان كل أمير من هؤلاء سلطانا مختصرا فى ذاته ، جعل له أستادارا ، ورأس نوبه ، ودوارادا، وأمير مجلس ، وجمداريه ، وأمير أخور ، فضلا عن بيوت الخدمة من الطشت عاناه ، والفرشخاناه ، والركاب خاناه ، والمطبخ ، وكان لكل بيت مهتار تحت يده رجال وغلمان بوظائف معينة ، فضلا عن الحواصل من اصطبلات الخيول ، وشون الغلال(٢٣) .

ومما يجدر ملاحظته أن حكام الصعيد عاشوا عيشة الترف على

= من الأخطار الخارجية والداخلية ، لذا اطلق على كل أمير من أمراء الطبلخاناه بصعيد مصر « والى الحرب » أو « متولى الحرب » فكان هناك والى الحرب بثغر اسوان ، ومتولى الحرب السعيد بمنفلوط والاشمونين وقوص ، وكان يسند الى هؤلاء الأمراء بجانب اشتراكهم فى الحروب وظائف ادارية كبرى ذات صبغة عسكرية ، ومن بين اقطاعات امراء الطبلخاناه فى صعيد مصر ضمن الروك الناصرى ، بردنيس من السيوطيه وعبرتها ٤٥٠٠ دينار ، وملوى ، وظهر الجمل من الأشمونين وعبرتها ١٨٠٠ دينار .

ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٥ ، ص ١٥ و ٢٢ و٢٨ و٣١ و٣٤ و٣٥

خليل الظاهرى : زبدة كشف الممالك ، ص ٣٠

(٢١) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٥٠

(٢٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٥٠ و ٥١

نبيل محمد عبد العزيز : الخيل ورياضتها فى عصر سلاطين المماليك ، ص ٢٨

(٢٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ١٠٠

حساب أهالى البلاد ، حيث أقبلوا على جمع الثروات ، واستخدموا لذلك أنواع الظلم والجور حتى أنهم أقدموا على الاسراف فى اراقة الدماء ، فازدادت شكوى الناس الى مما أدى الى تدخل السلاطين ، وأمروا بمصادرة أموالهم ، وردوا الى الناس حقوقهم(٢٤) .

الأخلاق والعادات :

ظل الطابع العام لأهل الصعيد سائدا زمن الأيوبيين والمماليك ويظهر ذلك فى امور عديدة ، منها أن أهل الصعيد أحبوا زيارة قبور الأولياء فى بلاد « طنبدى »(٢٥) ، « وقنا »(٢٦) ، « وقوص »(٢٧) ، « والأقصر »(٢٨) « وسيوط »(٢٩) ، « وفاو »(٣٠) ، « ودندرة » .

واستهوت أهالى الوجه القبلى القصص الخرافية ، وتأثروا بها، واعتقدوا فيها ، وكانت موضع الاهتمام والسماع عندهم(٣١) ، وكان للآثار المصرية شأن عظيم فى العصرين الأيوبى والملوكى ، ونالت اعجاب القوم فى الوجه القبلى — منذ زمن بعيد — وينسبون لها القوى السحرية ، ويذهبون فى تفسيرها مذاهب شتى(٣٢) ، ويبدو

---

(٢٤) المقريزى : السلوك ، ج ٣/٢ ، ص ٧٣٤ و ٧٤١ و ٧٧١ و ٨٢٩ و ٨٣٠ و ٨٣٣

(٢٥) السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٣٣

(٢٦) الأدفوى : الطالع ، ص ٥٩ و ٦٠ و ٣٠٠

(٢٧) الأدفوى : المصدر نفسه ، ص ٣٣١

(٢٨) الأدفوى : المصدر نفسه ، ص ١٥٤ و ١٧٧

(٢٩) الأدفوى : المصدر نفسه ، ص ٢٠٦

(٣٠) الأدفوى : المصدر نفسه ، ص ٩٣ و ٩٤

(٣١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٢٨٨

(٣٢) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٠٤ و ٢٠٥

القلقشندى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ و ٣٢٨

أن النزعة العلمية التى غلبت عقول البشر فى مجتمع الوجه القبلى قد أبعدت عن الناس اعتقادهم فى مثل هذه الظواهر، فيذكر ابن بطوطه (٣٣)، أن خطيب أخميم قد أمر بهدم برأبى أخميم، وابتنى بحجارتها مدرسة .

وانتشر السحر فى بعض بلدان الوجه القبلى ، فقد ظلت « بوصير » احدى قرى الأشمونين على شهرة كبيرة فى هذا الميدان الى بعد زوال الدولة الفاطمية ، ويشير الأدريبى (ت ٥٤٩هـ — ١٢٥١م) قبل قيام الدولة الأيوبية بقليل انه بقى ببوصير فى عهده بقية من مدعى السحر ، وكانت « أنصنا » من بلاد الصعيد الأوسط زمن « مدينة السحرة »(٣٤) ، وظل السحر وطلابه فى صعيد مصر طيلة أيام دولة المماليك ، وظهر من السحرة أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ومن بينهم النساء ، ويحكى الأمير طقطبا والى قوص أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون طرفا من سحر النساء كان قد تعرض له ، وتجاوب معه(٣٥) ، وكان أكثر طلاب السحر من نصارى صعيد مصر ، ويشير المقريزى(٣٦) أنهم ظلوا حتى القرن التاسع الهجرى زمن السلطان الظاهر برقوق على علم وافر بالسحر ، ومن نصارى نواحى الوجه القبلى المشهورين بالسحر نصارى قرية «قلفاو»، جهة المراغة ، وكان بها أيام السلطان الظاهر برقوق شماس يقال له « أبصاطيس » ، (وله فى ذاك يد طولى) ، وفى ذلك يذكر المقريزى(٣٧) ، « ويحكى عنه ملا أحب حكايته لغرابته » ، ولم يزال السحر وطلابه فى صعيد مصر آثاره الباقية حتى وقتنا الحاضر .

---

(٣٣) الرحلة ، ج ١ ، ص ٤٠ — القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٢٨

(٣٤) صفة المغرب ، ص ٣٥

(٣٥) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٨٩

(٣٦) الخطط ، ج ٢ ، ص ٥١٩

(٣٧) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٥١٩

وكان الصياح على الجنائز مألوفا زمن الأيوبيين والممـاليك فى بلاد الوجه القبلى ، وأوقف أهل الفقه والعلم هذه الظاهرة ، فأوصوا بعدم خروج النائحات والباكيات خلف الجنائز (٣٨)،أمر بعض السلاطين بمنع انتشار هذه الظاهرة قاطبة(٣٩) .

أحب أهل الصـعيد الموسيقى والغنـاء ، وترددوا عـلى أماكن المغنين والمغنيات ، ويذكر أبو شامة(٤٠) فى أحداث سنة ٥٧٢هـ أن الناس اعتادوا على سماع الأغـانى والتنزه فى الجيزة ، وبلـغ الولع بالغناء حدا أدى معه الى اختـلاط حياة الجد بحيـاة اللهو حتى أوصى البعض فى قرص أن تخرج جنازته بالدفوف والشبابة(٤١) ، ويشـير

---

(٣٨) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٣٣٣

المقريزى : السلوك ، جـ ٤/٢ ، ص ٥٩٤

(٣٩) المقريزى : السلوك ، جـ ٤/٢ ، ص ٥٩٤

ومن بينهم السلطان جقمق الذى شدد الوطأة على النسـاء ، وأمر بمنعهم من الخروج الى الترب ـ المقريزى : السلوك ، جـ ٤/٢ ، ص٥٩٤

(٤٠) الروضتين ، جـ ١ ، ص ٢٦٧

(٤١) الدف ويعنى به « الداير المفتوح » اما « المغلـوق فيسـمى المظهر » ويقال انه آلة كاملة تحكم سائر الآلات ، وتفتقر اليه جميع آلات الطرب ، وأما الشـبابة ، وهى اليراعة المثقبـة ، وهى مقسـمة على عدة تقسيمات ، اعلاها قصبة واحدة ، وتسمى « الزير » ويليهـا قصـبتان احداهما تحت الأخرى ، وتسمى « الموصول » ، ومما قيل أن هذه الاله كاملة وافية بجميع النغمات ،ويشير البعض الى ان أول من وضعها الأكراد

الأدفوى : كتاب الامتـاع بأحكام السـماع ـ مخطوط ـ ورقة ١٠٧ و ١١٣

نبيل محمد عبـد العزيز : الطـرب وآلاته فى عصر الأيـوبيين والمماليك ، ص ١٣٠ و ١٣٣

الأدفوى(٤٢) الى أن أرباب العلم أنفسهم كانوا يشتهون الغناء ، ويترددون على الأماكن التى خصصت للمغنيات من الجوارى الحسنوات الصوت ، بل رغب أن يحظى ببعضهن ، ومن حبهم فى غناء الجوارى قاموا ينشدون فيهن(٤٣)،وكان أكثر نشاط المغنيات فى أفراح العرس، وكن يستخدمن الدفوف فى الغناء،واشتهر بعضهن بأغانى معينة(٤٤)، وشغف أهالى الوجه القبلى فى السماع بالموسيقى حتى سار البعض الى خارج البلاد طلبا لدراسة هذا الفن ، ومنهم قيصر ابن أبى القاسم ابن عبد الغنى بن حسان بن عبد الرحمن الأسنوى الذى سافر الى « الموصل » ، وطلب من شيخها كمال الدين بن يونس أن يعلمه فن الموسيقى(٤٥) ، وكان قيصر حين ذاك قد ألم بهذا النوع من الفن حتى قيل أنه قرأ فى علوم الموسيقى أكثر من أربعين كتابا فى مقدار سنة(٤٦) ، وكان عارفا عالما بها ، ومن بين من اشتهر بحب الطرب والغناء من أهل الصعيد عبد الرحيم بن محمد بن يوسف السمهودى

---

(٤٢) الطالع السعيد ، ص ٥٨٣ و ٥٨٤

(٤٣) الأدفوى : الطالع ، ص ٥٨٣ و ٥٨٤

قال الأدفوى : (قال لى الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ، ما يعجبك ، ان تكون عندك عواده ،فقلت ما اكره ذلك ،وانشدته لبعضهن

غنت فأصفت صوتها   فكأنما الصوتان صوت العود

(٤٤) الأدفوى : الطالع ، ص ٢٥١

غنت مغنية فى عرس كان قد أقيم بأحد جزر « أدفوى » أغنيه اشتهرت بها ، ومطلعها « ماره على البحر » وكان ذلك فى المائة السادسة من الهجرة (الأدفوى : الطالع ، ص ٢٥١)

(٤٥) الأدفوى : الطالع ، ص ٤٧٠

(٤٦) الأدفوى : الطالع ، ص ٤٧٠

(ت ٧٢٠هـ) ، ويذكر عنه الأدفوى(٤٧) أنه كان جاريا على مذهب أهل الأدب فى حب الطرب ، وصالح بن عبد القوى بن على بن زيد المعروف بالتقى ابن الثقه الأسنائى(ت ٧٢٤هـ)(٤٨) ، ويذكر عنه الأدفوى(٤٩) « وكان حسن الصوت ، واشتغل بالموسيقى ، وكان طروبا حسن الأخلاق » ، وحمزة بن على بن محمد بن سالم الأسنوى (ت ٧٩٠هـ) وقد حفظ الشعر ، وتغانى النظم ، ومدح الناس ، « وهو من ذوى الأصوات الطيبة،وكلما طال أنشاده جاء صوته»(٥٠)، ومن المغنين الذين ذاع صيتهم فى صعيد مصر الصلاح الثعلبى القوصى أحمد بن كامل بن الحسن (ت ٦٦٩هـ بقوص) ، وكان مغنيا،ملحنا ، وشاعرا ، وموسيقيا(٥١) وقد كان كثير من هؤلاء المغنين والمحبين للطرب من بين من اشتغلوا بالفقه والحديث ، ونظرا للنزعة الدينية التى تغلبت على عقولهم استخدموا موسيقاهم فى المدائح النبوية(٥٢) وبعضهم أقلع عن الطرب ، وانقطع للعبادة فى خلوات فى تلك الربط التى أقامها المشايخ من العلماء والمتصوفين(٥٣) .

---

(٤٧) الطالع ، ص ٣٣٣ ـ ٣٤٧ ، انظر

(٤٨) الأدفوى : الطالع ، ص ٢٦٩ و ٢٧٠

(٤٩) الطالع : ص ٢٦٩ و ٢٧٠

(٥٠) السخاوى : الضوء اللامع ، جـ ٣ ، ص ١٦٥

(٥١) الأدفوى : الطالع ، ص ١٠٧

(٥٢) من بينهم عبد الكريم على السهرورى القوص المتوفى بقوص بعد السبعمائة من الهجرة ـ الأدفوى : الطالع ، ص ٣٣٤ و ٣٣٥

(٥٣) من بينهم صاح بن عبد القوى بن على بن زيد الأسنائى المتوفى سنة ٧٢٤ هـ الذى انقطع فى خلوة برباط الشيخ بلال بعد أن ترك هواية الطرب والغناء الأدفوى : الطالع ، ص ٢٦٩ و ٢٧٠

وتنوعت آلات الطرب فى صـــعيد مصر ، منها الدفوف والشـــبابة والطبول(٥٤) ، والعود ، وغير ذلك من الآلات •

تعددت وسائل التسلية فى مجتمع الوجه القبلى ، فأقبل النـــاس على لعبة الشطرنج ، ويذكر « ابن جبير »(٥٥) أن المسافرين اتخذوا هذه اللعبة فى طريقهم من قوص الى عيذاب (تفكها واجمـــاما للنفس) ويبدو أن هذه اللعبة كانت شائعة فى هذا المجتمـــع حتى أقدم عليهـــا الكثير من الشباب(٥٦) ، وبعض أهل العلم(٥٧) •

واشتهر كثير من أعلام الوجه القبلى بحب المرح والفكاهة فمنهم من اشتهر بظرفة ، وخفة روحه(٥٨)،ومنهم من كان كثير الفكاهة(٥٩)،

---

(٥٤) الطبول يذكر عنها الأدفوى انها عبارة عن طبل الكوب وسائر الطبول ، اما طبل الكوب ، فهو عبارة عن طبل ضيق الوسط ومتسع الطرفين « مغلوقها بجلد »

الأدفوى : الأمتاع بأحكام السماع ــ مخطوط ــ ورقة ١٢٦

واستعرض الدكتور نبيل محمد عبد العزيز آلات الطرب وتنوعها ، وأفرد لها فصلا فى كتاب الطرب وآلاته فى عصر الأيوبيين والمـــماليك ، انظر الفصل الخامس من الكتاب •

(٥٥) الرحلة ، جـ ٢ ، ص ٦٢

(٥٦) الأدفوى : الطالع ، ص ٥٨٢

(٥٧) الأدفوى : المصدر نفسه والصفحة

يذكر الأدفوى ان الشـــيخ محمـــد بن على بن وهب تقى الدين بن دقيق العيد (ت سنة ٧٠٢هـ) كان قد لعب الشطرنج فى صباه بمدينة قوص مع زوج أخته الشيخ تقى الدين •

(٥٨) منهم عبد الرحيم بن مظفر بن صارم (ت سنة ٧١٩ هـ) ، والحسن بن هبـة الله (ت سنة ٧٢٠ هـ) ــ الأدفـــوى : الطـــــالع ، ٢١٦ و ٢١٨ و ٣١٨

(٥٩) السخاوى : الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص ١٩٣ و ١٩٤

ومنهم من برع فى معرفة الالغاز والاحاجى وحلها(٦٠) ، وبلغت الألغاز والأحاجى عند علماء الصعيد مبلغا عظيما حتى انهم تكاتبوا بها ، وكان الشيخ تاج الدين الأسناوى يكتب بالألغاز الى الشيخ على ابن محمد بن جعفر بن عبد الرحيم بن دجون القنائى .

وقصارى القول أن أهل الصعيد زمن الأيوبيين والمماليك استمسكوا بعاداتهم وتقاليدهم ، كما أنهم شغلوا أوقات فراغهم بوسائل التسلية التى تتجلى فيها المهارة العقلية .

الحياة العامة فى المدينة والقرية :

كانت الحياة العامة فى قرى الوجه القبلى تسير على وتيرة واحدة، ويرجع ذلك الى ارتباط الفلاح بأرضه ، ومنزله ، وكانت حياته العامة تتأثر بعوامل الطبيعة المحيطة به ، سواء حياته فى الحقل أو فى المسكن ، فقد حدد النيل للفلاح نظام العمل فى الحقل ومكان سكنه بحيث كان يسكن القرى فى منزل من طابق واحد استخدم فى بنائه الطوب ، واتخذت مساكن القرية فى صعيد مصر شكل « المساكن المضغوطة »(٦١) على مرتفع من الأرض(٦٢) تجنبا للمخاطر

---

(٦٠) ومن هؤلاء محمد بن احمد بن عبد الرحمن بن محمد الكندى القوصى مولدا ودارا ، ووفاة (ت ٧٢٣ هـ) ، ومحمد بن محمد المعروف بابن الجبلى الفرجوطى المتوفى بفرجوط سنة ٧٣٧ هـ .

الأدفوى : الطالع ، ص ٤٩٦ و ٦٣١ و ٦٣٢ .

(٦١) فييت : المواصلات فى مصر فى الصور الوسطى ، ص ٣٤

تناول هذا التعبير فييت فى حديثه عن مساكن الفلاح ، ويعنى ان مساكن الفلاحين كانت تجاور بعضها الآخر بحيث لا تترك فراغا كبيرا من الأرض بين كل مسكن وآخر وذلك لحرص الفلاحين فى الاحتفاظ بمساحة الأراضى الزراعية .

(فييت : المصدر السابق والصفحة) .

(٦٢) فييت : المصدر السابق والصفحة

الفيضانات(٦٣) ، وتجلت مظاهر الحياة فى مساكن القرية فى أمور عديدة منها ، ما كان عليه أثاث الفلاح من أوانى الشرب والطهى ، والكراسى والأسرة ، والصناديق الخشبية التى يحفظ فيها أشياءه الخاصة(٦٤) .

أما مساكن المدينة فى الوجه القبلى ، فكانت تبنى من الحجر ، وتباعدت الحواجز والمسافات بين كل منزل وآخر رغم كثرة أعدادها ، ولنضرب مثلا « باسنا » من الصعيد الأعلى التى كانت حسنة العمارة، مرتفعة الأبنية ، مشتملة على ما يقارب ثلاثة عشر ألف منزل(٦٥)،وقد اكتظت مدن الصعيد بالمنشآت والمرافق ، ونذكر على سبيل المثال مدن « سيوط »(٦٦) ، « الفيوم »(٦٧) ، « منية بنى خصيب »(٦٨) ، « اسنا »(٦٩) ، « قنا »(٧٠) ، « بوتيج »(٧١) ، « مير » ،

---

(٦٣) البغدادى : الأفادة والاعتبار ، ص ٥٣

(٦٤) جروهمان : أوراق البردى العربية ، جـ ٦ ، ص ٩٩ ، انظر

(٦٥) الأدفوى : الطالع ، ص ٣٧ – المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٣٧

(٦٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٠٠

(٦٧) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٢٦

ابو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١١٥

القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٩٨

(٦٨) ابن جبير : الرحلة ، جـ ١ ، ص ٥٦ – أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ١١٣

(٦٩) أبو الفدا : تقويم البلدان : ص ١١٣ – الأدفوى : الطالع ، ص ٣٧

ابن بطوطه : الرحلة ، جـ ١ ، ص ٤٢

(٧٠) ابن جبير : الرحلة ، جـ ٢ ص ٦٠ – ابن دقماق : الانتصار جـ ٥ ، ص ٣٠

(٧١) ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٥ ، ص ٢٤

و « القوصـــية »(٧٢) ، « دشـــنا »(٧٣) ، « وقـــوص »(٧٤) ، ومن المنشآت والمرافق التى اكتظت بها هذه المدن،الحمامات،والبيمارستانات والأســواق والمدارس ، والفنـــادق ، وكانت هذه المرافق على عهـــدى الأيوبيين والمماليك كريمة الذات محمودة الصفات(٧٥) .

وكانت المدن مقر سكن كبار رجال الدولة ، ومنهم نواب السلطنة الذين أقاموا بسيوط منذ عهد السلطان الظاهر برقوق(٧٦ف) ، والولاة، والكشـــاف ، والقضـــاة ، والثابت على أهالى المدن الواقعة على طريق التجارة أنهم أرباب ثروات واســـعة(٧٧) ، وانهم كثيرى الاحتكـــاك والاتصال بالوافدين من الخارج والداخل(٧٨) .

وكان أكثر الملابس الشـــائعة عند أهل الوجـــه القبلى من القطن ويذكر ابن دقماق(٧٩) ، ان كسوة أهل الواح من القطن ، وان العلماء من أهل أسوان كانوا يرتدون الملابس القطنيـــة ، وتميز العالم والشيخ

---

(٧٢) ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٥ ، ص ٢٢

(٧٣) ابن جبير : الرحلة ، جـ ٢ ، ص ٦١،

(٧٤) ابن جبير : الرحلة ، جـ ٢ ، ص ٦١

(٧٥)وقد خلت بعض هذه المرافق فى القليل النادر من المظـــاهر الأسلامية انحقه

ابن بطوطة : الرحلة ، جـ ١ ، ص ٣٨ – ابن دقماق : الانتصـــار جـ ٥ ، ص ٣٠

(٧٦) ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٥ ص ٢٩ .

(٧٧) ابن جبير : الرحلة ، جـ ٢ : ص ٦١ – ياقـــوت : معجـــم البلدان ، جـ ٧ ، ص ١٨٣

(٧٨) ابن جبير : الرحلة ، جـ ٢ ، ص ٦١

(٧٩) الانتصار ، جـ ٥ ، ص ١٢

يلبس جبة قطنية ، وعلى رأسه سـمحانية ، وفوطة قطنيـة اختصت بصـنعها أسوان(٨٠) ، وعرف أهل « قفط » بلبس العمائم والطيـاس القطنية(٨١) ، وكانت أغطية الرؤوس ، والملآت القطن أكثر شـيوعا فى بلاد الوجه القبلى طوال عصر المماليك(٨٢) ، واشتهر أهل البجسة المقيمين فى عيذاب بردائهم من الملاحف الصفراء اللون ، ويشدون على رءوسهم عصائب ، وعرض العصابة منها « أصبعا »(٨٣) •

وكانت الملابس الصوفية أكثر شيوعا عند أهل الصـعيد الأوسط ويبدو أن أكثر من استخدمها هم أهل الثروات ، والمعـروف أن هذا النوع من الأقمشـة كان مفضلا عنـد السلطة الحاكمـة ، فضلا عن تصديرها الى بلاد فارس(٨٤) •

زخرت القرى والمدن بالوجه القبلى بأماكن النزهة ، فكانت بلاد أسوان(٨٥) ، وقوص(٨٦)، واطفيح(٨٧) ، واسنا(٨٨) ، والفيوم(٨٩)، وأخميم(٩٠) ، ودروت سربام(٩١)، ودشنى(٩٢) ، وخاصة بالبساتين

---

(٨٠) الأدفوى : الطالع ، ص ٦٥٨
(٨١) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٣٣
(٨٢) ابن بطوطه : الرحلة ، جـ ١ ، ص ٤٢ و ٤٣
(٨٣) Grohman : Ency of Islam — Tiraz — T IV , P 836
(٨٤) Grohman : Ibid , T IV , P 830
(٨٤) الأدريسى : صفة المغرب ، ص ٣٦
(٨٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٠١
(٨٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٠١
(٨٧) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٩٧
(٨٨) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١١٣
(٨٩) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٢٧
(٩٠) ابن جبير : الرحلة ، جـ ٢ ، ص ٥٨ و ٥٩
(٩١) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ١٥٦
(٩٢) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٦٢

والمتنزهات ، وأماكن يرتادها الناس للنزهة ، كما كانت قرى «أثنسين» « وطنبدى » من البهنساوية تسمى بالعروسين لحسنهما(٩٣) ، وأطنب المعاصرون فى وصف مدينة سيوط ، فوصفوها بأنها مدينة جليلة جميلة المنظر ، حولها البساتين(٩٤) ، ويقال عن سيوط أن مساحتها بلغت ثلاثين ألف فدان ، وكان جانبها الغربى جميل أبيض على صورة الطيلسان ، وكأنه جدول فضه لا يسمع فيه كلام من شدة أصناف الطير ، وعلى عهد ياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ) يظهر جمال سيوط وهدوئها من شعر أبى الحسن على بن على بن الساعاتى(٩٥)،وظلت سيوط على تلك الحال زمنا طويلا على عهد المماليك حتى أن الكتاب والمؤرخين فى القرن الثامن الهجرى لم ينسوا شعر ابن الساعاتى عن سيوط فتغنوا به؛ ودونوه كتبهم(٩٦) ، وتأتى أسوان بعد سيوط من حيث جمال منظرها ، ويصف الأدفوى(٩٧) جنادل أسوان بأنها (نزهة من نزه الدنيا ، بهجة المناظر كأنها مقطعات نيل .... معتدلة الهواء ، قليلة الوباء) .

وأخذت بلاد الوجه القبلى النصيب الأوفر من رعاية السلاطين

---

(٩٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٦١

(٩٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٠٢

(٩٥) من شعر ابن الساعاتى فى وصف سيوط

لله يوم فى سيوط وليله	صرف الزمان بمثلها لايغلط
بتنا وعمر الليل فى علوائه	وله بنور البدر فرع واشحط
والطير يقرا والغدير صحيه	والريح تكتب والغمامه تنقط
والطل فى تلك الغصون كلؤلؤ	نظم تصافحه النسيم فيسقط

(ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٢٠٢ ، انظر) .

(٩٦) أبو الفدا : تقويم اللبدان ، ص ١١٣ ، انظر

(٩٧) الطالع السعيد ، ص ٣٣

الشغوفين بمتعة العين ، ذلك أن هذه البلاد قدر لها بفضل مواقعها أن تكون أفضل الأماكن لممارسة هذه الهواية ، ومن ثم ارتاد السلاطين هذه الأماكن بقصد الصيد(٩٨) ، ويحدثنا العمرى(٩٩) عن اهتمامات السلطان الملك المنصور قلاوون بهواية الصيد ، وشغفه بها ، وانه كان يخرج فى صحبة هذا السلطان فى رحلة لهذا الغرض الى الأماكن النيلية ـ بالصعيد الأعلى ـ التى تكثر فيها المصايد(١٠٠) •

وبلغ من كثرة شغف السلطان الناصر محمد بن قلاوون بهواية الصيد أنه توجه الى الوجه القبلى سنة ٧٣٦هـ ، وقضى به خمسة وأربعين يوما مشغولا بالصيد(١٠١)،ومن عادة السلطان الناصر محمد أنه يصحب معه النواب والمقربين حين يتوجه للنزهة والصيد فى بلاد الصعيد وكان الناصر يبالغ فى اكرامهم ، ويجزل عليهم العطاء(١٠٢) ومن البلاد المحببة لدى الناصر فى هذا المجال «الجيزة»،«وقوص»(١٠٣)، فكان يسافر الى هذين الموضعين فى أول كل عام(١٠٤) •

وسار سلاطين الجراكسة ـ خصوصا السلطان الظاهر برقوق(١٠٥)

---

(٩٨) أبو شامة : الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٣٣٤ ـ أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٦ ، ص ١٢٨

(٩٩) مسالك الابصار ، جـ ١ ، ص ٣٧٥

(١٠٠) العمرى : المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٧٥

(١٠١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ،جـ ٩ ، ص ١١٤

(١٠٢) أبو المحاسن : المصدر نفسه والصفحة

(١٠٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٧٤ و ٧٥

(١٠٤) أبو المحاسن : المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٧٤ و ٧٥

(١٠٥) المقريزى : السلوك ، جـ ٣/٢ ، ص ٨٧٠ و ٨٧١

وبرسباى(١٠٦) ، وقايتباى(١٠٧) على نهج أسلافهم ، فباشروا فى الوجه القبلى هوايتهم فى الصيد والتنزه .

كذلك كان للمرأة دور بارز فى الحياة العامة ، فهناك من الشواهد ما يثبت احترام عامة الشعب المصرى فى عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك لنسائهم ، وتجلى ذلك فى الألقاب العديدة التى أطلقها الناس على نسائهم وبناتهم مثل « ست الخلق » « وست الحكام »، « وست الناس » ، وست الكل ، وذلك من باب « الفخر و لتزكية ، والثناء والتعظيم »(١٠٨) .

على أن ذلك الاحترام المرأة لم يمنع من ظهور بعض القيود الاجتماعية التى فرضتها التقاليد على المرأة فى الصعيد ، فيذكر ابن جبير(١٠٩) عن المرأة فى قنا ودشنة (ومن مآثرها صون نساء أهلها والتزامهن البيوت ، فلا تظهر فى زقاق من أزقتها امرأة البتة ، صحت بذلك الأخبار عنهن) ، ولاحظ ابن فضل الله العمرى(١١٠) فى صعيد مصر أن الراهبات لم يظهرن على أحد ، وتظل الراهبة على حجابها الى أن تظهر فى الأعياد ، ومن الثابت خروج المرأة فى الوجه القبلى الى القرافات فى الأعياد والمناسبات ، حيث ينكشف ستر الحياة ، مما أثار غضب الفقهاء ورجال الدين ، فنادوا بمنع النساء من الخروج على هذه الحال(١١١) ، وكثيرا ما تخرج المرأة فى الصعيد لتشارك

---

(١٠٦) المقريزى : السلوك ، جـ ٤/٢ ، ص ٨٨٦ و ١٠٢٣

(١٠٧) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٨٠

(١٠٨) سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ص ١٣١

(١٠٩) الرحلة ، جـ ٢ ، ص ٦٠ و ٦١

(١١٠) مسالك الأبصار ، جـ ١ ، ص ٣٨٩

(١١١) سعيد عاشور : مصر فى عصر المماليك البحرية ص ١٧٨

الجيران والأقارب فى الاحتفالات العائلية ، فيظهرن فى أفراح الزواج يزغردن وينشرن الملح على العروس خوفا عليه من الحسد(١١٢) ، وقبل خروج الحاج لأداء فريضة الحج تخرج بعض قريباته ومعارف الأسرة ليطفن بالطرق والأسواق ، ويرفعن أصواتهن بنوع من الأناشيد يسمونها « التحنين » — أى تشويق الناس للحج ، وزيارة مقام الرسول — صلى الله عليه وسلم(١١٣) •

وحرصت النساء عند خروجهن الى الطريق على اخفاء وجوههن بحجاب أو برقع أسود اللون تصنعه المرأة بطريقة لا تمكن أحد من رؤية وجهها فى حين تمكنها من رؤية كل ما يحيط بها(١١٤) ، كذلك حرصت النساء على غطاء الرأس الذى يبلغ طوله نحو ذراع ، وقد تردد فى المراجع المعاصرة أسم المقانع التى تضعها المرأة فوق رؤوسهن، وهى مناديل قد تستعمل فى تغطية الوجه(١١٥) •

وعلى الرغم من قلة الاشارات الى نساء الصعيد وندرتها فى المراجع المعاصرة فاننا نجد بعضا منها يعبر عن الثناء والتقدير ، فالمقريزى(١١٦) يحكى لنا بعض النساء اللائى تمتعن بالرياسة فى صعيد مصر ، ويصف لنا ما تزين به من الحلى والجواهر ، كما يحدثنا عن شقوة النساء من ظلم الحكام فى أحداث سنة ٨١٦ وسنة ٨٢٠ و سنة ٨٢٤(١١٧) •

---

(١١٢) الشربينى : هز القحوف ، ص ٩ — ١٠
(١١٣) ابن الحاج : المدخل ، ج ٤ ، ص ٣١٦
(١١٤) سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ص ٢١٨
(١١٥) المقريزى : السلوك ، ج ٢ ، ص ٤٣٣
سعيد عاشور : المصدر السابق ، ص ٢١٨
(١١٦) السلوك ، ج ٤/١ ، ص ٢٧٤ و ٣٩٦
(١١٧) المقريزى : السلوك ، ج ٤/١ ، ص ٢٧،٤ و ٣٩٦ و ١٥٩٢

أما الفلاحة فى ريف الوجه القبلى ، فظلت تقوم بدورها التقليدى فى مشاركة زوجها فى شؤون الزراعة والرى ، فضلا عن رعاية أبنائهـا وبيتها(١١٨) ، واعتادت الأسرة الثريـة الى جلب الجـوارى لمساعدة المرأة فى شؤون البيت وتربية الطفل(١١٩) •

وقد خرجت المرأة من عزلتها فى صعيد مصر ، وأسهمت بدور بارز فى النشاط العلمى والدينى فى عصر المماليك ، وتسـجل لنا المصـادر المعاصرة نساء كثيرات اشتغلن بالنحو والحديث ، وفى هذه الحالة دأبت كثيرات منهن على التنقل بين مصر وصعيدها للسماع الى كبار المحدثين والعلماء والوعاظ ، وبرز منهن على سبيل المثال لا الحصر خديجة بنت على بنت وهب القشيرى (ت ٧١٧ هـ) (١٢٠) ، ورقية بنت محمد بن على بن وهب القشيرى (ت ٧٤١ هـ) (١٢١) ، ومما يجدر ذكره أن كثيرا من نساء الوجه القبلى قد تتلمذن على كبار العلماء داخل بـلادهن ، وكثيرا ما تلقين الدروس داخل الأسر التى نشأن فيها ، ويذهبن الى القاهرة يستكملن فيها دراسة العلوم ، وبلغن فى ذلك أعلى المراتب حتى منحن الأجازات (١٢٢) ، وحرصت كثيرات منهن على الذهـاب الى المساجد ، حيث يجلسن فى مكان منفرد بعيدا عن الرجـال لسمـاع الدروس الدينية (١٢٣) ، وقد خص بعض الفقهاء والوعاظ دون الرجال يعلمهم ، وحجتهم فى ذلك أن النساء لا يعلمهن أحد من أزواجهن شيئا ،

---

(١١٨) الشربينى : هز القحوف ، ص ٥٤

(١١٩) الشربينى : المصدر نفسه ، ص ٢٢٨

(١٢٠) الأدفوى : الطالع ، ص ٢٤٠

(١٢١) الأدفوى : الطالع ، ص ٢٤٧

(١٢٢) الأدفوى : الطالع ، ص ٢٤٠ و ٢٤٧ و ٢٤٩ و ٢٤٨

(١٢٣) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٢١٩

ويجب اعطائهن عناية خاصة حتى يعرفن أحكام الدين ، وما عليهن من حقوق الزوجية والجيران (١٢٤) •

ولا يفوتنا أن ننوه الى مـا قامت به المرأة فى الوجـه القبلى فى النشاط العمرانى ، فقد أنشأت خوند أصلبـاى – زوجة السلطـان قايتباى – قنطرة بالفيوم فى عهد ولدها محمد باشـارة من الشـيخ عبد القادر الدشطوطى (١٢٥) •

وصفوة القول أن المرأة فى بلاد الصعيد خرجت من عزلتها زمن الأيوبيين والمماليك ، وشاركت بصفة عامة الى حد مـا بايجـابية فى الحياتين العلمية والدينية الى جانب دورها فى النشاط الاجتماعى الذى تجلى فى احيائها الاحتفالات العائلية ، والمواسم والأعياد •

الأعياد والمناسبات والمجالس الاجتماعية

احتفل المسلمون والنصارى فى بلاد الوجه القبلى بأعيادهم الخاصة فى صـور شـتى ومظـاهر متنوعة ، ففى عيد الفطر كانت الجموع من

---

(١٢٤) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٢١٩

(١٢٥) بنيت هذه القنطرة من الحجر ، وهى ذات عينين ، ومقـامة على البحر اليوسفى وقد شكلت لجنة سنة ١٨٩٤م لفحص هذه القنطرة ، وعمل تقرير عنها ، وتم اصـلاحها بمقتضى هذا التقرير بمعـرفة وزارة الأشغال ، ويبلغ طول القنطرة أربعين مترا ، وسميت بقنطـرة الوداع ، نظرا لوقوعها على أطراف المدينة وجبانتها (عبد الرحمن عبد التـواب : منشآتنا المائية ، ص ٥٣) •

اما عبد القادر الدشطوطى ، فقد كان من أهل الصـوفه الأخيـار ، وكان موضع الاهتمام والرعاية عند السلطان قايتباى •

(الشعرانى : لوافح الأنوار ، جـ ٢ ، ص ١٢٥) •

سكان القرى والمدن تحتشد بالمساجد لأداء صلاة العيد ، وبعد انتهاء الصلاة يعودون الى منازلهم فى صحبة أمام المسجد يكبرون طوال الطريق (١٢٦) .

وجرت العادة فى القرية اذا حل يوم عيد الفطر أن يرتدى الفلاحون ثيابا جديدة ، واعتاد أهل المدينة أن يهرعوا الى القرافات ، ومعهم نساؤهم وأولادهم ، أو يقصدون شاطىء النيل حيث يستأجرون المراكب للنزهة (١٢٧) ، وفى كلتا الحالتين تحدث مفاسد كثيرة تتعارض مع مبادىء الدين مما حدا بحكومة المماليك الى المناداة بمنع النساء من الخروج الى القرافة وركوب المراكب بالنيل طوال العيد (١٢٨) .

واهتم المسلمون — أيضا — بالاحتفال بعيد الأضحى ، فيضحى بعض المسلمين بالذبائح وتوزع على المحتاجين من المسلمين(١٢٩) ، وكان الكبار من الرجال يتصدقون بآلاف الدنانير ومئات الأرادب من الغلال (١٣٠) ، ويقبلون على تجهيز بيوت الفقهاء بلوازم الضيافة كالقواديس ، والأقصاب ، والركايب المستخدمة فى التنقل ذهابا وايابا الى هذه البيوت (١٣١) ، واستمتع الناس بالندوات العلمية ، وحلقات الذكر التى كانت تقام ليلا فى مثل هذه المناسبات .

---

(١٢٦) ابن الحاج : المدخل ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

(١٢٧) المقريزى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٦٧٢

(١٢٨) المقريزى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٦٧٢

سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى العصر المملوكى ، ص ١٨٩

(١٢٩) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٩٢

(١٣٠) الأدفوى : الطالع ، ص ٢٤٠ و ٤٨١ و ٦٩٦

(١٣١) الأدفوى : الطالع ، ص ٤٨١

وكان عامة الناس يحتفلون بعيد الأضحى بالذهاب الى النيل أو القرافات، ، وتتزين النساء بغاية الزينة (١٣٢) ، وتخرج جماعة منهن الى الطرقات ، ويأخذن فى الغناء ، ويطفن بالأسواق والحوانيت والبيوت لجمع ما يجود به الناس عليهن (١٣٣) •

وكان احتفال الأمراء بعيد الأضحى فى صعيد مصر مثال الروعة والبهاء ، فكانوا يعدون العدة للاحتفال به ، وكانوا ينعمون على مماليكهم فى هذا اليوم بأضاحى العيد ، على النحو الذى سار عليه السلاطين فى الانعام بالأضاحى على الأمراء ، وقد اختص الأمراء فى سائر الديار المصرية بنصيب وافر مما يوزعه السلاطين من اضاحى فى عيد الأضحى (١٣٤) •

وكان الشعراء ينتهزون فرصة أيام الأعياد ويقبلون على مدح كبار الرجال من الحكام والقضاة ، وليس أدل على ذلك من أن خمسة وعشرين شاعرا أقبلوا على مدح قاضى اقليم البلينا فى عيد الأضحى (١٣٥) •

وكان شهر رمضان من أهم المواسم الدينية التى عنى الأمراء على احيائها فى صعيد مصر ، فقد حاكى الأمراء سلاطينهم فى الاكثار من الصدقة والاحسان بذبح البقر والغنم فى ليالى رمضان ، وأما عامة

---

(١٣٢) ابن الحاج : المدخل ، ج ١ ، ص ٢٨٦

(١٣٣) ابن الحاج : المدخل ، ج ١ ، ص ٢٨٦

سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٩٢

(١٣٤) أبو المحاسن : النجوم ، ج ٩ ، ص ١٧١ – انظر •

(١٣٥) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٣ ، كان ذلك فى بداية القرن السابع الهجرى •

الناس فقد كثرت اجتماعاتهم وزياراتهم فى شهر رمضان (١٣٦) ، وعمد كثير من الناس الى احياء رمضان فى الجوامع والمساجد بالذكر والصلاة — لا سيما صلاة التراويح — (١٣٧) ، وجرت العادة فى عصر المماليك أنه عند ختم القرآن بأحد المساجد فى شهر رمضان يقام احتفال كبير تقرأ فيه القصائد ، ثم يؤتى بالقارىء الذى تولى قراءة الختمة ، ويزفونه الى بيته فى موكب هائل ، وأمامه القراء يقرأون ، والمؤذنون يكبرون ، والفقراء يذكرون (١٣٨) .

وكان الأثرياء فى ليالى رمضان يتصدقون فى وجوه البر والاحسان وكان المشايخ من علماء المسلمين يستقبلون الفقراء فى زواياهم ، ويقسمون على رعايتهم من حيث المأكل والمشرب والملبس ، فكانت زاوية الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار فى قوص — زمن ابن بطوطه (ت ٧٧٩ هـ) — موطنا لاجتماع (الفقراء المتجردين فى شهر رمضان من كل سنة (١٣٩) .

ومن المواسم التى اهتم بها الأهالى فى الوجه القبلى ، وبالغوا فى احيائها « موسم عاشوراء » حيث اشتد اقبال العامة على الطعام والحلوى ، وتجمهروا فى أماكن مخصوصة فى المساجد ، واشتدت رغبة الكبار من الرجال فى الجود والعطاء ، ومما قيل أن القاضى ابراهيم بن عرفات بن صالح القنائى كان يتصدق فى كل سنة فى يوم عاشوراء من أهل بلده بصعيد مصر بألف دينار (١٤٠) .

---

(١٣٦) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ١٩٨
(١٣٧) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٠٩
(١٣٨) سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر المماليك ، ص١٨٨
(١٣٩) ابن بطوطة : الرحله ، جـ ١ ، ص ٤١
(١٤٠) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٥٦ ، وكان ذلك على عهد الأدفوى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .

وكانت الأسواق فى سائر أعمال مصر وصعيدها فى ليلة النصف من شهرى رجب وشعبان مزينة بأبهى معالم الزينة ، وكان يعرض فيها أمثال خيول وسباع وقطاط وغيرها بما يسمى (العلاليق)(١٤١) ، وكانت هذه الأنواع فى متناول الأغنياء والفقراء على السواء ، وفى ذلك يذكر المقريزى (١٤٢) ، (فلا يبق جليل ولا حقير حتى يبتاع منهـا لأهله وأولاده) ، ومما تجدر ملاحظته أن مطابخ ومعاصر السكر انتشرت ببلاد الوجه القبلى الأمر الذى ساعد الأهالى على عمل صناعة الحلوى .

وحرص كثير من الناس على احياء هذه المواسم بالصيام ، وبزيادة وقود القناديل والشموع بالجوامع والاجتماع بها للذكر والقراءة، والخروج الى المقابر (١٤٣) .

كان للاحتفال بليلة مولد النبى — صلى الله عليه وسلم — شأن كبير فى مصر وصعيدها فى العصرين الأيوبى والمملوكى ، وقد حافظ أهالى هذه البلاد على العادات التى ورثوها عن العهود السابقة حتى رسخت وتأصلت فى النفوس الى وقتنا الحاضر ، ومن المظاهر الدينية المألوفة فى هذا العيد قراءة السيرة النبوية فى المساجد (١٤٤) .

أما أعياد النصارى التى احتفل بها أهالى الوجه القبلى ، فقد تنوعت بين الأعياد الخاصة التى أقاموها للاحتفال بكنائسهم وأديرتهم

---

(١٤١) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٠

(١٤٢) الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٠

(١٤٣) سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ص ١٨٤

(١٤٤) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ١٦٦ ، انظر .

وأعيادهم العامة التى شاركهم الاحتفال بها الأهالى فى كافة أقاليم مصر .

أما عن الأعياد الخاصة التى أقاموها لكنائسهم وأديرتهم ، فقد كانوا يخصصون يوما يجعلونه عيدا يقيمون فيه الاحتفالات ، ومن ذلك الاحتفالات بأعياد دير المحرق (١٤٥) ، ودير الجاوليه (١٤٦) ، ودير شقلقيل (١٤٧) ودير بقطر (١٤٨) بأبنوب ، وكنيسة الحكميين (١٤٩) ، وأديرة أخميم (١٥٠) ، وأديرة البهنسا (١٥١) ، وكانت جموع النصارى فى مثل هذه المناسبات تأتى من كافة البلاد الى أماكن الأديرة ، وعلى رأسهم أسقف المدينة للمشاركة فى الاحتفالات يقومون بالنذورات والعوايد (١٥٢) ، وكانت تقام بمناسبة هذه الأعياد الأسواق التى كانت تضفى على أهل البلاد رواجا اقتصاديا (١٥٣) ، كما كانت الجموع تجتمع فى أماكن معينة لسرد القصص والحكايات ، ومنها الخرافات التى ترددت على ألسنة الناس ، واعتقدوا فى صحتها (١٥٤) ، واشتركت النساء فى مثل هذه الاحتفالات حتى أن الراهبات ظهرن غير محجبات تعبيرا عن الفرحة والغبطة (١٥٥) .

(١٤٥ ، ١٤٦) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٥٠٥

(١٤٧ ، ١٤٨) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٥٠٣

(١٤٩) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٥١٨

(١٥٠) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ١٥٤

(١٥١) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٥٠٣

(١٥٢) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٥٠٣ / ٥٠٥

(١٥٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٥١٨

(١٥٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ١٥٤

(١٥٥) العمرى : مسالك الأبصار ، جـ ١ ، ص ٣٧٤

وكانت الأسرات المسيحية فى الصعيد الأوسط تحتفل فى مناسبات معينة بأعيادها الخاصة ، فكانوا فى أنصنا يقيمون عيدا بكنيسة المــاء الشهداء العظام المجاهدين على اسم المسيح (١٥٦) ، وعدتهم احدى وأربعين شهيدا (١٥٧) ، وكانوا فى مثل هذه الأعياد يأتون بالأغنــام والضأن (١٥٨) يذبحونها وفى ذلك مظهر من مظاهر المشاركة الاجتماعية وقد أضفت البساتين والخضرة الملحقة بالأديرة جوا من المتعة والسعادة فى قلوب الزائرين(١٥٩) ، وظل النصــارى يقيمون الأعياد لكنائســهم فى الصعيد الأوسط بدير الطير بسمالوط ، ودير أبو فانا بقصر هور — مركز ملوى — حتى نهاية عصر المماليك (١٦٠) .

واحتفل المسيحيون فى سائر البلاد المصرية بعيد الزيتونة ، ويعرف هذا العيد بعيد الشعانين ، ومعناه التســبيح ، وقيل أنه ذكرى اليوم الذى دخل فيه السيد المسيح مدينة القدس ، وكان قبط مصر يحتفلون به فى اليوم الثانى والأربعين من الصوم (١٦١) ، وفى هذا العيد تزين الكنائس بمصر وسائر البلاد بأغصان الزيتون ، وقلوب النخيل (١٦٢) ويوزع منها على الناس على سبيل التبرك ، وكان من عادة النصــارى فى الوجه القبلى فى هذا اليوم — زمن المقريزى — أن يخرج القسيسون والشماسة بالمباخر والصلبان والأناجيل ، والشموع ، ويقفوا على باب القاضى ، ويبخروا ، ويقرأوا فصــلا من الانجيــل ، يمــدحونه ، ثم

---

(١٥٦) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة مصر

(١٥٧) أبو صالح الأرمنى : المصدر نفسة والصفحة

(١٥٨) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٥٤٣

(١٥٩) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٥٤٣

(١٦٠) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٥٠٤ ، انظر

(١٦١) أبو الفدا : المختصر فى اخبار البشر ، ج ١ ، ص ٩١

(١٦٢) جاك تاجر : اقباط ومسلمون ، ص ١٥٠

يكررون ذلك الاشهد على أبواب أعيان المسلمين ، وقد بالغ أهالى مدينة أخميم فى تنفيذ هذه العاده (١٦٣) .

واحتفل القبط فى الوجه القبلى بليلة الميلاد فى الخامس والعشرين من كيهك ، وفى العيد تباع الشموع المزهرة بالأصباغ ، والألوان الزاهية والتماثيل البديعة ، ولا يبق أحد من الناس الا ويشترى منها لأولاده وأهله ، وكان الناس يسمونها « الفوانيس » (١٦٤) وكان الفلاحون فى هذه الليلة يذهبون الى الكنائس والمصابيح ، ويقبلون على شراء الشموع المزدانة والتماثيل البديعة ، وشارك المسلمون النصارى فى الاحتفال بليلة الميلاد ، وكان المصريون يصنعون فيه نوعا من العصيده ، ويزعمون أن من يأكلها يتقى البرد طوال العام (١٦٥) .

كما احتفل المسيحيون فى الحادى عشر من طوبة فى سائر أعمال مصر بعيد الغطاس ، وفيه يغطس قبط مصر فى النيل (١٦٦) ، وكان لليلة الغطاس فى مصر شأن عظيم ، اذ لا ينام الناس فيها ، فهى أحسن الليالى سرورا وبهجة ، ولا تغلق فيها الدروب (١٦٧) ، وفى هذا اليوم تشبه المسلمون بالأقباط ، فاتخذوا منه موسما يزيدون فيه النفقة ،

---

(١٦٣) المقريزى : الخطط : ج ٢ ، ص ٥١٧

(١٦٤) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٦٤

(١٦٥) ابن الحاج : المدخل ، ج ٢ ، ص ٥٨ و ٥٩

(١٦٦) اصل هذا العيد عند النصارى ان يحيى بن زكريا — عليه السلام — والمعروف عند النصارى بيوحنا المعمدان ، عمد المسيح فى مياه الأردن ، وعندما خرج من الماء اتصل به روح القدس ، ورغم شدة البرد فى هذا اليوم ، فأن النصارى يغمسون أولادهم فى الماء .

القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٢٦

(١٦٧) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٦٤

ويدخلون السرور على أولادهم ، بل حرص بعض المسلمين على أن يغطس فى الماء تلك الليلة كما يفعل الأقباط (١٦٨) ·

واحتفل نصارى الوجه القبلى بيوم النيروز ، وهو أول السنة ، وكانت العادة الظاهرة فى صعيد مصر خروج الطلبة فى هذا اليوم فى الأماكن الفسيحة يلعبون(١٦٩) ويلهون ، والمعروف أن الظاهر برقوق قبل أن يتولى السلطنة أمر بالغاء الاحتفال بيوم النيروز ، وهدد من أحياه بالعقوبات الصارمة ، ومنذ ذلك الوقت كف الناس عن اللعب واللهو فى مصر ، وصاروا لا يعملون شيئا من ذلك فى البرك والخلجان ، وغيرها من مواقع التنزه(١٧٠) ، ومما يجدر ذكره أن الاحتفال بيوم النيروز — زمن المماليك — كان يأخذ شكل الأعياد القومية تتعطل فيه الأسواق عن البيع والشراء ، وتغلق المدارس أبوابها ليقضى طلبتها اليوم فى اللعب (١٧١) ·

واحتفل النصارى فى الوجه القبلى بعيد الشهيد فى الثامن من شهر بشنس (١٧٢) ، وكان هذا العيد من أعظم أعياد النصرانية فيخرج النصارى من جميع القرى والمدن للاحتفال بهذا العيد (١٧٣) ، ويخرج أهل القاهرة والفسطاط على اختلاف طبقاتهم الى الخيام حيث يحتفلون بعيد الشهيد ، وفى هذا اليوم يغنى المغنيون والمغنيات (١٧٤) ، وقد

---

(١٦٨) سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر المماليك ، ص٢٠٥
(١٦٩) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٦٩٧
(١٧٠) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٦١
(١٧١) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٤٩
(١٧٢) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٦٦
(١٧٣) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٦٨
(١٧٤) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٦٨

شق على الناس ابطال عيد الشهيد فى عهد السلطنة الثانية للسلطان الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٨ هـ — ٧٠٧ هـ) (١٧٥) ، وازدادت شقوتهم لهذا السبب حينما ابطل الاحتفال بهذا اليوم السلطان بيبرس الجاشنكير (٧٠٨ هـ — ٧٠٩ هـ) ،وأعيد الاحتفال بعيد الشهيد فى أواخر عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٨ هـ ، ولم يلبث أن الغى مرة أخرى سنة ٧٥٥ هـ زمن السلطان الصالح صالح بن الناصر محمد ابن قلاوون (١٧٦) (٧٥٢ هـ — ٧٥٥ هـ) ، ولم يعد هـذا العيد مرة أخرى منذ ذلك العهد (١٧٧) .

وكان النصـارى فى سـائر قرى ومدن مصر يحتفلون فى اليوم السابق لعيد الفصح بسبت النور (١٧٨) ، وجرت العادة أن يخرج الناس فى هذا اليوم الى شاطىء النيل (١٧٩) ، وكان عيد الختان من أهم الأعياد العائلية عند قبط مصر ، ويحتفلون به فى اليوم السـادس من شهر بؤونه ، فيختنون أولادهم ، ويعتقـدون أن المسـيح ختن فى اليوم الثامن من الميلاد (١٨٠) ، وفى « خميس العهد » أو « خميس العدس » كان النصارى يهدون الى المسلمين أنواع العدس المصفى ، وغير ذلك من الأطعمة الأخرى ، وكان من عادة النسوة من المسلمات

---

(١٧٥) العمرى : مسالك الأبصار ، جـ ١ ، ص ٢٦١

(١٧٦) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٦٨

(١٧٧) على ابراهيم حسن : دراســات فى تاريخ دولة المماليك البحرية فى مصر ، ص ٣٦٥ و ٣٦٦

(١٧٨) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٤١٧ و ٤١٨

(١٧٩) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ، ص ٥٦ وما بعدها .

(١٨٠) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٢ ، ص ٤٣٧

الخـــروج الى الأســـواق لشراء البخور والخواتم حتى يصرف عنهن « العين والكسل » (١٨١) ٠

ولم يقف الأمر عند مشـــاركة المسلمين للنصارى فى أعيادهم ، بل تعداه الى الأخذبعاداتهم، فقد حاكى المســـلمون النصارى فى تقـــديم النذورات والعوايد فى الموسم المحدد لزيارة الأديرة ، وخالط المسلمون القبط ، وأنســـوا اليهم ، ويحكى ابن الحجـــاج(١٨٢) ، ان المســـلمين اتخذوا هذه العوايد موضع السنن ، وأنســـت نفوســـهم بعوايد من خالطوه من الأقباط ، ولا يزال هذا النظام ضاربا بجذوره فى صـــعيد مصر حتى وقتنا الحاضر » ٠

وهكذا شارك المسلمون فى صعيد مصر النصارى فى الاحتفال بكثير من أعيادهم الدينية مما ساعد على تقوية العلاقات الاجتماعية ، وتبادل الصلات بين المسلمين وأهل الذمة ٠

أما الحفلات التى اهتم الناس باحيائها ، فيمكن تقسيمهـــا الى قسمين ، حفلات خاصـــة أو عائلية ، وحفلات عامة أو شـــعبية ، وأهم أنواع الحفلات العائلية ، حفلات الزواج التى تعطينا دليلا على قوة العلاقات الاجتماعية بين المسلمين والأقباط فى صعيد مصر ، فقد شارك المسيحيون المســـلمين فى الاحتفـــال بأفراحهم ، ولا أدل على ذلك من حرص المسلمين على دعوة النصارى فى « اسنا » ليشاركوهم أفراحهم ، وقد عبر النصارى فى احياء ليالى أفراح المسلمين عن فرحتهم ، فقاموا يغنون بالقبطية الصعيدية ، ويمشون أمـــام العروس فى الأســـواق والشوارع (١٨٣) ، ومن عادة أهل القرى فى احياء ليالى الأفراح زمن

---

(١٨١) ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢) ص ٥٤ وما بعدها ، انظر ٠

(١٨٢) المدخل ، جـ ٣ ، ص ٦٥

(١٨٣) أبو صالح الأرمنى : كنائس وأديرة مصر

المماليك أن يأتى بالعريس وسط ضرب الطبول والمنشدين ، ويطاف به فى أنحاء القرية حتى يصل الى بيت العروس (١٨٤) ، ومن المعاده أن أن تقوم احدى المغنيات يرددن الأغانى وسط النساء ، وفى مثل هذه الأفراح كان لا بد من الحصول على اذن « ضامنة المغانى » بعد دفع الرسم المقرر لها ، (ومن عمل فرحا بأغانى ، أو نفس امرأته من غير اذن الضامنة ، حل به بلاء لا يوصف) (١٨٥) .

وتنوعت المناسبات التى كانت تقام فيها الحفلات العامة منها فى الوجه القبلى ، ما أقيم عند قدوم قضاة الأقاليم الى أقاليمهم ، فيخرج الأهالى فى موكب جليل لاستقبالهم ويمدحونهم ويجلونهم ، ومن ذلك ما حدثنا به ابن دقماق (١٨٦) من أن أهالى أسوان أعدوا احتفالا مهيبا لقاضى قوص ، وخرج منهم لاستقباله (أربعمائة راكب بغلة) .

وكان يتم الاحتفال بدوران المحمل فى سيوط ، لما لهذه المدينة من أهمية سياسية نظرا لأنها مقر نيابة السلطنة . ويذكر ابن دقماق (١٨٧) أنه على عهده كان « بسيوط » محملا يدور ، وكان الاحتفال بدوران المحمل يتم زمن المماليك مرتين فى السنة ، الأولى فى النصف الأخير من شهر رجب ، وقد استحدثها السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨ هـ — ٦٧٦ هـ)

---

(١٨٤) الشربينى : هز القحوف ، ص ٩ و ١٠

(١٨٥) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٠٦

نبيـــل محمد عبد العـــزيز : الطـــرب وآلاته فى عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ٨٥ استمر ضمان المغانى قائما حتى الغاه الملك الأشرف شعبان سنة ٧٧٨ هـ من جميع اعمـــال الديار المصرية من اســـوان الى العريش (نبيل محمد عبد العزيز : المصدر السابق ، ص ٨٦) .

(١٨٦) الانتصار ، جـ ٥ ، ص ٣٤

(١٨٧) الانتصار ، جـ ٥ ، ص ٢٣

لأعلام الناس أن الطريق من مصر الى الحجاز آمن (١٨٨) ، أما الدورة الثانية فتكون فى شهر شـــوال ، ويحتفل فيهـــا باحراق النفط وعمل الصواريخ ، ويخرج الناس من كل مكان للفرجة ، ويزينون الحوانيت والأسواق (١٨٩) ، ويذكر القلقشندى (١٩٠) أن دوران المحمل غالبا ما يكون فى يوم اثنين أو خميس ، ولم تذكر المصادر المعاصرة شـــيئا عن المظاهر الرسمية لهذا الاحتفال فى مدينة سيوط ، ومن الثـــابت أنه يبدأ فى العاصـــمة بوضع الكســـوة من الحرير المطرز بالذهب على جمل فى هيئة لطيفة ، ويبدأ الموكب من عند باب النصر وأمامه الوزير والقضاه الأربعة والمحتسب والشهود وناظر الكسوة ، وغيرهم ، ويظل الموكب يتهادى حتى يصل الى القلعة (١٩١) .

وكانت الاحتفالات العامة تقام فى الوجه القبلى حين يعين واليا جديدا على اقليم من الأقاليم ، وخرج أهل « البلينا » يستقبلون الوالى الجديد فى موكب مهيب (١٩٢) ، وقيل أنهم قدموا له الضيافة بســـتين منسفا من الحلوى وستين منسفا شواء (١٩٣) .

وتظهر مراسم الاحتفالات العامة فى مدن الوجه القبلى حين يقوم أحد السلاطين بزيارة مدينة من المدن ، فكان من عادة الأمراء أنه اذا مر السلطان باقطاع أمير كبير قدم له هذا الأمير الهـــدايا ، وينعم عليه

---

(١٨٨) ابن بطوطه : الرحله ، جـ ١ ، ص ٩٣

(١٨٩) أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٧ ، ص ٥٠٧
سعيد عاشور : مصر فى عصر المماليك البحرية ، ص ١٧٣

(١٩٠) صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٧٥

(١٩١) المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ، ص ٤١٥ و ٤٢٤

(١٩٢) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٠٣

(١٩٣) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٠٣

السلطان فى مقابل ذلك بخلعة كاملة أو مكافأة مالية (١٩٤) ، ومن الأمور المتبعة عند نزول سلطان من السلاطين الى مدينة من المدن يراعى تجهيز شراب الليمون ، والسكر لتقديمها الى الحاضرين ، واهتم السلاطين فى مثل هذه المناسبات بزيارة مرافق النواحى ، ومن ذلك قيام السلطان قايتباى عام ٨٨٢ هـ بزيارة منشآت خاير بك من حديد بمدينة الفيوم (١٩٥) ، ومن بين الاحتفالات ذلك الاحتفال الذى أعد خصيصا للسلطان الغورى سنة ٩١٨ هـ ، خلال زيارته لأهرام الجيزة ، وفى هذا الاحتفال نصب له سرادق ووطاق ، وقام المغنون والمغنيات الذين جاءوا فى صحبة السلطان يغنون على أنغام الرباب (١٩٦) ، وكان من بين الحاضرين لهذا الحفل الخليفة والقضاه (١٩٧) .

ومن الملاحظ أن زيارات السلاطين لبلاد الوجه القبلى منذ القرن التاسع الهجرى لا تتعدى الجيزية والفيومية،ذلك أن هذين الاقليمين كانا بعيدين عن هذا التخريب الذى شمل أراضى الوجه القبلى بسبب العوامل الطبيعية فضلا عن جور الولاة ، ولا ننسى أن هذه العوامل قد أطاحت بكافة مظاهر الحياة فى بلاد الوجه القبلى ، فأفنت كثيرا منها، ونستدل على ذلك من تلك الاشارات التى أمدنا بها المقريزى (١٩٨) فى أحداث

---

(١٩٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٦٣

(١٩٥) ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ١٨٣ ، حوادث سنة ٨٨٢

(١٩٦) ابن اياس : بدائع الزهور ، حوادث سنة ٩١٨ هـ

(١٩٧) ابن اياس : المصدر نفسه ، حوادث سنة ٩١٨ هـ

(١٩٨) السلوك ، ج ٣/٣ ، ص ١١٣٥

سنة ٨٠٧ هـ ، فيذكر عنها (فيها تعطل كثير من الأراضى لاتساع النيل بكثرة زيادته ، وعجز الفلاحين عن البذر — سيما — أراضى الصعيد ، وأن أهلها ماتوا موتا من الجوع ، والبرد ، وبـاعوا أولادهم بأبخس الأثمان ، فاسترق منهم بالقاهرة خلائق ، ونقل الناس منهم الى البلاد الشامية ما لا يعد ، فبيعوا فى أقطار الأرض ، كما يباع السبى .... ولقد كنت أسمع قديما أنه يتوقع لأهل مصر غلاء وجلاء وفناء ، فأدركنا ذلك كله فى سنتى ست وسبع وثمانمائة ، وهلك فيها ما ينيف على ثلث أهل مصر ، ودمر أكثر قراها) .

وصفوة القول أن أهل الصعيد لم يكونوا بمعزل عن أحداث عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك ، ونشاطاته الاجتماعية ، وتتجلى لنا رغبتهم العامة فى معايشة تلك الأحداث فيما قدمناه دليلا على حرصهم الشديد على اقامة الاحتفالات تكريما وتعظيما لكبار رجال الدولة القادمين الى بلاد الصعيد ، كما كان للاحتفـالات العائلية النصيب الأوفر من عناية أهل الصعيد ممـا يبين مقدار ما وصـلوا اليه من التقدم فى ميدان النشاط الاجتماعى .

مما تقدم يتضح لنا أن العناصر الرئيسية فى الوجه القبلى كانت الأقباط والمسلمون والعرب واليهود ، ويغلب على كل عنصر من هـذه

وقد تعددت اشارات المقريزى فى هذا الشأن ، ففى معرض حديثه لاحداث سنة ٨٠٧هـ يذكر (لم تنسلخ هذه السنة حتى شـمل الخراب اقليم مصر وتلاشى الصعيد ودثرت عدة مدن نه وكثير من القرى ، وتعطلت معظم اراضيه عن الزراعة ، وتمزق أهله .. وآل الأمـر الى ان لايجد الرجل احدا فيما بين القاهرة وأسوان يضيفه لضيق الحال) .

المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٩٠

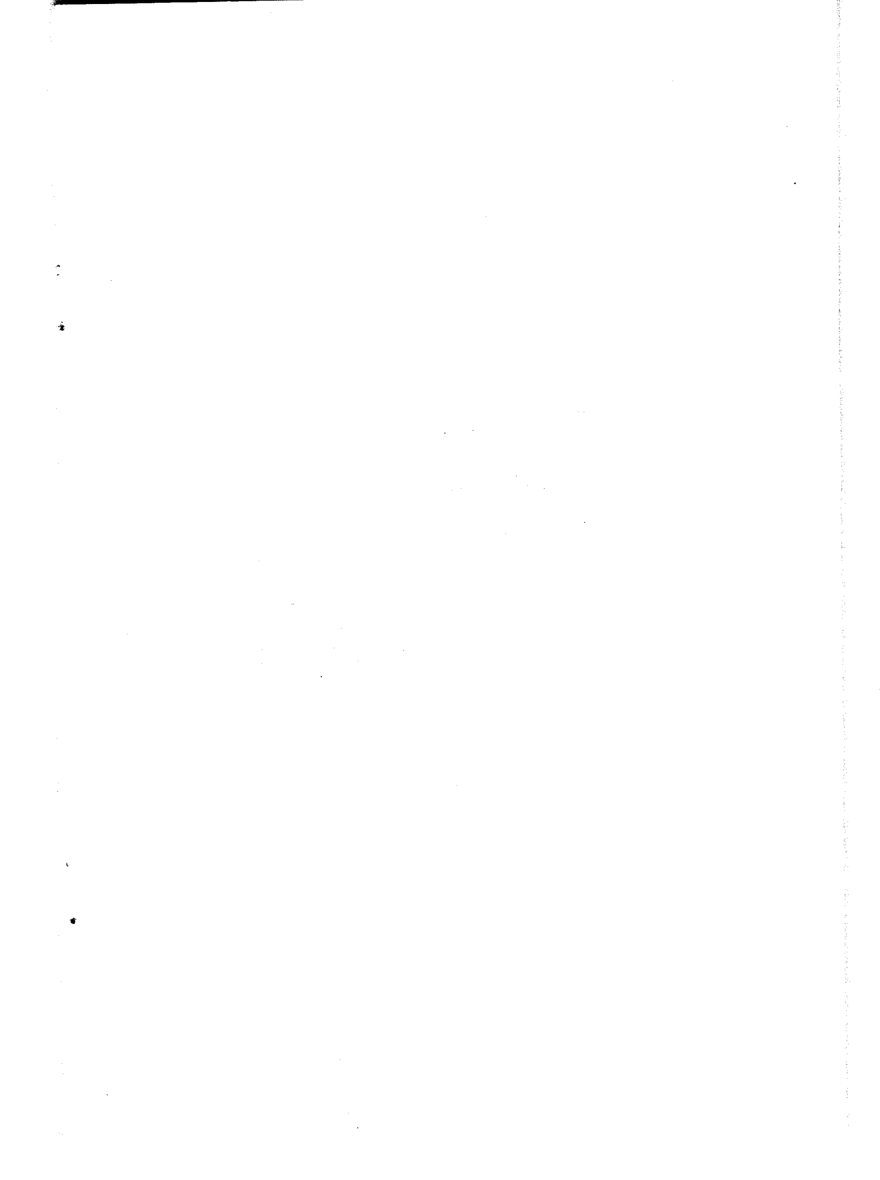
العناصر صفات معينة ، وشكلت هذه العناصر بمرور الزمن عن طريق الاختلاط والاتصال مجتمعا واحدا حافظ على العادات والتقاليد الموروثة منذ عهد بعيد ، فضلا عن الروح العربية التى سادت الحياة الاجتماعية وساهم العرب بدور رئيسى فى توجيهها فسادت تقاليد العرب ، وعاداتهم ، وأساليب حياتهم ، وأخذ هذا المجتمع النصيب الأوفر من عناية السلاطين والحكام ، وأخذ قدرا من الرخاء والترف لم يحط من شأنه سوى أحداث المحن التى طرأت على بلاد الصعيد فى القرن التاسع الهجرى ، واستغل الكثيرون من الحكام والعرب هذه الأحداث ، وعاثوا فى الأرض فسادا ، ودخلت هذه البلاد فى دور الضعف ، وضاعت كثير من معالمها ، ولم يعد للمجتمع صورته التى كان عليها .

الباب الثالث

الحياة الثقافية فى الوجه القبلى

فى عصر الأيوبيين والمماليك

١ ــ عوامل ازدهار الحياة الثقافية
٢ ــ دور التعليم والعلم
٣ ــ تطور الحركة العلمية
٤ ــ دور القبط فى الحياة الثقافية



عوامل ازدهار الحركة الثقافية فى صعيد مصر

ازدهرت الحياة الثقافية فى مصر وصعيدها فى عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك لعوامل متعددة ، منها أن مصر أصبحت فى ذلك العصر نقطة الارتكاز ، ومركز الاشعاع ، فقصدها العلماء ، وطلاب العلم من مختلف الأقطار ، ومما جعل مصر محورا للنشاط العلمى ما أصاب المسلمين فى القرن السابع الهجرى من كوارث على أيدى المغول فى العراق والشام ، وعلى أيدى النصارى فى الأندلس ، اذ تحول كثير من علماء تلك الأقطار الى مصر ، واختاروها مقرا لاقامتهم ونشاطهم العلمى (١) ٠

وقد وجه السلاطين عنايتهم الى نشر العلوم الاسلامية ، ذلك أن سلاطين بنى أيوب اهتموا اهتماما بالغا بالعلم وتشجيع أهله (٢) ، فكان السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب شديد الكلف بعلوم الدين (٣) ، وكان حريصا على سماع الدروس من أفواه الأئمة (٤) ، ويأمر الناس بالجلوس عند سماع الحديث (٥) ، وسار العزيز عثمان على نهج أبيه ، فسمع الحديث بالاسكندرية من علمائها المشهورين ، كما كان العادل أبو بكر أيوب شديد الحب للعلماء حتى قيل أن الامام فخر الدين الرازى صنف له كتابا سماه « تأسيس التقديس » (٦) ،

---

(١) سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص١١١

(٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، جـ ٤ ص٢٦٤ و جـ ٢ ص٢٧٠

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٧

يوسف ناظم رشيد : النشاط العلمى والأدبى فى عهد الاسرة الأيوبية ص ٤٤٦ و ٤٤٧

(٤) ابن شداد : المصدر نفسه والصفحة ٠

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ١٢٦

(٦) المقريزى : السلوك ، جـ ١/١ ، ص ١٩٤

وأمضى الملك الكامل محمدحياته في مصر شغوفا بالعلم ومشجعا للعلماء ، ويحكى عنه أنه (كان معظما للسنة المحمدية ، راغبا فى نشرها ، والتمسك بها ، مؤثرا الاجتماع مع العلماء) (٧) •

وسار سلاطين المماليك على سياسة أسلافهم ، فاهتموا بدور العلم وشجعوا العلماء ، وقد فاق تشجيعهم للعلماء سلاطين بنى أيوب ، وكان عندهم من الوقت والمال ما أعانهم على المضى فى هذا السبيل (٨) ، ونذكر على سبيل المثال السلطان الظاهر بيبرس ، وقد وصفه أبو المحاسن (٩) بأنه يميل الى التاريخ وأهله ميلا زائدا ، والسلطان الغورى الذى حرص على عقد المجالس العلمية والدينية مرة أو مرتين كل أسبوع ، كما وجه بعض الأمراء عنايتهم الى نشر العلوم الاسلامية، كالفقه والحديث واللغة والتاريخ ، وتصدى بعضهم لاقراء الطلبة والتدريس لهم (١٠) •

ومما ساعد على ازدهار الحركة العلمية زمن المماليك احياء الخلافة العباسية بمصر على أيدى المماليك (١١) ، اذ هيأت مصر لأن تصبح مركز النشاط العلمى والدينى فى العالم الاسلامى ، ومن ثم اشتدت رغبة العلماء فى الهجرة الى مصر ، وحرص السلاطين على توفير البيئة العلمية ، فأكثروا من بناء المدارس والمساجد •

---

(٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٢٢٠

(٨) عبد اللطيف حمزه : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى ، ص ١٥٤

(٩) النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص ١٨٢

(١٠) سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ص ١٤٢ ، انظر •

(١١) ابراهيم احمد العدوى : التاريخ الاسلامى آفاقه التاريخية وأبعاده الحضارية انظر ، ص ٣٥٠

ومن أهم العوامل التى ساعدت على ازدهــار الحركة الفكرية فى مصر بعامة والصعيد بخاصة أن السلاطين وجهوا عنــايتهم لوقف المد الشيعى الذى اجتاح مصر زمن الفاطميين،ووقع عبء هذه المهمةعلىدولة الأيوبيين فى مصر ، اذ بدأ صــلاح الدين حربة الفكرية والمذهبية ضــد الشيعة بانشاء مدرستين فى سنة ٥٦٦ هـ بجوار مسجد عمرو بن العاص خصص احداها للشافعية والأخرى للمالكية ، واقتــدى به أمراؤه ، ورجال دولته ، فانشئت بمصر عدة مدارس كان الغرض منهــا تدعيم المذهب السنى ، واهتم السلاطين من بعد صلاح الدين بانشاء المدارس وسار المماليك على نهج الأيوبيين فى محاربة مذهب الشيعة ، وأكثروا من انشاء المدارس فى أنحاء البلاد .

وتذكر بعض المصادر المعاصرة أن التشيع كان موجودا فى بعض بلدان الوجه القبلى ، والمعروف أن السلطان صلاح الدين تعقب أنصار الشيعة ، فانتقلت جماعات منهم الى بلاد الصعيد فى « اصفون » (١٢) و « أرمنت »(١٣) و « أســوان »(١٤) و « اســنا »(١٥) ، وحاولت هذه الجماعات نشر الدعوة الشيعية فى تلك البــلاد المــكتظة بالعناصر العربية الموالية للفاطميين من أبناء بنى الكنز ، على أن تلك الجماعات العربية لم تكن متشيعة بدليل أن شواهد القبور التى عثر عليها لبنى الكنز لا نستخلص من نقوشها أنهم كانوا يعتنقون مذهب الشيعة فى حياتهم ، كما أن ذلك الانتشار للجماعات الشيعية فى بلاد الوجه القبلى لم يكن له أثر فى الحياة الفكرية ، فلم نسمع عن دعاة أو قضاة فى بلاد

---

(١٢) الأدفوى : الطالع ، ص ٣٩

(١٣) الأدفوى : الطالع ، ص ٤١

(١٤) الأدفوى : الطالع ، ص ٣٤

(١٥) الأدفوى : الطالع ، ص ٣٩

الوجه القبلى يلقون الدروس لشرح المذهب الدينى الذى دعت له الدولة الفاطمية ، ولم نر فى كتابات الأدفوى ترجمة لشخصية من أبناء الصعيد ينتمى صاحبها الى عقيدة المذهب الشيعى .

اذن فمذهب الشيعة لم يتغلغل فى عقيدة أهل الصعيد ، وأن هجرة الجماعات الشيعية فى بلاد الصعيد الأعلى فى أعقاب سقوط الفاطميين لم تظهر الا فى صورة حملات فردية قام بها بعض أبناء هذه الجماعات فى عدة أماكن ، ولم تنجح هذه المحاولات فى تثبيت العقيدة الشيعية فى عقول الناس ، لذا كان من السهل على العلماء من أهل السنة أن يثبتوا بالأدلة والبراهين بطلان هذه الدعوة ، ويحدثنا الأدفوى (١٦) أن العالم على بن وهب بن مطيع بن أبى الطاعة القشيرى (ت ٦٨٧ هـ) قد سافر الى الصعيد (وأجرى مذهب السنة على أسلوب حكم ، وزال الرفض ، وثبت الحق) ، وأقام الأدلة على بطلان مذهب الشيعة فى كتاب سماه « الفضائح المفترضة فى فضائح الرفضة » .

وعلى الرغم من أن الفكر الشيعى لم يكن له شأن فى بلاد الوجه القبلى ، الا أن السلاطين حرصوا على حماية أهل الصعيد منه ، وأولوا عناية كبيرة ببلادهم ، فأكثروا من عدد المدارس ، وشجعوا العلماء والفقهاء على القدوم الى الصعيد ، ومما يجدر ذكره أن سلاطين المماليك فى مصر اتخذوا كثيرا من الاجراءات التى تستهدف القضاء على الشيعة والتشيع ، فأمر السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨ هـ — ٦٧٦ هـ) بأتباع المذاهب السنية الأربعة ، وتحريم ما عداها ، كما أمر ألا تقبل شهادة أحد ، ولا يرشح لاحدى وظائف الخطابة أو الامامة أو التدريس ما لم يكن معتنقا لاحدى هذه المذاهب (١٧) .

---

(١٦) الطالع السعيد ، ص ٤٣٤ / ٤٤٤

(١٧) المقريزى : الخطط ، جـ ٤ ، ص ١٦١ ، ط النيل

ولا ننسى أن بلاد الصعيد قد توافرت لديها الظروف الملائمة منها أن هذه البلاد كانت كثيرة الخيرات مما ساعد على أن تؤدى المؤسسات التعليمية أغراضها ، ولذا وجدنا الكثير من العلماء يفضل البقاء فى الصعيد ، واشتهرت مدن كثيرة بكثرة علمائها وتنوع علومها ، ومن ذلك مدينة ادفو التى اشتهرت بأنها مدينة الفقه والعلم ، واسنا التى عرفت بمدينة الترف والشعر ، وقنا التى تميزت وانفردت بالزهد والتصوف (١٨) .

دور العلم والتعليم

أكبر دليل على ازدهار النشاط العلمى فى بلاد الوجه القبلى فى عصر سلاطين ايوبيين والمماليك كثرة دور العلم وتنوعها فقد كانت هناك عدة مكاتب ، وكانت مناهج التعليم فى هذه المكاتب تدور حول القراءة ، والكتابة ، وتعليم القرآن ، والحديث ، وآداب الدين ، فضلا عن مبادىء الحساب وقواعد اللغة ، وبعض الشعر(١٩) ، وانتشرت هذه المكاتب فى سائر أرجاء مصر والقاهرة ، ويبدو أن المكاتب فى صعيد مصر كانت تلحق بالمدارس (٢٠) ، وجرت العادة ببناء مكتب لتعليم الأيتام بجوار المسجد أو المدرسة فى مدارس القاهرة المملوكية ، وكان يقوم بتعليم الأطفال فى المكتب «المؤدب» الذى أطلق عليه — أحيانا — اسم الفقيه ، واشترط عند اختياره أن يكون خيرا ، دينا ، أمينا على

---

(١٨) اعطانا الأدفوى فى كتابه « الطالع السعيد » اشارات كثيرة بين لفافيها فضائل هذا الاقليم ومدنه ، ودور العلم ، والعلماء فى النهضة العلمية .

(١٩) ابن الأخوه : معالم القرية فى احكام الحسبة ص ٢٦٠ و٢٦١

(٢٠) الأدفوى : الطالع ، ص ٤٤٣

أطفال المسلمين عفا ، متزوجا(٢١) ، « ولا يفسح لعازب أن يفتح مكتبا للتعلم الا أن يكون شيخا كبيرا وقد اشتهر بالدين »(٢٢)، ومن بين الذين تولوا وظيفة المؤدب فى الوجه القبلى ، عمر بن عبد النصير بن محمد بن هاشم ابن عز العرب (عام ٧١١ هـ) (٢٣) ، وقد أوصى المؤدب بأن يحسن معاملة الأطفال ولا يقسو عليهم ، ولا يضربهم الا اذا أساء أحدهم الأدب ، وقام بعمل « خارج حدود الشرع » (٢٤) ، وتوضح المصادر المعاصرة ما كان متبعا فى مكاتب مصر والقاهرة حين يتم الولد حفظ القرآن ، اذ يعد له احتفال كبير يسمى « الاصرافة » ، فتزين أرض المكتب وحيطانه وسقوفه بالحرير ، ويقوم أهل الصبى بزينته ، ويحلونه بقلائد الذهب والعنبر ، ثم يركبونه على فرس أو بغلة مزينة ، ويحملون أمامه أطباقا فيها ثياب من حرير وعمائم ، فى حين يمشى بين يديه بقية صبيان المكتب ينشدون طول الطريق حتى يوصلونه الى بيته وعند المبيت يدخل المؤدب ويعطى اللوح لأم صاحب الاصرافة ، فتعطيه ما تقدر عليه من المال (٢٥) ، وأما من يظل بالمكتب حتى البلوغ دون أن يحفظ القرآن فكان يصرف ليحل محله أحد صغار الأيتام ، وكان الطبيب يزور

---

(٢١) ابن الأخوه : معالم القرية ، ص ٢٦٠.

(٢٢) ابن الأخوه : المصدر السابق والصفحة.

(٢٣) الأدفوى : الطالع ، ص ٤٤٣

(٢٤) ابن الأخوه : معالم القرية ، ص ٢٦١،
ومن اشارات ابن الأخوه يتضح لنا كيف كان المؤدب يعامل الاطفال فى المكاتب ، فكان عليه الا يضرب صبيا بعصى غليظة تكسر العظام ... وينبغى للمؤدب ان لا يستخدم احد الصبيان في حوائجه ــ معالم القرية ، ص ٢٦١

(٢٥) ابن الحاج : المدخل ، ج ٢ ص ٣٣١ ــ ٣٣٣.
سعيد عاشور : مصر فى عصر المماليك البحرية ، ص ١٩٢ ــ المجتمع المصرى ، ص ١٥٢

المكتب فى كل شهر يتفقد الأطفال ليعد حصرا بمن بلغ سن البلوغ منهم ويخبر بذلك الناظر ، وفى هذه الحالة يأمر الناظر بصرفهم ليحل محلهم آخرين من صغار الأيتام (٢٦) .

ومما يجدر ذكره أن هذه المكاتب اختصت بتعليم البنين من الصغار دون البنات ، ويذكر ابن الأخوة (٢٧) بأن (لا يعلم الخط امرأة ولا جارية ، ... وقيل أن المـرأة التى تتعلم الخط كمثل الحية تسـقى سما) .

وانتشرت فى صعيد مصر ــ زمن الأيوبيين والمماليك ــ ظـاهرة التدريس فى المساجد ، فكان المسجد الى جانب قيـامه بوظيفة آداء الشعائر تعقد فيه حلقات التدريس ، وكان يطلق على المدرس داخل المسجد لقب «المفيد» ، فيأتى المفيد المسجد فيما بين الظهر والعصر ويلقى دروسه على الطلبة (٢٨) ومن بين من تولوا مهمة الافادة فى الوجـه القبلى صالح ابن عادى القفطى (ت عام ٥٩٣ هـ) ، وكان يجلس للافادة بين الظهر والعصر بجامع قفط وكانت مجالسـة مفيدة (٢٩) للطلبة ، ، ومحمد بن ابراهيم بن حيدره بن الحاج القفطى ، وكـان مفيدا فى مسجد له بقفط بحارة تعرف بابن الحاج (٣٠) .

---

(٢٦) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٥٢

(٢٧) معالم القربة ، ص ٢٦١

وذلك عملا بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ــ انظر ابن الأخوه : المصدر نفسه والصفحة

(٢٨) الأدفوى : الطالع ، ص ٢٦٨

(٢٩) الأدفوى : الطالع ، ص ٢٦٨

(٣٠) الأدفوى : الطالع ، ص ٤٧٩

ويذكر ابن الحاج (٣١) عن المسجد أنه من أفضل مواضع التدريس ، اذ يستطيع الدارس عن طريقة معرفة السنن واخماد البدع (٣٢) ، والاطلاع على أحكام الدين ، ويساعد المسجد فى آداء هذه الوظيفة التعليمية أنه موضع مجتمع من الناس (٣٣) ، على غير مواضع التدريس الأخرى التى تقتصر على الدارسين وطلاب العلم .

على أن التدريس بالمساجد لم يقتصر على العلوم الدينية ، بل تخطاه الى غيره من العلوم كالطب (٣٤) ، هذا وقد اختار بعض الناس المساجد مكانا لاقامتهم ، واتخذوا منها موضعا لآداء بعض الأفعال التى استنكرها بعض الفقهاء المعاصرين (٣٥) .

وقد أولى الأيوبيون والمماليك مساجد الوجه القبلى بالرعاية والاهتمام ، وتدلنا المساجد الأثرية القائمة على أنه ما من مسجد فى صعيد مصر الا وطرأت عليه عدة تجديدات ، وقد وجدنا فى مساجد قوص والمنيا والفيوم كثيرا من النصوص التذكارية التى ترجع الى هذين العهدين ، وسجلت تلك النصوص الاصلاحات التى أجريت لهذه المساجد ، ولم تقتصر هذه الاصلاحات على المساجد الجامعة

---

(٣١) المدخل ، جـ ١ ، ص ٨٥

(٣٢) ابن الأخوه : معالم القرية ، ص ٢٧٣

(٣٣) ابن الحاج : المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٨٥

(٣٤) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٦٠

(٣٥) ابن الأخوة : معالم القرية ، ص ٢٦٣ .

ابن الحاج : المدخل جـ ٢ ص ٢٢٥ ـ ٢٣٥ .

من هذه الأفعال ، تناول الأطعمة ، وقص الرءوس ، وعمل بعض الصناعات أو بيع بعض السلع ، « وجميع ذلك قد ورد الشرع فى بتنزيه المساجد عنه ، وكراهية فعله » .

الموجودة فى حواضر الوجه القبلى ، بل امتدت الى مساجد الصلوات المقامة فى القرى التابعة لهذه الحواضر ، وقد ساعدت هذه الاصلاحات على قيام المساجد بوظيفتها التعليمية .

كذلك استخدمت الربط فى القاء الدروس ، فدرس محمد بن عيسى ابن جعفر التميمى القوصى (ت ٧٣٣ هـ) برباط ابن الفقيه بمدينة قوص (٣٦) .

أما المدارس فى صعيد مصر فكانت مركزا للتعليم العالى ، وقد روعى فى تصميمها الأغراض التعليمية ، وعدد المذاهب ، ومساكن الطلبة والمعيدين ، وغير ذلك من الحواصل السفلية والعلوية لأرباب الوظائف ، فضلا عن خزانة الكتب والمصاحف ، ويطالعنا الأدفوى (٣٧) عن مدارس

---

(٣٦) الأدفوى : الطالع ص ٦٠١ .

(٣٧) الطالع السعيد ص ٥٨٠ .

يذكر الأدفوى ان خزانة الكتب بالمدرسة النجيبية بمدينة قوص تشتمل على جملة كتب من بينها « كتاب عيون الأدلة وايضاح الملة » لأبى القصار أبى الحسين على الفقيه المالكى المتوفى سنة ٣٩٧هـ ، وهو كتاب يقع فى نحو ثلاثين مجلد ، كما يذكر « ورأيت المدرسة السابقية ، رأيت على السنن الكبير لأبى أحمد بن الحسين البيهقى المتوفى عام ٤٥٨هـ. وفيها معجم الطبرانى ، والبسيط للواحدى ، وفيها تاريخ الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣هـ ــ ويعنى به تاريخ بغداد أيام الحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى .

أما معجم الطبرانى المذكور فهو عبارة عن المعجم الكبير فى الحديث للامام أبى قاسم سليمان بن أحمد الطبرانى الحافظ المتوفى سنة ٣٦٠هـ .

(الأدفوى : الطالع ص ٥٨٠) .

قوص أن بها دور للاقامة والضيافة ، ومزودة بخزانة الكتب ، وبها المدرسون .

وكانت المدارس بصعيد مصر بمثابة كليات عالية تدرس بها العلوم الاسلامية التى ارتبطت بأصول الدين كالفقه ، والحديث ، والتفسير ، أو العلوم اللغوية ، كالنحو والصرف والبيان ، فضلا عن الدراسات العقلية كالفلسفة والمنطق أو العلوم العملية كعلم الفلك ، وعلم الهندسة ، والكيمياء والطب ، وقام بتدريس هذه العلوم أساتذة تولوا وظائف التدريس بها .

ومن بين المدرسين البارزين الذين تولوا وظائف التدريس فى مدارس الوجه القبلى علماء اجلاء نخص بالذكر منهم يعقوب المهيونى (ت ٦٤٩ هـ) الذى درس بمدارس منية بنى خصيب (٣٨) ، وعمر بن محمد بن أحمد الأنصارى المنعوت بالبهاء الأرمنتى الذى تولى التدريس بالمدرسة السيفية بأسوان عام ٦٦٧ هـ (٣٩) ، وعثمان بن مفلح أبو عمرو المنعوت بالنجيب (ت ٦٦٨ هـ) ، وكان من كبار المدرسين بالمدرسة المعزية باسنا(٤٠) والحسن بن محمد بن عبد العزيز الأسوانى (ت ٧٠٢ هـ) الذى درس بالمدرسة النجمية بأسوان (٤١) ، ومحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكندى الدشناوى (ت عام ٧٢٢ هـ) بالمدرسة المعزية بقوص (٤٢) ، وعمر بن محمد ابن المفضل الأسوانى

---

(٣٨) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ١٨٧ .

(٣٩) الأدفوى : الطالع ص ٤٥٥ .

(٤٠) الأدفوى : الطالع ص ٣٥٨ و ٣٥٩ .

(٤١) الأدفوى : الطالع ٢٠٩ و ٢١٠ .

(٤٢) الأدفوى : الطالع ص ٤٨٨ و ٤٨٩ و ٤٩٧ .

كان قد تولى مهمة التدريس بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة وانتقل الى قوص .

(ت عام ٧٤٠ هـ) بالمدرسة النجمية (٤٣) بأسوان ، وعبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد الدهروطى الذى درس بالمدرسة الحسامية والتقوية بمدينة الفيوم (٤٤) .

وكان تعيين المدرسين فى وظائف التدريس بالمدارس يتم بأن يحصل الطالب على اذن من كبار العلماء الذين تولوا تدريسه ، وجرت العادة أن يقوم العالم أو الفقيه بالتوقيع على الاذن ، والاذن عبارة عن شهادة أو اجازة للدارس بالسماح له بالتدريس ، فحصل محمد بن على بن الحسن القوصى عام ٦٥٠ هـ على شهادة بالتدريس موقعا عليها بشهادة الفقيهين بهاء الدين القفطى ، وجلال الدين أحمد الدشناوى وأرخ الشيخ بهاء الدين شهادته فى النصف من شعبان عام ٦٥٠ هـ (٤٥) .

واذا كان المدرس هو الذى يقوم بتدريس مادة معينة تخصص فيها فان المعيد (٤٦) كان يساعده فى اعادة ما ألقاه المدرس على الطلبة لشرح الصعب وتبسيطه ، وكان المعيد يتبع أستاذه فى المذهب ، ومادة

---

(٤٣) الأدفوى : الطالع ص ٤٥٩ .

(٤٤) السخاوى : الضوء اللامع جـ ٤ ص ٥٧ .

(٤٥) الأدفوى : الطالع ص ٥٥٤ و ٥٥٧ .

(٤٦) لا يختلف نظام الاعادة فى المدارس الاسلامية فى العصور الوسطى عن النظام المعروف فى الجامعات الحديثة ، فالمعيد أقل درجة من الأستاذ أو الشيخ ، وعليه أن يعيد للطلبة ما سبق أن قرره الفقيه ، وأن يستمع الى اسئلتهم ويجيبهم عنها ، ويقول السبكى (المعيد عليه قدر زائد على سماع من تفهيم بعض الطلبة ، ونفعهم ، وعمل ما يقتضيه لفظ الاعادة ، الا فهو والفقيه سواء) ــ انظر .
(الأدفوى : الطالع ص ٩٣) .

التخصص ، ويواظب على حضور دروسه ومن أشهر المعيدين بالوجه القبلى ، بهاء الدين القفطى ، وكان يشغل وظيفة معيد فى صحبة أستاذه عثمان بن مفلح أبو عمرو (ت عام ٦٦٨ هـ) (٤٧) ، وابراهيم بن أحمد ابن فاشى القوصى الذى شغل نفس الوظيفة بالمدرسة الأفرمية بساحل قوص(٤٨) ، وعز الدين على بن أحمد بن محمد البعلبكى (ت عام٦٧٠هـ) وكان من المعيدين بالمدرسة الغربية باسنا(٤٩) ، وعبد القوى بن على ابن زيد بن جعفر بن حسين المنعوت بنجم الدين (ت عام ٧٠٤ هـ) الذى عين فى وظيفة معيد بالمدرسة الأفرمية بأسنا(٥٠) ، وعلى بن محمد النجم الدنداری ، وكان يعيد دروس أستاذه بالمدرسة العزية بظاهر قوص(٥١) ، كما كان ملاعب بن عيسى بن ملاعب مجد الدين الأسوانى (ت عام ٧١٩هـ) معيدا بالمدرسة البانياسية بأسوان(٥٢) ، وكان — أيضا — على بن يوسف بن الخطيب القرشى الاسنائى (ت عام ٧٢٨هـ) معيدا بالمدرسة المجدية بأسنا(٥٣) ، كذلك كان عمر بن محمد ابن المفضل الأسوانى (ت عام ٧٤٠هـ) من أكبر المعيدين بالمدرسة النجمية بأسوان(٥٤) .

وقد ألحقت بكل مدرسة خزانة كتب يرجع اليها المدرسون والطلاب

---

(٤٧) الأدفوى : الطالع ص ٣٥٨ و ٣٥٩ .

(٤٨) الأدفوى : الطالع ص ٤٩ .

(٤٩) الأدفوى : الطالع ص ١٢٨ .

(٥٠) الأدفوى : الطالع ص ٣٣٢ .

(٥١) الأدفوى : الطالع ص ٤١٤ .

(٥٢) الأدفوى : الطالع ص ٦٥٩ .

(٥٣) الأدفوى : الطالع ص ٤٣٦ .

(٥٤) الأدفوى : الطالع ص ٤٥٩ .

فى البحث والاستقصـــاء(٥٥) ، ويحدثنا الأدفوى(٥٦) عن خـــزائن الكتب فى مدارس الصعيد وقال أنها ضمت أنواعا عديدة من المؤلفات فى مختلف العلوم والفنون ، من تفســير وحديث وفقه ، ولغة ، ومعــان وبيان وبديع،وأصول فقه ومنطق وغير ذلك من نحو وصرف وغيرها(٥٧)، وقام بالاشراف على خزانة الكتب بالمدرسة « خازن الكتب » الذى عهد اليه بترتيب الكتب وتنظيمها ، وحفظها بين حين وآخر ، فضـــلا عن ارشـــاد القراء الى ما يلزمهم من مراجع ، ومن أجل ذلك جرت العادة أن يختار لخزانة الكتب « المكتبة » فقيها أو عالما يراعى فيه ســعة العلم والأمانة ، وقد حـــددت حجج الوقف عنـــد السلاطين الشروط التى يجب أن يتبعها « خـــازن الكتب » منها أن يقوم الخازن بفتـــح الخزانة « المكتبة » يومين فى الاسبوع لطلبة العلم ، كذلك حـــددت الحجج شروط اعارة الكتب ، ومنهـــا انه يسمح باعارة الكتب خـــارج المدرسة لطلبتها أو لمن يوثق به ، ولا يســمح الا باعارة كتـــاب واحد ، والا تتأخر الكتب عند المستعير ، ونصت بعض الحجج كحجة السلطـــان الغورى مثلاعلى عدم السماح باعارة الكتب ، ولو دفع الطالب أضعاف ثمن الكتاب(٥٨) .

وقد انتشرت المـــدارس فى بلاد الوجـــه القبلى بحيث كان من الميسور استيعاب أعداد الطلبة بما فى ذلك الوافدين على هذه البـــلاد

---

(٥٥) كان ذلك فى جميع مدارس مصر والقاهرة ــ القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١ ص ٤٦٧ .

(٥٦) الطالع السعيد ص ٥٨٠ .

(٥٧) الأدفوى : الطالع ص ٥٨٠ ــ النويرى :نهاية الأرب جـ ٣٠ ، ورقة ٣٤١ ب .

(٥٨) أرشيف وزارة الأوقاف لقم ٨٨٣ ــ سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ١٤٦ .

من طلاب العلم ، وبلغ من كثرة الاقبال على هذه المدارس أن خصص فى قوص ستة عشر مدرسة لتدريس المذهبين المالكى والشافعى(٥٩)، وخصصت لنفس الغرض ثلاثة عشر مدرسة فى أسوان(٦٠) ومدرستان فى اسنا(٦١) ، كذلك تميزت عدة بلاد أخرى من الوجه القبلى بمدارسها كالأقصر(٦٢) ، وارمنت(٦٣) ، وقنا(٦٤) ، وهو(٦٥) ، وقمولا(٦٦) ، وسيوط(٦٧) ، وبوتيج(٦٨) وأخميم وسوهاى(٦٩) ، ومير والقوصية(٧٠) ومنية بنى خصيب(٧١) والفيوم(٧٢) .

وأصبحت المدرسة زمن المماليك مكان عبادة ودروس ، ولم تتميز المدرسة عن المسجد الا بمساكن الطلبة التى كانت تلحق عادة بالمدارس ليعيش بها الطلاب(٧٣) ، والحقيقة أنه لم تصلنا صورة كاملة عن

---

(٥٩) الأدفوى : الطالع ص ٤٤ و ٤٥ .

(٦٠) الأدفوى : المصدر نفسه والصفحة .

(٦١) الأدفوى : المصدر نفسه والصفحة .

(٦٢) الأدفوى : المصدر نفسه والصفحة .

(٦٣) الأدفوى : المصدر نفسه والصفحة .

(٦٤) الأدفوى : المصدر نفسه والصفحة .

(٦٥) الأدفوى : المصدر نفسه والصفحة .

(٦٦) الأدفوى : المصدر نفسه والصفحة .

(٦٧) ابن دقماق : الانتصار جـ ٥ ص ٢٢ و ٢٣ .

(٦٨) ابن دقماق : الانتصار جـ ٥ ص ٢٤ و ٢٥ .

(٦٩) ابن دقماق : الانتصار جـ ٥ ص ٢٥ .

(٧٠) ابن دقماق : الانتصار جـ ٥ ص ٢١ و ٢٢ .

(٧١) ابن بطوطة : الرحلة جـ ١ ص ٣٧ .

(٧٢) النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ص ٢٢ ـ ابن الجيعان : التحفة ص ١٥٢ .

(٧٣) محمد أمين : الأوقاف فى مصر صفحة ٢٧٨ .

أوصاف مدارس الصعيد — بالذات — ومبانيها وملحقاتها ، ولم تعطينا المصادر المادية أى دليل عن هذه الأوصاف ، ولم تكشف جهود علماء الآثار فى مصر ولا فى غيرها النقاب عن هذه المدارس ، فى حين تركزت جهودهم على المدارس الأثرية المقامة فى القاهرة ، ولكن الصورة العامة لمدارس الصعيد أنهـا بنيت على غرار مدارس العـاصمة ، وروعى عند بنائها الأغراض التعليمية فرأينـا من اشارات الأدفوى — كما بينا — انهـا كانت تشتمل على مواضـع للتدريس ، وخـزانة للكتب وأماكن للصـلاة ، ومساكن للطلبة •

ولم تخل الحياة العلمية فى المدارس زمن الأيوبيين والمماليك من ضروب الترويح عن النفس ، فأقيمت بالمدارس بين حين وآخر حفلات لمختلف المناسبات العلمية كختم البخارى(٧٤) — مثلا — وجرت العادة أن يقوم الداعى باحضار الأطعمـة من الحلوى والفاكهـة ، ويجلس الطلبة والشيوخ ومعهم الأعيان والقضاه حيث يمضون بعض الوقت فى أحاديث ومناقشات علمية مفيدة ، وربما صرفت المدرسة على الحفلة من أوقافها(٧٥) •

والواقـع أن الأوقـاف هى التى ثبتت أركان المدرسـة ودعمت نظامها فكان الربع الذى تغله الأعيان الموقوفة على المدرسـة شـهريا أو سنويا نقدا أو عينا هو ضمان استمرار العمل بالمدرسة ، حيث تدفع منه مرتبات الوظائف بالمدرسة والطلبـة حسب شرط الواقف ، وقـد سـاهمت الأوقاف والمداس فى تأدية رسالتهـا فى الوجه القبلى ، ومن الأعيان الذين أوقفوا أملاكهم على المدارس محمد بن بشائر القوصى

---

(٧٤) المقريزى : السلوك جـ ٤ ص ٨٥٥ — ٨٦٠ •
سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١٤٧ •
(٧٥) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ١٤٧ •

(ت عام ٦٩٢هـ)،وقد أوقف من أملاكه على دار الحديث بقوص(٧٦)، ومحمد بن ابراهيم بن محمد (ت ٦٩٥هـ) وقد أوقف كتبه على احدى مدارس قوص بجانب أوقافه على حوض سبيل انشأه بظاهر قوص(٧٧)، كما أوقف أحمد بن على بن هبة الله السديد الأسنائى (ت عام ٧٠٤هـ) أملاكا على مدرسة أقامها بقوص بجانب أملاكه على الفقراء(٧٨)،كما أوقف — أيضا — هبة الله بن على بن السديد الأسنائى (ت عام٧٠٩هـ) بساتينه على مدرسة أنشأها بأسنا(٧٩) ، وهناك مدارس فى الوجه القبلى أوقف عليها الأراضى والأملاك من قبل السلاطين،فكانت أراضى الروبية مساحتها ٧٥٠ فدان وعبرتها ١٧٠٠ دينار من وقف السلاطين على عهد ابن الجيعان(٨٠) (ت ٨٨٥هـ) ، وأوقفت ناحيتى الغابة والطائف على مدارس الفيوم — أيضا — على عهد ابن الجيعان .

وكفلت الأوقاف لطلاب العلم حياة هادئة طيبة ، ورواتب شهرية ومخصصات سنوية فى المواسم والأعياد ، وحددت معظم الأوقاف لطلبتها النظاميين مقررات مختلفة من الخبز وغيرها (٨١) ، كما كفلت لمدرسى وشيوخ المدارس ما هو مقر لهم من مرتبات نقدية فى شروط الواقف فضلا عن الأصناف العينية التى تصرف لهم يوميا (٨٢) .

---

(٧٦) الأدفوى : الطالع ص ٥٠٤ .

(٧٧) الأدفوى : الطالع ص ٤٧٧ و ٤٧٨ .

(٧٨) الأدفوى : الطالع ص ١٠٢ و ١٠٣ .

(٧٩) الأدفوى : الطالع ص ٦٩٩ .

(٨٠) ابن الجيعان : التحفة السنية ص ١٥٢ .

(٨١) النويرى : نهاية الأرب جـ ٣٠ ص ٤٤٩ .

محمد أمين : المصدر نفسه ص ٢٤٢ .

(٨٢) ابن الحاج : المدخل جـ ٢ ص ١٢٨ .

وقصـــارى القول أن دور العلم والتعليم فى بلاد الوجه القبلى قد ساهمت مساهمة فعالة فى خلق جيل من العلماء ، وكان للأوقـــاف أكبر الأثر فى تمكين هذه الدور من القيام برسالتها التعليمية واستمرارها •

وظهرت الحاجة فى بلاد الوجه القبلى الى الاستفادة من العلوم التى توصل اليها الناس ، فقسم العلماء المسلمون العلوم الى نقلية(٨٣) تتصل بالقرآن الكريم وتشمل علوم التفسير والقراءات ، وعلم الحديث والفقه ، وعلوم اللغة العربية كالنحو والصرف والبيان والشعر ، والنوع الثانى العلوم العقلية وتشمل الفلسفة والطب وعلوم النجوم والكيمياء والتاريخ والجغرافيا والموسيقى ، ويطلق عليها — أحيانا — العلوم الحكمية أو علوم العجم أو العلوم القديمة (٨٤) •

---

(٨٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠٠ — ٤٠١ •

(٨٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠٠ — ٤٠١ •

العلوم الدينية والأدبية :

يأتي على رأس هذه العلوم علم القراءات ، وهو القرآن العظيم على نسق القراءات السبع ، فقد دراج طلاب هذا العلم فى صعيد مصر على دراسـة القراءات على المقرئين القدامى ، ويركزون فى ذلك عـلى سماع الحروف ، وطريقة النطق بها ، وما تستوجبه من اظهار واضغام ، ووقفات وغير ذلك (١) ، وخصص لذلك اساتذة (٢) ، كما عكف الراغبون فى القراءات على كتب المتخصصين فى القراءة ، منها « كتاب السبعة » لابن مجاهد ، ومنها ما يتعلق بقراءة نافع ، ورواية بن سعيد ورش واذا أكمل الدارس دروسه فى علم القراءة يجيزه استاذه بالقراءة (٣) .

واشتهر فى الوجه القبلى من علماء القراءات ، محمد بن على بن محمد أبو بكر الأدفوى ، وكان قد أخذ القراءة عرضا عن أبى غانم بن أحمد بن حمدان — وعليه اعتماده — (ت ٣٣٣ هـ) ، وسمع الحروف من أحمد بن ابراهيم بن جامع ، وتتلمذ على السـعيد بن السـكن فى قراءة « كتاب السبعة » لابن مجاهد ، وانفرد بالامـامة فى عصره فى قراءة نـافع ، ويذكر عنـه ابن القفطى (له تصـانيف فى التفسـير والقراءة) (٤) ، وعثمـان بن محاسـن ابن يحيى المنعوت « بالفقيه المقرىء » ، وكان متصدرا لاقراء القراءات بجامع قوص ، وتتلمذ على يديه فى هذا العلم جماعة ، منهم محمد بن على بن عبد الظاهر ، وأجازه بالقراءات سنة ٦٤١هـ(٥) ، وأبى الفتـح عثمان القوصى المقرىء الذى

---

(١) الأدفوى : الطالع ص ٦٠ وما بعدها .

(٢) كان من هؤلاء الأساتذة — زمن الأدفوى — أحمـد بن ابراهيم ابن جامع .

(٣) الأدفوى : الطالع ص ٣٥٧ .

(٤) ابن القفطى : أنباء الرواة جـ ٣ ص ١٨٦ .

(٥) الأدفوى : الطالع ص ٣٥٧ .

تولى تدريس القراءات بقوص ، وأجاز لكثير ممن تتلمذوا على يديه سنة ٦٥٠هـ ، ومحمد أبى الحسن بن محمد بن عبد الظاهر ، وبدأ هذا الأخير دراساته بدراســة القرآن الكريم ، فأحكم القراءات السبعة ، ثم أقبل على قراءة علم الرقــائق (بصوت شــج وقلب صــادق) (٦) ، ومنهم — أيضا — عبد السلام بن عبد الرحمن بن رضوان القوصى المقرىء ، وكان من القراء المتقنين ، وقد تصدر للاقراء بمدينة قوص وتوفى بهــا سنة ٦٨٥ هـ (٧) ، وأحمد بن أحمد ابن صادق القوصى (ت عام ٧٠٨ هـ) ويذكر الأدفوى (٨) انه كان كثير التلاوة .

ومن علماء الوجه القبلى فى علم القراءات — أيضــا — محمد بن أحمد بن صــالح بن مخلوف الخزرجى القوصى الفيومى (ت ســنة ٧١١ هـ) وكان الى جانب علمه بالقراءات ملما بالعلوم الأخرى (٩) ، ومنهم يوسف بن اسماعيل بن ســعد الملك بن تحرير الاسنــائى (ت بأســوان ســنة ٧١٤هـ) ، وكان من رواد علم التلاوة بأسوان ، وبلغ من كثرة بلوغه أن أطلق عليه « قارىء المصحف » بأسوان وقيل فيه انه كان قارئا يقرأ قراءة حسنة صحيحة ، وله صوت شج (١٠) ، ومنهم اسماعيل بن أحمد بن اسماعيل القوصى (ت سنة ٧١٥ هـ) وكان من علماء قوص ، وسافر الى القاهرة حيث تصدر للاقراء بجامع أحمد بن طولون(١١) ، وكان محمد بن عثمان المنعوت بشرف الدين الدندرى (ت

---

(٦) الأدفوى : الطالع ص ٥٥٦ و ٥٥٧ .

(٧) الأدفوى : الطالع ص ٣٢٠ .

(٨) الطالع السعيد ص ١٢٩ .

(٩) الأدفوى : الطالع ص ٤٧٨ .

(١٠) الأدفوى : الطالع ص ٧١٩ .

(١١) الأدفوى : الطالع ص ١٥٦ و ١٥٧ .

بقنا سنة ٧١٨ هـ) من القراء الفقهاء ، وقد استوطن قنا ، ودرس بها علم (١٢) القراءة كما كان صدر الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الدندرى (ت بقوص سنة ٧٣٢ هـ) من علماء القراءات ، وقد تصدر للاقراء بقوص ومات بها (١٣) ، ويذكر المقريزى (١٤) انه كان من شيوخ القراءات ، وفضلاء الفقهاء بقوص ، وعلى بن عبد الله ابن عبد القادر نور الدين البحيرى الديروطى ، وكان مولده بالبحيرة سنة ٨٠٠ هـ وانتقل فى صحبة أبيه الى ديروط من الصعيد الأوسط ، وعكف على دراسة القراءات ، ونبغ فيها(١٥) ، فتلا السبع « افرادا وجمعا » على البرهان الكركى ، وتنقل بين أرجاء صعيد مصر ، ثم سافر الى مكة واستوطنها منذ عام ٨٤٠ هـ ، فتلا القراءات « بالعشر افرادا وجمعا » ، وجاور المدينة المنورة فترة من الزمن ، وعاد الى مكة حيث تصدر للاقراء حتى توفى عام ٨٧٢ هـ (١٦) .

ومما يجدر ذكره أن الذين تولوا مهمة الاقراء قد احتلوا مكانة رفيعة فى صعيد مصر ، وليس أدل على ذلك من أن اسم المقرىء كان يذكر على اللوحات التذكارية المعلقة بالمساجد ، ومن ذلك لوح تذكارى بمسجد قوص العتيق قد نقش عليه اسم المقرىء الشيخ الصالح جمال الدين محمد الناجى المتوفى فى ١٩ رمضان سنة ٧١٧هـ كما هو مبين باللوحة التذكارية(١٧) .

---

(١٢) الأدفوى : الطالع ص ٥٥٠ .

(١٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ٢٩٦ .

(١٤) السلوك جـ ٢/٢ ص ٣٥٤ .

(١٥) السخاوى : الضوء جـ ٥ ص ٢٤٨ .

(١٦) السخاوى : المصدر نفسه والصفحة .

(١٧) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة وأثارها الباقية ص ٣٥ ، انظر .

ويرتبط بالعلوم القرآنية علم التفسـير ، ويبحث هـذا العلم فى استنباط الأحكام الشرعية ، ومعرفة الدلالات القرآنية ، وكان النبى — صلى الله عليه وسلم — يتلقى التنزيل ، ويتولى بنفسه تبيينة لأصـحابه من المسلمين ، واحتفظ الصحابة بما علموه من الرسول ، وروى التابعون عن الصحابة هذا العلم طبقة عن طبقة ، وظل الأمر على ذلك حتى دونت الكتب ، فدون ما علمه الصحابة والتابعون من التفسـير ، ولم يكن هذا التفسير المدون فى ذلك الوقت سوى مجموعة الأحكام الشرعية ، والناسخ والمنسوخ حينا ، وأسباب النزول حينـا آخر ، وذلك من خلال مجموعة أحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — •

ودخل علم التفسـير فى دور التكوين — بمعنى جمعـه وتدوينه فى كتاب ما — وكان أول من عنى بالتفسـير هو الامام مالك بن أنس ، وكان المصدر الرئيسى للتفسير عند الامام مالك والمعاصرين له هو « الرسول » والصـحابة (١٨) ، ولم يلبث المفسرون أن خطـوا خطوات واسـعة ، فأخذوا يستعينون فى تدوين التفسير بمصـادر أخرى ، وأهمها قصـص اليهود ، وقد أوضـح « ابن خلدون »(١٩) أن العرب الأميين كانوا فى حاجة الى أن يعرفوا شيئا عن بدء الخليفة ، وأسرار الوجوه ، وشيئا عن الأحداث فى التاريخ ، فاتجهوا الى أهل الكتاب يسألونهم عن هذه الأمور وكان التفسير فى ذلك الوقت نقليا ، غير أن الظروف السـياسية والدينية والاجتماعية أدت الى أن يتوسع العلماء فى تفاسـيرهم بحيث صـارت التفاسـير تعتمد على العقل والاجتهـاد بعد أن كانت نقلية أو روائية ، وأصبح التفسير كغيره من العلوم مرآة تظهر فيها صـورة العصر الذى

---

(١٨) أمين الخولى : دائرة المعـارف الاسـلامية ، المجلد الخامس ، مادة تفسير •

(١٩) المقدمة ص ٤٠٤ وما بعدها •

يكتب فيه(٢٠) ، ومن بين المفسرين الذين يمثلون هــذا المنهج محمد بن أحمد بن على بن محمــد أبو بكر الأدفوى المفسر (ت ٣٨٨هـ) وقد صنف كتابا فى علم التفســير ســماه « الاســتغنا فى علم القرآن » ويقع فى مائة وعشرين مجلدا ، وأقام على تصــنيفه اثنى عشر عاما(٢١) ، ويذكر الأدفوى(٢٢) أنه رأى من مجلداته عشرين مجلدا ، ويبدو أنه قد صنف عدة كتب فى التفسير ، ودليلنا فى ذلك قول ابن القفطى(٢٣) « وله عدة تفاسير » ويأتى بعد الأدفون الامام أبو الحسن على بن أحمد الواحدى (ت ٤٦٨هـ) ، وقد كتب تفســيرا سماه « البســيط فى التفسير »(٢٤) ، اعتمد فيه على العقل والاجتهاد ، غير أن هذه التفاسير كان كل منها تحمل طابع صاحبه — فالنحوى — كالأدفوى فى كتابه « الاســتغنا » ليس له هم الا الاعراب ، الفقيه كالقرطبى فى « جامع أحكام القرآن »(٢٥) — يكاد يغلب على تفسيره الأحكام الفقهية ، الا أن أصحاب التفاســير — بمرور الوقت — بلغوا آفاقا بعيدة حتى صارت التفاسير لوحة ترتســم عليها الحياة الاسلامية بجميع ألوانها ، وكتبــا يكتب فيها كل جيل من الأجيــال الاســلامية المتلاحقــة صــفحة مخالفة لصــفات الأجيــال السابقة ، واستمر الحال على ذلك الى اليوم(٢٦) ، ولم يغفل المفسرون القواعد المتبعة فى كتابة التفاسير ، وفى مقدمتها الأخذ والنقل عن النبى —

---

(٢٠) عبد اللطيف : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى ص ١٨٦ .

(٢١) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٣٠٦ .

(٢٢) الطالع السعيد ص ٥٠٢ .

(٢٣) أنباء الرواة على أنباء النحاة ج ٢ ص ١٨٦ .

(٢٤) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ١٩٧ .

(٢٥) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٣١٤ .

(٢٦) عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى ص ١٨٨ و ١٨٩ .

صلى الله عليه وسلم – وثانيها الأخذ بقول الصحابة ، ثم الأخذ بمطلق اللغة مع عدم الاجتهاد من غير أصل ، وأن يكون المفسر جامعا للعلوم التى تعينه على التفسير ، وهى خمسة عشر علما(٢٧) .

وكانت حركة التفسير فى مصر تتصل اتصالا شديدا بعلوم النحو ، ويرى بعض الباحثين أن طلائع المفسرين فى مصر كانوا من النحويين ، والواقع أن علم التفسير منذ أن دخل فى دور التدوين لم يكن له غنى عن النحو من جهة والقراءات من جهة ثانية ، وقد لاحظ بعض الباحثين أن المفسرين المصرين تحرجوا فى كتابة التفاسير ولجأوا الى اباحة القول فيها ، ولعل ذلك هو السبب فى قلة عدد المفسرين من المصريين(٢٨) ، ومما يجدر ملاحظته أن السيوطى ترجم فى كتابه « طبقات المفسرين » لمائة وثلاثة وثلاثين من أولئك المفسرين لم يكد المصريون منهم يبلغون عشرة ، وقد تخرج بعضهم من المدرسة الدينية بالوجه القبلى .

وكانت المدرسة الدينية فى الوجه القبلى تهتم بدراسة تفاسير قدامى الأئمة ، وخرج من أبناء هذه المدرسة علماء نبغوا فى علم التفسير وصنفوا الكتب حتى ذاع صيتهم – بالذات – فى العصرين الأيوبى والملوكى ، ومن هؤلاء محمد بن ابراهيم بن محمد بن على بن رفاعة كمال الدين أبو الفتوح القوصى (ت ٥٩٦هـ) وكان مولده بقوص سنة ٥٤٠هـ ، وعاش بها يعكف على دراسة التفسير الى جانب الفروع العلمية الأخرى(٢٩) ، ومحمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج الأنصارى أبو عبدالله

---

(٢٧) وهى اللغة ، والنحو ، والصرف ، والاشتقاق ، والمعانى ، والبيان ، والبديع ، والقراءات ، والأصول . وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، والحديث ، والفقه والموهبة التى يورثها الله لمن عمل بماعلم

(عبد اللطيف حمزة ،المصدر نفسه ص ١٩٠) .

(٢٨) حمزة : المصدر نفسه ص ١٩٠ .

(٢٩) الداوودى : طبقات المفسرين ، جـ ٢ ص ٤٨ .

القرطبى ، وقد عاش بمنية بنى خصيب من الصعيد الأوسط الى أن توفى فى شوال سنة ٦٧١هـ(٣٠) ، ويذكر عنه أنه كان « مستقرأ » بمنية بنى خصيب ، فقصده العباد من سائر البلاد وتتلمذ على يديه كثيرون من أبناء الوجه القبلى ، ومن أشهر تصانيفه فى علم التفسير كتاب « جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآى القرآن » ويقع فى خمسة عشر مجلدا ، وجمع فيه أحكام القرآن ، ويعده الداوودى (٣١) من أجل التفاسير وأعظمها نفعا ، وأخذ هذا التفسير الكثير من عناية العلماء فى العصور اللاحقة ، فأقبلوا عليه بالدراسة ، ومما يذكر أن السراج الدين عمر بن على بن الملقن الشافعى (ت ٨٠٤هـ) قد اختصر هذا التفسير وأودعه فى كتاب(٣٢) ، ومن كتب التفاسير التى ظهرت فى بلاد الوجه القبلى كتاب « اعجاز البيان فى تفسير أم القرآن » الذى ألفه صدر الدين أبى المعالى محمد بن اسحاق القونوى المتوفى سنة ٦٧٣هـ(٣٣) ، وسار فيه على نهج أهل التصوف(٣٤) ومن كتب التفاسير « تفسير القفطى » المعروف « بتفسير ابن سيد الكل »(٣٥) ، وهو من التفاسير المتداولة فى بلاد الصعيد ، وكان مؤلفه أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل الشافعى المتوفى سنة ٦٩٧هـ قد أقام على تأليفه فترة من الزمن ولم يكمله(٣٦) وعن اجتهادات علماء التفسير فى بلاد

---

(٣٠) الداوودى : طبقات المفسرين ج ٢ ص ٤٨ .

(٣١) طبقات المفسرين ج ٢ ص ٦٥ و ٦٦ .

(٣٢) حاجى خليفة : كشف الظنون ، ج ١ ص ٣٧٥ .

(٣٣) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ١ ص ٣٥٧ .

(٣٤) حاجى خليفة : المصدر نفسه والصفحة .

(٣٥) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ١ ص ٣٠٤ و ٣١٤ .

(٣٦) توقف فى التفسير الى سورة مريم ، انظر .
حاجى خليفة : المصدر السابق والصفحة .

الوجه القبلى ـ نذكر محمد بن ادريس بن محمد القمولى المنعوت بالنجم (ت ٧٠٩هـ)(٣٧) ، وقد ألم فى دراساته بكتب التفاسير ، ومن أشهرها كتاب الوجيز(٣٨) «وكتاب البسيط»(٣٩) وأحمد بن محمد بن مكى القمولى (ت ٧٢٧هـ) ، وقد أكمل تفسير الامام فخر الدين(٤٠) وأوضعه فى كتاب(٤١) ، ومن أكبر علماء المتفسير فى القرن التاسع الهجرى جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت ٩١١هـ) ، وقد أكمل تفسير الجلالين الذى وضعه محمد بن أحمد المحلى الشافعى (ت ٨٦٤هـ)(٤٢) ، ويصف حاجى خليفة(٤٣) هذا المصنف بأنه لب لباب التفاسير ، ورغم صغر حجمه كان كثير المعنى ، وأنه كتب بتعبير وجيز ، وقد كتب السيوطى مجلدات فى علم التفسير سماها « الدر المنثور فى التفسير بالمأثور » ، ويأتى هذا التفسير فى اطار رغبة الدارسين فى الاقتصار على متون الأحاديث ، ويذكر السيوطى(٤٤) انه « لما ألف

---

(٣٧) الأدفوى : الطالع ص ٦٩٤ ٠

(٣٨) هو الوجيز فى التفسير للامام أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى المتوفى بنيسابور عام ٤٦٨ هـ ٠ حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ٢ ص ٦٢٩ ٠

(٣٩) هو البسيط فى التفسير للامام أبى الحسن على ابن أحمد الواحدى (ت ٤٦٨هـ) ـ حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ١ ص ١٩٧ ٠

(٤٠) هو الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازى الشافعى (ت ٦٠٦هـ) ٠

حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٣١٠ ٠

(٤١) الداوودى : طبقات المفسرين ج ١ ص ٨٧ و ٨٨ ٠

(٤٢) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ١ ص ٣٠٨ ٠

(٤٣) المصدر السابق والصفحة ٠

(٤٤) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٤٨٠ ٠

ترجمان القرآن — وهو التفسير المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — وثم فى مجلدات رأى قصــور أكثر الهمم عن تحصـــيله ورغبتهم فى الاقتصار على متون الأحاديث ، فلخص منه هــذا التأليف (وكان هــذا المؤلف من التفاسير متداولا فى مصر وصعيدها(٤٥)، كذلك ألف السيوطى كتابا فى أسرار التنزيل ، وخص مناسبات السور وأسباب نزولها وأودعها فى كتاب سماه « تناسق الدرر فى تناسب السور »(٤٦) ، وكما ألف رسالة سماها « التنبيه بمن يبعثه الله سبحانه وتعالى على رأس كل مائة »(٤٧)، وألف — أيضا — « قطف الأزهار فى كشف الأسرار » وهو تفسير أودعه السيوطى فى أسرار التنزيل حتى سورة التوبة(٤٨) .

يأتى الحديث فى الأهمية بعد القرآن الكريم كمصدر من مصـــادر التشريع الاســـلامى ، والحديث هو ما أثر عن رســـول الله — صلى الله عليه وسلم — من قول أو فعل أو حكم أصدره فى موضوع عرض عليه ، وكان جمع الحديث عاملا هاما عند المشـــتغلين بالفقه(٤٩) ، ومن أهم فروع علم الحديث النظر فى الأسانيد(٥٠) ، « ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بالوقوف على المسند الكامل ومعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط ، ويثبت ذلك بالفعل عن أعلام الدين بعد تعديلهم وبرائتهم من الجرح والغفلة ، فيكون ذلك دليلا على القبول والترك »(٥١) .

---

(٤٥) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ١ ص ٤٨٠ .

(٤٦) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ١ ص ٣٣١ .

(٤٧) حاجى خليفة : المصدر نفسه والصفحة .

(٤٨) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٣٩ .

(٤٩) عصام الدين عبد الرءوف : الخواضر الاسلامية ص ٢٥٨و٢٥٩

(٥٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠٥ .

(٥١) عصام الدين عبد الرءوف : المصدر السابق ، انظر ص ٢٥٩

وكانت مصر منذ الفتح العربى مهبط الكثيرين من رواة الحديث من الصحابة ، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص على رأس رواة الحديث فى مصر(٥٢) ، واشتهر من كبار المحدثين فى القرن الثانى الهجرى محمد ابن ادريس الشافعى(٥٣) ، وظهر فى القرن الثالث الهجرى أبو جعفر ابن محمد بن سلامة الأزدى الطحاوى (ت ٣٢١هـ) ، وكان مجتهدا فى الحديث ، وصنف عدة كتب(٥٤)،وتوالى ظهور الحفاظ من رجال الحديث بعد الطحاوى حتى ظفرت مصر منذ القرن السادس الهجرى بعدد ضخم من رجال الحديث ، على رأسهم أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ السلفى (ت ٥٧٦هـ) ، وكان أوحد زمانه فى علم الحديث ، وأعلمهم بقوانين الرواية ، وكان يذهب لسماعه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأولاده(٥٥) .

وتكشف المصادر العربية عن تطور علم الحديث نحو التقدم والارتقاء فى عصر الأيوبيين والمماليك ، ففى صعيد مصر أهتم الدارسون بسماع أجزاء من الكتب التى ألفها مشاهير العلماء « كالثقفيات » ، وهى طائفة من أجزاء الحديث للحافظ أبى عبد الله القاسم بن الفضل الثقفى الأصفهانى (ت عام ٤٨٩هـ)(٥٦) .

وكان العلماء فى الوجه القبلى يعدون حلقات الدرس ، فيلقون الحديث على السماع والحفاظ ، ويتولون شرحه ، وكان من نتيجة ذلك أن تخرج فى الوجه القبلى مجموعة من حفاظ الحديث ، وخصص لهؤلاء

---

(٥٢) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٣٢ .

(٥٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٤٦ .

(٥٤) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٨ و ٢٩ .

(٥٥) عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر ، انظر ص١٧٧

(٥٦) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٣٥٥ .

الحفاظ سجلات دونت فيها أسـماؤهم ، وعرفت هذه السجلات زمن الأدفوى ـ « بطبقة السماع » ، ويتولى كتابة هذه الأسماء كبار مشاهير العلماء بالأقليم(٥٧) ٠

وظهر من أبناء الوجه القبلى جماعة من حفاظ الحـديث نذكر منهم الحسن بن محمد بن صارم بن مخلوف الأنصـارى (ت سنة ٦١٠هـ) ، وقد سمع الحديث بمدينة قوص من جعفر(٥٨) الهمـدانى ، وعيسى بن محمد بن حسان الأنصارى الأسوانى (ت عام ٦٤٤هـ) وقد حـدث عن أبى عبد الله بن أبى الوفا(٥٩) ، كما كان ابنه يوسف بن عيسى الأسوانى (ت عام ٦٤٩هـ)(٦٠) من حفاظ الحـديث ، وعلى بن حسـن بن محمد القفطى وقد سمع الحديث بمدينة قوص عام ٦٤٥هـ ، من الشيخ بهاء الدين ابن بنت الجميزى ، ويذكر عنه الأدفوى(٦١) (رأيت سـماعه فى طبقة السماع بخط الشيخ تقى الدين القشيرى ابن دقيق العيد) ٠

وظهرت المصنفات فى الوجه القبلى ، وتتضمن تقسـيم الأحاديث وتبويبها حسب الموضوعات من عبادات ومعاملات،وأخلاق وغير ذلك(٦٢) ومن ذلك نذكر مصنف « جامع الأصـول » ، وهو عبارة عن رسـالة فى الحديث ، عالج فيها صدر الدين محمد ابن اسحاق القونوى (ت سـنة ٦٧١هـ) المسائل الفقهية(٦٣) ، وكتاب « الالمـام فى الحديث ، وشرحه »

---

(٥٧) الأدفوى : الطالع ص ٣٨٣ ٠
(٥٨) الأدفوى : الطالع ص ٢٠٩ ٠
(٥٩) الأدفوى : الطالع ص ٤٦١ ٠
(٦٠) الأدفوى : الطالع ص ٧٢٥ ٠
(٦١) الطالع السعيد ص ٣٨٣ ٠
(٦٢) يختلف المصنف عن المسند ، فالأول يبوب حسب الموضوعات والثانى يبوب حسب الرجال (عصـام الدين عبـد الرءوف : الحواضر الاسلامية ص ٢٥٩ ٠
(٦٣) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٣٦٠ ٠

الذى صنفه ابن دقيق العيد القوصى(٦٤) (ت عام ٧٠٢هـ) وكان يحوى على كثير من الاستنباطات ، وجمع فيه ابن دقيق العيد متون الأحاديث المتعلقة بالأحكام مجردة عن الأسانيد(٦٥) ، وقيل انه لم يؤلف فى هذا النوع « أعظم » منه لما فيه من الاستنباطات والفوائد (٦٦) ، وقد تصدى فيه لكثير من القضايا العقلية والأدبية والجوانب التاريخية،فى ذلك يذكر الأدفوى (٦٧) (واشـــتمل على الفوائـــد النقلية ، والقواعد العقلية ، والأنواع الأدبية ، النكت الأخلاقية والمباحث المنطقية،واللطائف البيانية، اللمح التاريخية والاشارات الصوفية) ويذكر بعض الكتاب انه لم يظهر من هذا المصنف بعد وفاة صاحبه الا القليل وان بعض الحسدة أقدم على احراقه لأنه كتاب جليل القدر (ولو بقى لأغنى الناس عن تطلب كثير من العلوم) (٦٨) ، على اننا نستنتج من اشارات حـــاجى خليفه (٦٩) أن نســخة من هــذا المؤلف وقعت فى أيدى العلماء ، وتواوها بالاهتمـــام والدراسة ، فعلى سبيل المثال العالم شمس الدين محمد بن أحمد الشهير بابن قدامة المقدسى الحنبلى (ت ٧٤٤هـ) الذى وضــع تلخيصا لكتاب « الالمام » وسماه « المحرر » ، وعلى هذا الملخص قدم القاضى جمـــال الدين يوسف بن حسن الحموى (ت ٨٠٩ هـ) شرحا مستفيضا (٧٠) ، كذلك قدم قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منـــير الحلبى (ت

---

(٦٤) هو تقى الدين أبو الفتوح محمد بن الشـــيخ مجد الدين على ابن وهب بن مطيع القشيرى القوصى .

(٦٥) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ١٤٥ .

(٦٦) حاجى خليفة : المصدر نفسه والصفحة .

(٦٧) الطالع ص ٥٧٠ و ٥٩٩ .

(٦٨) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ١٤٥ .

(٦٩) المصدر نفسه ج ١ ص ١٤٥ .

(٧٠) حاجى خليفة : المصدر نفسه والصفحة .

٨٣٥ هـ) تلخيصا لكتاب الالمـام سمـاه « الاهتمـام بتلخيص كتـاب الالمام » (٧١) كما ألف شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقى (ت ٨٤٢هـ) كتابا فى شرح الالمام(٧٢) ، كذلك الف ابن دقيق العيد القوصى مصنفا آخر فى علم الحديث سماه « الاختراع فى معرفة الاضطلاع »(٧٣) ولا ننسى جهود هذا العالم فى تدريس علم الحديث فى الوجه القبلى ، فقد تتلمذ عليه كثير من الدارسين ، نذكر منهم على بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن ابراهيم بن حمزة بن الشـهاب الاسنائى(٧٤) والحسـن بن هبة الله بن حاتم الأرمنتى (ت عام ٧٢٣ هـ) (٧٥) ، والحافظ فتح الدين بن سيد الناس ، والقاضى علم الدين الاسنائى (٧٦) ، ومن المؤلفـات التى ذاعت وانتشرت فى بلاد الوجه القبلى ذلك المختصر فى علم الحديث الذى وضعه شمس الدين محمد بن يوسف القونوى الحنفى (ت عـام ٧٨٨ هـ) ، وهو مختصر لشرح صحيح مسلم (٧٧) الذى قدمه الامـام الحـافظ ابن زكريـا يحيى بن شرف النووى (ت عـام ٦٧٦ هـ) ، فى مجلدين (٧٨) ، ولا نغفل اجتهادات جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت عام ٩١١ هـ) فى علم الحديث ، فقد كتب مؤلفا سماه

---

(٧١) حاجى خليفة : المصدر نفسه والصفحة .

(٧٢) حاجى خليفة : المصدر نفسه والصفحة .

(٧٣) الأدفوى : الطالع ص ٥٧٠/٥٩٩ ، انظر .

(٧٤) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٦ ص ٢٤٢ .

(٧٥) الأدفوى : الطالع ، ص ٢١٥ .

(٧٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٠٩ .

(٧٧) وهو كتاب « المنهاج فى شرح مسلم بن الحجاج . حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ١ ص ٣٧٤ .

(٧٨) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ١ ص ٣٧٤ .

« الجامع الصغير فى حديث البشير النذير » ، ويقع هذا المؤلف فى مجلد واحد ، واقتصر فيه السيوطى على الأحاديث الوجيزة ، ونـاقش فيه الأحاديث الضعيفة والمدخولة (٧٩) ، استخدم السيوطى فى هـذا المؤلف الرموز تعبيرا عن أصحاب الأسانيد ، كاستخدامه لحرف (خ) للبخارى وحرف (م) لمسلم ، وحرف (ت) للترمزى ، وحرف (ن) للنسائى ، وذيل هذا الكتاب بمجلد آخر سماه « زيادة الجامع الصـغير رموزه كرموزه وترتيبه كترتيبه ، وحجمه كحجمه » (٨٠) ، وكان كتاب « الجامع الصغير» متداولا بين الناس ، وعكف على دراسة الكثيرون وقدم له شرحا شمس الدين محمد بن العلقمى تلميذ السيوطى (ت ٩٢٩ هـ) ، وسماه الكوكب المنير ، وهو شرح بالقول فى مجلدين ، لكنه (ترك أحاديث بلا شرح لكونها غير محتاجة اليه)(٨١) ، ومن مؤلفات السيوطى فى علم الحديث « جزء السلام من سيد الأنام عليه أفضـل الصـلاة والسـلام » المسـمى «بالعشاريات» جمع فيها السيوطى ثلاثة وعشرين حديثا(٨٢) ، كما كتب « حصول الرفق بأصول الرزق » وهى رسالة استوعب فيها الأحاديث الواردة فى الأفعال الجالبة (٨٣) للرزق ليلا ونهارا ، و « حصول النوال فى أحاديث السؤال » (٨٤) و « رفع الحذر عن قطع السدر » ، وقد ذكره السيوطى فى فهرس مؤلفاته فى فن الحديث (٨٥) .

---

(٧٩) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ١ ص ٣٧٦ .

(٨٠) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ١ ص ٣٧٦ .

وقد فرغ السيوطى من تأليف كتابه الجامع فى سنة ٩٠٧ (انظر : حاجى خليفة : المصدر نفسه والصفحة) .

(٨١) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ١ ص ٣٧٦ .

(٨٢) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ١ ص ٣٩٣ .

(٨٣) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ١ ص ٤٤٠ .

(٨٤) حاجى خليفة : المصدر نفسه والصفحة .

(٨٥) حاجى خليفة : المصدر نفسه ، جـ ١ ص ٥٧٥ .

أما الفقه فقد اشتدت الحاجة اليه فى العصور الاسلامية لأنه ينظم المعاملات ، ويضع التشريعات التى تنظم حياة الأفراد ، ويوضح التعاليم التى يجب أن يتبعها الناس فى شؤون دينهم(٨٦)،وقد تطورت الدراسات الفقهية على مر العصور ، ففى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اعتمد الصحابة على كتاب الله والسنة ، واتبع الخلفاء الراشدون الرسول فيما عرفوا منأقواله وأفعاله ، فان لميعرفوا له قولا أو فعلا فى أمر من الأمور اجتهدوا فيه برأيهم ، ظهر حينئذ ما يسمى « بالاجماع » ، ومن ثم كان « الاجماع » أصلا ثالثا من أصول الفقه بعد كتاب الله وسنة نبيه ، ولما كثرت المسائل التى تحتاج الى الفتيا بعد عهد الراشدين ظهرت الحاجة الى الفقهاء ، فكثروا يوما فيوما ، وأفتوا فى مسائل الدنيا والدين ، وظهر حينئذ ما يسمى « بارأى » هو الأصل الرابع من أصول الفقه الاسلامى ، ودخل الفقه فى القرنين الثانى والثالث الهجريين فى دور جديد ، وهو الدور الذى اقترن بظهور الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المعروفة « أبو حنيفة » ، « ومالك » ، و « الشافعى » ، « وابن حنبل » ، وكان الفقه فى هذا العصر قائما على الاجتهاد المطلق (٨٧) •

واذا تتبعنا الحركة الفقهية فى مصر وجدنا أن المذاهب الأربعة ظهرت بها فى عصر الولاه(٨٨)،والأمر الجدير بالاعتبار أنه يرجع الفضل فى نشر هذه المذاهب الى أعلام الصعيد ، وعلى سبيل المثال ، أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى الذى كان من أبرز فقهاء الشافعية فى القرن

---

(٨٦) عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية ص ٢٥٢انظر

(٨٧) عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى ص ١٩٤ ـ ١٩٦ •

(٨٨) ابراهيم أحمد العدوى : مصر الاسلامية ، مقوماتها العربية ورسالتها الحضارية ص ٢٣٩ •

الثالث الهجرى(٨٩) ولجهـوده أكبر الأثر فى نشر المـذهب الشـافعى فى بلاد الصعيد الأوسط ، كذلك كان أبى جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ابن عبد الملك الأزرى الطحاوى الأثر الأكبر فى الترويج ونشر المذهب الحنفى فى بلاد الصعيد فى القرن الرابع الهجرى (٩٠) ، غير أن مصر لم تلبث أن تعرضت فى العصر الفاطمى للمذهب الشيعى ، وزال هـذا المذهب بزوال الدولة الفاطمية ، وعادت مصر وصعيدها الى مذهب أهل السنة ، واهتمت المدرسة الدينية فى صعيد مصر وسائر الأقاليم بتدريس المذاهب السنية الأربعة — خصوصا — بعد أن أدخل السلطان الظـاهر بيبرس عام ٦٦٣ هـ المذاهب الأربعة فى الحكم (٩١) ، ومما يجدر ذكره أن الغالبية العظمى فى البلاد المصرية كـانت لفقهـاء الشـافعية ، وأحصى السيوطى فقهاء المذاهب حتى القرن العاشر الهجرى ، فعد منهم ثمانية فقيها على مذهب الامام الشافعى ، وأربعين فقيها على مذهب الامـام مالك ونحو من خمسين فقيها على مذهب الامام أبى حنيفة ، ولم يتجاوز أتباع الامام أحمد بن حنبل فى احصائه عشرين رجلا ، ومن ذلك نعلم أن مصر كانت فى القرون التسعة الأولى للهجرة — بوجه عام — أميل الى

---

(٨٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣١١ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٧ ص ٦١ .

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢٦٠ .

(٩٠) ابن النديم:الفهرست جـ ١ ص ٣٠٧ — ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٠ ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٧١ و ٧٢ — الذهبى: تذكرة الحفـاظ جـ ٣ ص ٢٨ السـيوطى : طبقات الحفاظ ، ص ٣٣٧ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٦٣ .

(٩١) القلقشـندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٣٥ — السـيوطى :

المذهب الشافعى منها الى أى مذهب آخر (٩٢) ، ونلمس هذه الظاهرة فى بلاد الوجه القبلى .

واهتمت المدرسة الدينية فى الوجه القبلى بالدراسات الفقهية وقد تخرج من هذه المدرسة علماء نبغوا فى هذه الدراسات ، ونستطيع أن نتعرف على اجتهادات العلماء فى هذا المجال من خلال الاشارات التى وردت فى المصادر العربية ، ومن ذلك نذكر الفقيه عبد الرحيم بن أحمد ابن مجون القنائى (ت بقنا سنة ٥٩٣هـ) الذى نبغ فى علوم المالكية ، وتولى تدريسها ومن الكتب التى درسها كتاب « المعونة » فى مذهب الامام مالك للقاضى عبد الوهاب المعروف بابن الطوف(٩٣) المالكى (ت ٤٢٢هـ) ، ونستنتج من اشارات الأدفوى ان فقهاء المالكية انتشروا فى الصعيد الأعلى فيما بين « قنا » و « قوص » ، وعلى سبيل المثال نذكر اسماعيل بن ابراهيم بن جعفر القنائى (بقنا ٦٥٢هـ) ، الذى ألف كتابا فى فقه المالكية ذكر فيه ما تلقاه من شيخه ابن الصباغ(٩٤) ، والحسن بن عبد الرحيم بن أحمد بن مجون الشريف أبو محمد القنائى الذى تولى تدريس المالكية فى قنا(٩٥) ، وبلغ فى فقه هذا المذهب شأنا عظيما بعد أن استقى علومه من الفقيه شيت بن ابراهيم بن محمد(٩٦)

تاريخ الخلفاء ص ٧٦٢ .

(٩٢) عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى انظر ص ١٩٧ .

(٩٣) الأدفوى : الطالع ص ٢٩٩ .

حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ٢ ص ٤٦٨ .

(٩٤) الأدفوى : الطالع ص ١٥٦ .

(٩٥) الأدفوى : المصدر نفسه ص ٢٠٥ و ٢٠٦ .

(٩٦) الأدفوى : المصدر نفسه ص ٢٠٥ و ٢٠٦ .

(ت ٥٩٥هـ) ، وبلغ من كثرة نبوغه أن تردد عليه الدارسون حين انتقل ليلقى علومه بمساجد البلاد فى الوجه القبلى ، ومحمد بن الحسن بن عبد الرحيم القنائى (ت بقنا ٦٩٢هـ) الذى اشتهر بنبوغه فى علوم الفرائض(٩٧) ، وأبو الحسن اليمانى الذى تصدر لتدريس المالكية فى قوص،وتتلمذ على يديه الكثير نخص بالذكر منهم عبد الله بن عبد القادر الدندرى ، وعلى بن محمد بن على المنعوت بنور الدين القمولى(٩٨) (ت سنة ٧١١هـ) ، وعبد العزيز يحيى القمولى (ت سنة ٧٢٣هـ) الذى تولى تدريس مذهب الامام مالك بقوص(٩٩) •

أما الفقه الشافعى فقد انتشرت تعاليمه فى كافة بلاد الوجه القبلى ، ومن أشهر الأئمة الذين ظهروا ونبغوا فى علوم الشافعية فى تلك البلاد محمد بن هبه الله بن جعفر بن هبه الله سراج الدين أبو بكر الدندرى الشافعى (ت سنة ٦٧٤هـ) وقد اشتهر بنبوغه فى علوم الفقه ، وصنف الكتب ، ويذكر عنه « الداودى »(١٠٠) أن له مصنف فى الوراقة ، وموسى ابن على وهب القشيرى (ت سنة ٦٨٥هـ) الذى برع فى تدريس الشافعية فى بلاد الوجه القبلى وألف فيها كتابا سماه « المغنى »(١٠١) ، وبلغ من كثرة نبوغه أن اسندت اليه رئاسة الفتوى فى مدينة قوص(١٠٢) •

---

(٩٧) الأدفوى : المصدر نفسه ص ٥٠٨ •

(٩٨) الأدفوى : المصدر نفسه ص ٢٧٩ و ٤٠٥ •

(٩٩) الأدفوى : المصدر نفسه ص ٣٢٣ •

(١٠٠) طبقات المفسرين ج ٢ ص ٢٦٦ •

(١٠١) الأدفوى : الطالع ص ٦٣٢ •

(١٠٢) الأدفوى المصدر نفسه ص ٦٦٢ و ٦٦٧ •

ومن كبار فقهاء الشافعية فى بلاد الوجه القبلى هبه الله بن عبد الله بهاء الدين القفطى (ت عام ٦٩٧هـ) ، ويذكر عنه أنه كان من أساتذة عصره فى تدريس الفقه الشافعى ، وألف هذا الفقيه عدة مؤلفات ، منها « شرح الهادى فى الفقه » وقد جمع فيه كل المسائل الفقهيه التى أودعها قطب الدين أبو المعالى (ت ٥٧٨هـ) فى خمسة مجلدات ، وتولاها بالشرح والايضاح(١٠٣) ، كذلك كان الامام ابن دقيق العيد من الفقهاء البارزين فى الفقه الشافعى ، وصنف فى علوم الشافعية عدة كتب منها « مختصر التبريزى »(١٠٤) ، وقد عالج فيه الأحكام الفقهية التى تناولها أمين الدين مظفر بن أحمد التبريزى (ت عام ٦٢١هـ) فى كتاب المختصر(١٠٥)،كما كان أحمد بن محمد صادق القوصى (ت بقوص سنة ٧٠٨هـ) من فقهاء الشافعية،واشتهر بالاجتهاد فى الرأى ، ويذكر عنه المقريزى(١٠٦) (وفيه تحرر ، وعنده يقظه) ، وكان على بن عبد الوهاب بن يوسف بن منجا الأدفوى من العارفين بعلوم الشافعية فى صعيد مصر ، واقام على تدريس هذه العلوم فترة من الزمن فى مدينة قوص(١٠٧) ، ومما ساعده على نبوغه فى هذه العلوم حرصه الشديد على دراسة المصنفات القديمة،ومنها كتاب « التنبيه فى فروع الشافعية » لأبى اسحاق ابراهيم بن على بن يوسف (ت ٤٧٦هـ)(١٠٨) ، وهو أحد الكتب المتداولة بين الشافعية وأكثرها تداولا(١٠٩) ، وكان نبوغ ابن منجا الأدفوى فى هذه العلوم من

---

(١٠٣) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ٢ ص ٦٤٤ و ٦٤٥ .

(١٠٤) الأدفوى : الطالع ص ٥٧٠ ـ ٥٩٩ .

(١٠٥) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ٢ ص ٣٩٩ – انظر .

(١٠٦) السلوك جـ ٢/١ ص ٥٠ .

(١٠٧) الأدفوى : الطالع ، انظر ص ٣٣٠ و ٣٣١ .

(١٠٨) الأدفوى : الطالع ، انظر ص ٢٨٢ .

(١٠٩) حاجى خليفة : كشف الظنون ، جـ ١ ص ٣٣٣ .

الأمور التى باعدت بينه وبـين المذهب الاسماعيلى(١١٠) ، كذلك كان أحمد بن محمد بن مكى بن يسن المخزومى القمولى (ت ٧٢٧هـ) من بين العلماء فى الفقه الشافعى ، وكتب عدة تصانيف منها « البحر المحيط فى شرح الوسيط » « وجواهر البحر فى تلخيص البحر المحيط فى شرح الوسيط »(١١١) ، ومن فقهاء الشـافعية ـ أيضـا ـ جمال الدين بن شرف الدين هبه الله بن المسكين الاسنائى (ت عام ٧٣٩هـ) ، وكان يتصدر للافتاء باسنا وظل على فتـواه حتى جاوز السبعين(١١٢) ، وعبد العزيز بن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب بن أسد العز بن النعماد الفيومى (ت عام ٨٩٦هـ) الذى عكف على الدراسات الفقهية فى مدينة الفيوم ، ثم انتقل الى القاهرة ، واتصل هناك بمشاهير العلماء(١١٣) ، ولازم الأمراء حتى صارت له « الجامكيات ، ونفائس الكتب »(١١٤) ، وعلاء الدين الأخميمى ، وكان من أعلام الشافعية المبرزين ، وبلغ من كثرة نبوغه فى هذه العلوم أن تولى منصب قاضى قضاة الشافعية نحوا من سبعة أشهر ثم عزل فى ٦ جمادى الآخرة عام ٩٢١هـ(١١٥) .

وتظهر اجتهادات العلماء فى الوجه القبلى فى العلوم الفقهية فى تلك المصنفات التى قسمت حسب الموضوعات وتناولت الآراء الفقهيـة المختلفة ، ومن بين هذه المصنفات كتاب « الامتاع فى أحكام السماع » لكمال لدين جعفر بن ثعلب الأدفوى الشافعى المتوفى سنة ٧٤٨ ، وقد اهتم فى عرضه لهذا المؤلف باظهار آراء الفقهاء فى الغناء والطـرب ،

---

(١١٠) الأدفوى : الطالع ص ٣٣٠ و ٣٣١ .

(١١١) الأدفوى : الطالع ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(١١٢) المقريزى : السلوك ج ٢/٢ ص ٤٧ .

(١١٣) السخاوى : الضوء اللامع ج ٤ ص ٢١٥ و ٢١٦ .

(١١٤) السخاوى : المصدر نفسه والصفحة .

(١١٥) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ، حوادث سنة ٩١٩ .

كمـــا افرد فصـــلا خاصا فى آلات الطـــرب والغناء ، ويذكر حـــاجى خليفة(١١٦) ، انه (كتاب نفيس لم يصنف مثله) ، ومن بين المصنفات الكتاب المعروف باسم « جامع » وقد جمع فيه جمال الدين عبد الرحيم بن حسن الاسنوى (ت عام ٧٧٢هـ) قوانين التشريعات والمعـــاملات التى تنظم حياة الأفراد(١١٧) ، وكتب نفس الفقيه مصنفا آخر ســـماه « تمهيد فى تنـــزيل الفروع على الأصـــول » وهو كتاب بين فيه كيفيـــة تخريج الفقه على المسائل الأصولية ، فذكر ــ أولا ــ المسألة الأصولية، ثم اتبعها بذكر جملة مما يتفرع عليها(١١٨) .

كذلك كتب شهاب الدين أحمد بن العماد الأقفهسى (ت عام ٨٠٨هـ) مؤلفا فى الفقه ســـماه « توفيق الحـــكام على غوامض الأحـــكام » ، واستهدف فيه تبصير الحكام ببعض التشريعات والمعاملات والتعـــاليم التى يجب اتباعها فى الدنيا والدين(١١٩) ، وهناك مصنف آخر ألفـــه شمس الدين محمد بن أحمد بن على السيوطى الشافعى(١٢٠) وســـماه « جوهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود » ، وهو مرتب على ترتيب أبوب الفقه وأورد فيه قواعد الصكوك(١٢١) ، ولا نغفل كتابات جلال الدين السيوطى (ت عام ٩١١هـ) فى العلوم الفقهية ، فقـــد ألف عدة رسائل ، منها « تنقيح فى مسألة الصـــحيح »(١٢٢) ، و « جامـــع

---

(١١٦) كشف الظنون جـ ١ ص ١٥٠ .

(١١٧) حاجى خليفة : المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٩٧ .

(١١٨) حاجى خليفة : المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٣٢ .

(١١٩) حاجى خليفة : المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٤٦ .

(١٢٠) من علماء القرن التاســـع الهجرى ، وولد سنة ٨١٠هـ ــ انظر ، حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ١ ص ٤٠٩ .

(١٢١) حاجى خليفة : المصدر نفسه جـ ١ ص ٤٠٩ .

(١٢٢) حاجى خليفة : المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٤١ .

المسانيد » ، وهى رسالة جمع فيها أصول الاسلام على السنة والمسانيد الأربعة(١٢٣) ، وكتاب «جامع فى الفرائض»(١٢٤) ، وكتب — أيضا — « رفع اللباس ، وكشف الالتباس فى ضرب من القرآن والاقتباس » وبين فيه غوامض الأحكام الفقهية التى وردت فى القرآن والمسانيد الفقهية(١٢٥) ، ومن مؤلفات السيوطى — أيضا — « رفع منار الدين ، وهدم بناء المفسرين » وقد ذكره فى فهرس مؤلفاته فى فن الفقه(١٢٦)، و « الفوائد الممتازة فى صلاة الجنازة »(١٢٧) و « القذاذة فى تحقيق محل الاستعاذة » وهى رسالة ذكرها فى فهرس مؤلفاته فى فن الفقه(١٢٨) و « لمعة فى تحقيق الركعه لادراك الجمعه »(١٢٩) ، وكتب فى الفتاوى « اللوامع والبوارق فى الجوامع والفوارق »(١٣٠) .

أما ميدان التصوف الاسلامى ، فقد كان له دوره فى الحياة الدينيه فى الوجه القبلى ، وقد كان للصوفية فى صعيد مصر آداب ومصطلحات وطرق معينة فى الذكر والتعبد ، وان كانوا لا يخرجون عن الشعائر الدينية الاسلامية المقررة من حيث الأفعال والأقوال ، واصل طريقتهم محاسبة النفس ويتدرج الصوفى فى طريقته فى مراحل ، اذ يبدأ المريد على يد شيخه بمقام أولى فى العبادة ، ثم يترقى ، وعليه أن يدرس علم التصوف(١٣١) ، وبعد مرحلة العلم تأتى مرحلة الشهود ، فيكشف

(١٢٣) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ١ ص ٣٨٥ .
(١٢٤) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ١ ص ٣٨٧ .
(١٢٥) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ١ ص ٥٧٥ .
(١٢٦) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ١ ص ٥٧٥ .
(١٢٧) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ٢ ص ٢١٠ .
(١٢٨) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ٢ ص ٢١٩ .
(١٢٩) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٦٣ .
(١٣٠) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٦٦ .
(١٣١) بنى هذا العلم على الإرادة ، فيشتمل على تفاصيل أحكام الارادة ، وهى حركة القلب ، لذا سمى هذا العلم بعلم الباطن ، وترتب

حجاب الحس ، وقد عرفت هذه المرحلة عند ظهور غلاة المتصوفة وجنوحهم الى كشف حجاب الحس(١٣٢) ، وقد صاروا يلجأون الى ذلك فى الأيام المتأخرة بالذكر لتغذية الروح •

وعرف المجتمع المصرى التصوف بصورة هادئة فى العصر الفاطمى(١٣٣) ، واشتد تيار التصوف فى الحياتين الاجتماعية والدينية

=

على نشأة هذا العلم منذ مراحله الأولى ظهور علم الأخلاق ، وأخذ التصوف يتسامى الى نظرية خاصة فى المعرفة وسبيل الوصول اليها ، وبين الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين بأنها نظرية المعرفة والتوحيد ، والمعرفة هو معرفة الربوبية المحيطة بكل الموجودات ، لذلك فان التصوف خليق بأن يصحب كل نزعة شريفة من النزعات الوجدانيه ، شريطة أن يكمل الصدق ، ويسود الاخلاص بحيث لا تملك النفس أن تنصرف عما آمنت به فى عالم المعانى ، وفى هذا المعنى تتسع دائرة التصوف بحيث تشمل صور كثيرة ، فيكون فى الولاء ، وفى الحب ، وفى السياسة حين تقوم على مبادىء تتصل بالروح والوجدان •

(دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد الخامس ، مادة تصوف ص٢٨٠

وزكى مبارك : التصوف الاسلامى فى الأدب والاخلاق جـ ١ ص ٢١

وعلم التصوف الاسلامى علم كتب فيه شيوخ الصوفية ، مثل الغزالى فى كتابه الاحياء ، والقشيرى فى كتابه الرسالة ، والسهروردى فى كتابه عوارف المعارف ، والشعرانى فى كتابه لواقح الأنوار ، وصار العلم بذلك مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط •

(ابن خلدون : المقدمة ص ٤٤٠ وما بعدها •

(١٣٢) الشعرانى:اليواقيت والجواهر جـ٢ المبحث التاسع والأربعون

ابن خلدون : المقدمة ص ٤٤٠ •

(١٣٣) زكى مبارك : التصوف الاسلامى جـ ٢ ص ٣٥ •

زمن المماليك(١٣٤) ، ومما ساعد على ذلك أن كثيرا من مشايخ الصوفية وفدوا على مصر فى أعقاب الكوارث التى حلت بالعالم الاسلامى(١٣٥) ، ووجدوا المماليك فى مصر يحيون حياة الترف دن بقية السكان الذين عاشوا فى ضيق بسبب سطوة المماليك وكثرة الفتن والمجاعات ، والتف كثيرون حول هؤلاء المشايخ راغبين فى حياة الزهد •

والواقع أن مشايخ الصوفية الذين وفدوا على مصر جاءوا فى صحبة ركب القوافل التجارية المارة بديارهم ، وأخذوا يدعون الناس الى الاسلام على امتداد طرق القوافل ، ونجح نفر من أولئك الصوفية المتجولين فى تأسيس رابطة تجارية اجتماعية صارت مهمتها الى جانب تنظيم شئون المال كسب الأنصار الى الدين الاسلامى وكانت كل جماعة من هؤلاء تضم المريدين أو الاتباع ، ولهم رئيس يسمى الشيخ ، وانتشرت هذه الجماعات عن طريق تأسيس الزوايا فى القرى والبلاد ، وكلما كثر أنصار الجماعة كلما زادت الزوايا التى أسسوها(١٣٦) •

ومما يجدر ملاحظته أن أعظم مراكز هذه الجماعات التجارية الصوفية كانت فى « اسنا » من صعيد مصر(١٣٧) •

---

(١٣٤) زكى مبارك : المصدر نفسه ج ١ ص ٣٣٩ •
سعيد عاشور : مصر فى عصر المماليك البحرية ص ١٨٦ •

(١٣٥) من ذلك ما طرأ على العالم الاسلامى فى القرن السابع الهجرى من شوال منها هجوم التتار من ناحية الشرق والمسيحيين الغربيين من ناحية الأندلس ، ويضاف الى ذلك الخطر الصليبى فى منطقة الشرق الأدنى •

(١٣٦) ابراهيم أحمد العدوى : التاريخ الاسلامى آفاقه التاريخية وابعاده الحضارية صفحة ٣٨٦ •

(١٣٧) ابراهيم أحمد العدوى : المصدر نفسه والصفحة •

وكان للصوفية حياتهم الخاصة ، فاذا ارتبط الصوفى بشـيخ من مشايخ الصوفية أصبح من مريديه ، وكان على المريد أن يتبع شيخه ، فلا حركة ولا كلام بين يديه الا باذنه ، ولا يعمل شيئا الا بموافقتـه من زواج أو سفر أو خروج أد دخـول أو اشتغال بعلم أو قـرآن أو ذكر (١٣٨) ، وكل ذلك من الأمور التى يشترط عليها شيوخ الصوفية فى العهد الذى يأخذونه على مريديهم ، وقامت حياة الصوفية على أساس التقشف فى الملبس والمأكل (١٣٩) ، مما يكشف جانبا عن المثالية الصوفية ومستويات الحياة عند هذه الفئة من المتعبدين (١٤٠) .

وقد عمل الايوبيون والمماليك على نشر تعاليم الصوفية ، شيدوا الزوايا والخوانق لاقامتهم وأوقفوا عليها الأموال الطائلة مما أدى الى أن وفد على مصر فى عهدهم عدد كبير من الصـوفة الغرباء ونزل هؤلاء ضمن ما نزلوا بلاد الوجه القبلى ومنهم مبـادر بن نجيب بن مديح بن حسين بن جعفر النسائى الاسوانى (ت سنة ٥٧٦هـ)(١٤١) ، وعبـد الرحيم بن أحمد بن مجون القنائى (١٤٢) ، وقد انتقل من بلاد المغـرب

---

(١٣٨) الشعرانى : لواقح الأنوار ج ١ ص ٣ ، ج٢ ص١٢٨و١٢٩
سعيد عاشور : مصر فى عصر المماليك البحرية ص ١٨٧ .
زكى مبارك : التصوف الاسلامى ج ٢ ص ٣٤٢ ــ ٣٤٨ .

(١٣٩) استعرض زكى مبارك فى كتابه التصوف الاسلامى مايحبه المشايخ للمريدين وما يكرهونه ، وبين لنا كيف كان المريد يطيع شيخه طاعة عمياء .
(زكى مبارك : التصوف الاسلامى ج ٢ ص ٣٤٢ و ٣٤٨ .

(١٤٠) سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ١٦٥ .

(١٤١) وقد دفن بمقبرة الربط بأسوان ــ الأدفوى : الطالع ص٤٧٤

(١٤٢) هو عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن أحمد بن حمـزة بن

الى مكة حوال منتصف القرن السادس الهجرى وأقام بها سبع سنين ، ثم قدم قنا من صعيد مصر ، واستوطنها وتزوج وانجب ، وكان للتصوف أيام عبد الرحيم القنائى شأن عظيم فى قنا ، حيث أكثر من خلواته ، واستقبل فيها مريدينه وفى ذلك يذكر الأدفوى(١٤٣) (كانت اقامته بالصعيد رحمة لأهله ، اغترفوا من بحر علمه وفضله ، وانتفعوا ببركاته ، وأشرقت أنوار قلوبهم لما أدخلوا فى خلواته) ، ويروى عنه الشعرانى(١٤٤) وهو من أجلاء مشايخ مصر المشهورين وعظماء العارفين) ، صاحب الكرامات الخارقة ، والأنفاس الصادقة ، وهو أحد من جمع الله له بين علمى الشريعة والحقيقة ، وقد صنف عبد الرحيم القنائى عدة كتب منها « مقالات فى التوحيد » « ومسائل فى علوم القوم » « وكلمات لا تستفاد من كلمات الاعراب » و « أحوال هى فى نهاية الاغراب »(١٤٥) و «المحل الأرفع من مراتب القرب»(١٤٦)، « والمنهل العذب من مناهل الوصل »(١٤٧) ، ونبغ فى العلم الكثير من

جعفر بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن الحسين بن على بن محمد بن جعفر الصادق الترغى المولد السبتى الأصل ، ترغا من عمل سبتة .

(الأدفوى : الطالع ، ص ٢٩٨ و ٢٩٩) .

(١٤٣) الطالع السعيد ص ٢٩٨ و ٢٩٩ .

(١٤٤) لوافح الأنوار ج ١ ص ١٣٥ .

(١٤٥) الأدفوى : الطالع ص ٢٩٨ و ٢٩٩ .

(١٤٦) الشعرانى : لوافح الأنوار ج ١ ص ١٣٥ .

(١٤٧) الشعرانى : لوافح الأنوار ج ١ ص ١٣٥ .

وبلغ التصوف عند الحسن بن عبد الحميد الصباغ مبلغا كبيرا ، وأنشد فيه شعرا ومن ذلك شعره فى حمامة كانت تغنى فى بساتين قوص

واسعد بالفرح كى تسعدى ... فان الحزين يواسى الحزينا

زكى مبارك : ج ١ ص ٣٢٩ .

المريدين الذين ترددوا على خلواته ، يذكر منهم الحسن بن عبد الحميد الصباغ ، وهناك كتابة أثرية جنائزية بمسجد عبد الرحيم القنائى بقنا مؤرخه فى ١٥ شعبان سنة ٦١٢هـ ٩ ديسمبر سنة ١٢٣٥م باسم الشيخ الفقيه أبو الحسن بن عبد الحميد الصباغ(١٤٨) .

ومن أهل الصوفة فى الوجه القبلى أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلى الضرير الذى استوطن صحراء عيذاب ، ومات بها سنة ٦٥٦هـ(١٤٩) ، وعلى بن عثمان بن على بن سليمان بن على أبو الحسن المعروف بأمين الدين السليمانى الأربلى ، وكان جنديا ثم تزهد حتى صار صوفيا ، وقد جاء من الشام واستوطن مدينة الفيوم ، ومات بها سنة ٦٧٠هـ(١٥٠) .

وكان من أثر قدوم الصوفة على الوجه القبلى أن انتشر التصوف فى سائر ارجاء البلاد زمن المماليك ، وتولى زعامته عديد من أبنائه ، فاهتموا ببناء الربط والزوايا ، وأقاموا الخلوات ومن هؤلاء الشيخ عبد الغفار القوصى (ت عام ٦٧٠هـ) ، وكان من رواد التصوف،وألف فيه كتبا ، ومن بينها « التوحيد فى علم التوحيد »(١٥١) ، وألف شعرا فى الزهد(١٥٢) ، وأبو عبد الله الأسوانى الذى أقام بأخميم ، وعند وفاته فى رجب عام ٦٨٦هـ دفن برباطه بها(١٥٣) ، وصار فى سلك الصوفية ابن اخته عمر بن محمد بن عبد الكريم الأسوانى المنعوت بالصدر ، وقد نشأ فى كنف أبيه الذى جاء من قزوين الى أسوان ،

---

(١٤٨) بلغ التصوف عند الحسن بن عبد الحميد الصباغ مبلغا كبيرا ، وأنشد فيه شعرا ومن ذلك شعره فى حمامة كانت تغنى فى بساتين قوص وأسعد بالفرخ كي تسعدى فان الحزين يواسى الحزينا (زكى مبارك ج ١ ، ص ٣٢٩) .

(١٤٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٦٨ .

(١٥٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٣٦ .

(١٥١) الشعرانى : لوافح الأنوار ج ١ ص ١٣٦ و ١٣٧ .

(١٥٢) الشعرانى : لوافح الأنوار ، ج ١ ص ١٣٦ و ١٣٧ .

(١٥٣) المقريزى : المقفى ج ٣ ورقة ٢٣ ب .

وتزوج بأخت الشيخ أبى عبد الله الأسوانى وقد عاش عمر بن محمد فى صلاح وعبادة،وقرأ القراءات ثم تصوف ، وأقام بالخانقاه بالقاهرة، وروبت عنه كرامات ، وتوفى صدر الدين بالخانقاه بالقاهرة فى ٦ جمادى الأولى عام ٦٨٦هـ(١٥٤) ، وانخرط فى سلك الصوفية من أبناء الوجه القبلى — أيضا — ابراهيم ابن عمر بن عبد الكريم الأسوانى المنعوت بالبرهان ، وقد سمع الحديث فى أسوان فى ذى الحجة سنة ٦٨٧هـ(١٥٥) .

ومن الذين انخرطوا فى سلك الصوفية — أيضا — ببلاد الوجه القبلى محمد بن الحسن بن عبد الرحيم القنائى (ت ٦٩٢هـ) ، وكان ليطوف البلاد ، ويستقدم الفقراء ، ويعطف عليهم ، ويعاشرهم ويعاشرونه(١٥٦) ومنلهم عبد الغفار بن أحمد بن عبد المجيد بن نوح القوصى (ت ٧٠٨هـ) ، وقد استوطن قوص ، وصارت له الاتباع والمريدون ، وقيل عنه أنه من أهل الكشف وللناس فيه اعتقاد(١٥٧)، وكان لعبد الغفار بن أحمد دوربارز فى الخراب الذى طرأ على كنائس قوص حين حلت بهذه البلد الوقيعة بين النصارى والعامة زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون(١٥٨) ، وعلى أثر هذه الأحداث انتقل من قوص الى القاهرة حيث مات فى عام ٧٠٨هـ ، وبلغ من كثرة اعتقاد الناس فيه أن أقبل البعض على شراء ثيابه بعد موته بخمسين دينار، ووزعوها على الزوايا والربط التى أقام بها الصوفية(١٥٩) .

---

(١٥٤) الأدفوى : الطالع ص ٤٥٧ و ٤٥٨ .

(١٥٥) الأدفوى : الطالع ص ٥٧ .

(١٥٦) الأدفوى : الطالع ص ٥٠٨ .

(١٥٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٣٠ .

(١٥٨) المقريزى : السلوك جـ ١/٢ ص ٥٠ .

(١٥٩) المقريزى : السلوك جـ ١/٢ ص ٥٠ .

كذلك كان محمد بن يوسف السمهودى المنعوت بالبدر (٧١٣هـ) من المتصوفين الاخيار ، وقد اشتغل بالفقه بمشهد قوص ، واستوطن سمهود(١٦٠) ، كمـا كان منتصر بن الحسن الأدفـوى (ت ٧٤٣هـ) صوفيا زاهدا ، وقد عاش بادفو وعمر بها رباطا ، وتابعـه المريدون وقرأوا عليه كثيرا من المصنفات ، يشير « الأدفوى » أنه قرأ عليـه كتاب « الشـفا »(١٦١) ، وهـو كتاب كبـير جامع يقـع فى أربعـة أقسام(١٦٢) ، ويحتوى كل قسم على عدة فصول ، ففى القسم الأول تناول الكتاب تعظيم الذات الالهية وأحوال الرسول — صلى الله عليه وسلم — من خلال أقواله وأفعاله ، فى القسم الثانى تحدث عن فضائل الخالق ومحاسـنه فى سبعة وعشرين فصلا ، وفى الثالث تناول صحيح الأخبار وفيه اثنـا عشر فصلا ، وعالج فى القسـم الرابع الآيـات والمعجزات التى أظهرها الخالق على يدى الرسول — صلى الله عليه وسلم — وذلك فى ثلاثين فصلا ، كما تحدث فى قضايا الايمان والطاعة وأحكام العبادات ، واختتم الحديث بعرض لبعض الأحكام،كحديثـه عن الحكـم فيمن سب الله سـبحانه ورسله وملائكته وكتبـه ، وآل النبى(١٦٣) ، ويذكر حاجى خليفـة(١٦٤) عن كتـاب « الشـفا » انه (عظيم النفع ، كثير الفائدة لم يؤلف مثله فى الاسلام) ، لذا تولاه علماء الوجه القبلى بالاهتمام والدراسة ، ووضع الشـيخ محمد بن

---

(١٦٠) الأدفوى : الطالع ، ص ٦٤٦ .

(١٦١) الأدفوى : الطالع ص ٦٦١ .

هو كتاب الشفا فى تعريف حقوق المصطفى للامام الحافظ أبى الفضل عياض بن موسى القاضى المتوفى سنة ٥٤٤هـ .

(١٦٢) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ٢ ص ٦٢ .

(١٦٣) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ٢ ص ٦٢ .

(١٦٤) كشف الظنون ج ٢ ص ٦٢ .

أحمد الأسنوى (ت ٧٦٣ هـ)(١٦٥) مختصرا ، وألف كتابا فى شرحه أبو عبد الله محمد بن أبى شريف مسماه « المنهل الأصفا فى شرح ما تمس الحاجة اليه من ألفاظ الشفا » ، وقد فرغ من تأليفه فى ١٤ صفر سنة ٩١٧هـ(١٦٦) .

وكان من بين المتصوفين ببلاد الوجه القبلى محمد بن عبد المحسن بن الحسن الأرمنتى(١٦٧) (ت عام ٧٣٦هـ) ، وقد اهتم ببناء الربط والمساجد بمدينة البهنسا من الصعيد الأوسط ، فبنى لنفسه رباطا ومسجدا ومدرسة ، واشتغل بالفقه على أيدى خاله(١٦٨) بصعيد مصر ، وعاش أيامه الأخيرة بمدينة البهنسا ، حيث اشتغل بعلوم الفقه ، وقصده الرجال من سائر البلاد(١٦٩) ، ومنهم ــ أيضا ــ ابراهيم بن على بن أحمد بن أبى بكر بن محمد بن عبد الرحمن ابن محمد البهنسى (ت عام ٨٤٦هـ) ، وقد تصوف بصعيد مصر ، وانتقل الى القاهرة ، فقطن البيبرسيه ، وبلغ من كثرة زهده وورعه ان أقبل عليه النجم بن المهذب ، ونظم فيه شعرا ، نذكر منه هذا البيت الشعرى(١٧٠) .

لما رأيت الورد ضاع نجده وعذارة أميل عليه دائر

ونلمس نشاط علماء الوجه القبلى فى علوم اللغة والنحو الى جانب العلوم الدينية ، وقد نبغ فى هذه العلوم علوى بن حميد بن

---

(١٦٥) حاجى خايفة : كشف الظنون ج ٢ ص ٦٣ .

(١٦٦) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ٢ ص ٦٣ .

(١٦٧) كان مولده بأرمنت سنة٦٧٢هـ،وتوفى بالبهنسا سنة٧٣٦هـ

(١٦٨) هو القاضى سراج الدين يونس .

(١٦٩) الأدفوى : الطالع ص ٥٣٩ ــ ٥٤٢ .

(١٧٠) السخاوى : التبر المسبوك ص ٤٧ و ٤٨ .

الحسين المنعوت « بالرضا » ، والملقب « بأبى الفتح » ، وقد قرأ النحو على الفقيه شيت القفطى(١٧١)،عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس الدوينى بن الحاجب أبو عمرو (ت٦٤٦هـ)،وقد صنف فى النحو ، وانتفع الناس من تصانيفه لما فيها من كثرة النقل مع صغر الحجم ، وتحرير اللفظ ، ومن كتبه فى هذا المجال « المقدمة فى النحو » و « المقدمة فى التصريف » و « شرح مقدمة الزمخشرى فى النحو »(١٧٢) .

ومن العلماء الذين نبغوا — أيضا — فى علوم اللغة والنحو أحمد ابن عبد الرحمن محمد الكندى الدشناوى (ت ٦٧٦ هـ) وقد عاش بقوص،ونبغ فى جميع فروع المعرفة،وصنف «مقدمه فى النحو»(١٧٣)، ومنهم محمد بن ابراهيم بن محمد بن أبى بكر السبئى أبو الطيب (ت عام ٦٩٥هـ) وقد وفد على قوص وقرأ النحو بها ، ونبغ فى هذا العلم حتى كتب بخطه كتاب سيبويه ، وشرح كتاب « الايضاح » لأبى الربيع ، وصار استاذا فى النحو ، وتتلمذ على يديه الكثير من طلبة قوص(١٧٤) .

ومن العلماء البارزين فى علوم النحو — أيضا — بهاء الدين القفطى (ت ٦٩٧هـ) ، ومن مصنفاته « شرح مقدمة المطرزى »(١٧٥) فى النحو ، وعبد الملك بن الأعز بن عمران التقى الاسنائى(ت٧٠٧هـ)، وقد عاش بأسنا ، وقرأ النحو بها على « الشمس الرومى »(١٧٦)

---

(١٧١) الأدفوى : الطالع ص ٣٦٢ و ٣٦٣ .

(١٧٢) الأدفوى : الطالع ص ٣٥٢ و ٣٥٤ .

(١٧٣) الأدفوى : الطالع ص ٨٠/٨٥ .

(١٧٤) الأدفوى : الطالع ص ٤٧٨ .

(١٧٥) وهى لمؤلف دمشقى قديم وهو أبو عبد الله بن محمد بن على ابن صالح السليمى المطرزى المتوفى سنة ٤٥٦هـ .

(١٧٦) الأدفوى : الطالع ص ٣٤١ و ٣٤٤ .

ومحمد بن عيسى القوصى (ت بقوص عام ٧٠٧هـ) ، وقـد وفد على قوص ، وامضى بها حياته يعكف على الدراسات اللغوية والنحوية ، ويذكر عنه الأدفوى أنه « له مشاركة فى النحو واللغة » (١٧٧) ، وأحمد ابن محمـد بن مكى بن يسـين نجم الدين أبو العبـاس القمـولى (ت عام ٧٢٧هـ) ، وقضى حيـاته فى قمولة — من الصعيد الأعلى — وكان الى جانب نبوغه فى الفقه والأصول عـالما بالنحو واللغة(١٧٨) ، ومن بين المتخصصين فى علوم النحو — أيضا — محمد بن فضـل الله ابن كاتب المـرج القوصى ، وكان قد اسـتوطن قوص ، وشـارك فى النهضة العلمية ، واقدم على الدراسات اللغـوية ، فقرأ « مصـنف التقريب »(١٧٩) ، ويذكر الأدفوى انه صاحب « مشاركة فى النحو »، وانه تنقل بين بلاد الصعيد يلقى علومه(١٨٠) ٠

ومن العلماء الذين اهتموا بالدراسات اللغوية والنحوية فى القرن التاسع الهجرى جلال الدين السيوطى (ت عام ٩١١هـ) ، وقـد كتب عدة مؤلفـات فى هذه العلوم ، منها « توجيـه العزم الى اختصـاص الاسم بالجر والفعل بالجزم » ، بين فيها بعض القواعد اللغوية التى يجب اتباعها فى التركيب اللغوى(١٨١) ، ومنها رسائل الفها فى علـم اللغة نذكر منها رسالة سماها « ثبوت فى ضبط الفاظ القنوت »(١٨٢)،

---

(١٧٧) الأدفوى : الطالع ص ٦١٣ و ٦٢٢ ٠

(١٧٨) الداوودى : طبقات المفسرين ج ١ ص ٨٧ و ٨٨ ٠

(١٧٩) وهو مختصر المقرب فى النحو لابن العباس بن يزيد النحوى المتوفى عام ٢٨٥ هـ (الأدفوى : الطالع ص ٦١٢) ٠

(١٨٠) الأدفوى : الطالع ص ٦١٢ ٠

(١٨١) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٣٤٣ ٠

(١٨٢) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ١ ص ٣٥٤ ٠

« وقطام الأسد فى أسماء الأسد »(١٨٣) ، « ولمعة الاشراق فى الاشتقاق »(١٨٤) .

كذلك ازدهرت العلوم الأدبية فى بلاد الوجه القبلى ، ونبغ فى هذه العلوم بعض العلماء ، وكان من مظاهر الأدب فى بلاد الوجه القبلى النثر الفنى ، وكان يعنى فيه بتزيين الألفاظ وتجميلها بالسجع وغيره من ضروب التحليه ، ومن أعلام النثر فى بلاد الصعيد ، على ابن هبه بن حسن بن هبه الله بن جعفر الأنصارى الأرمنتى (ت عام ٦٤٥هـ)(١٨٥) ، وحاتم بن أحمد بن أبى الحسن المكنى بأبى الجود الفرجوطى (ت بفرجوط سنة ٦٧٠هـ)، ومحمد بن على بن وهب القشيرى أبو الفتح تقى الدين بن دقيق العبد (ت ٧٠٢هـ) ، وكان من رواد النثر ، وألف فيه ديوانا سماه « خطب مفرد معروف »(١٨٦) ، وتظهر مقدرته فى فن النثر عباراته فى « شرح الالمام » التى زينها بالألفاظ ، وجملها بالسجع(١٨٧) ، كذلك ألف جلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ) مؤلفا سماه « نثر الكنان فى الخشكنان » ، ويعتبر هذا المؤلف من أشهر ما ألفه السيوطى فى النثر ، وتناول فيه بعض النوادر(١٨٨) ، وتظهر قدرة السيوطى على تزيين الألفاظ فى حديثه عن أعلام الفكر فى كتابه « نثر الهميان فى وفيات الأعيان »(١٨٩) .

---

(١٨٣) حاجى خليفة : المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٣٨ .

(١٨٤) حاجى خليفة : المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٦٣ .

(١٨٥) الأدفوى : الطالع ص ٤٢٣ .

(١٨٦) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٦ ص ٢ ـ ٩ .

(١٨٧) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٦ ص ٢ ـ ٩ .

(١٨٨) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ٢ ص ٥٨٥ .

(١٨٩) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ٢ ص ٥٨٥ .

أما النظم ، فكان فى مصر وصعيدها أرقى من النثر كثيرا لأن تقيده بالوزن والقافية لم يجعل فيه متسعا لتراكم المحسنات اللفظية ومحسناتها(١٩٠) ، لذا ازدهر الشعر فى الوجه القبلى وحظى بمكانة أعظم من النثر وبرز فى الوجه القبلى شعراء كثيرون موهوبون أضافوا الى مكتبة الأدب فى مصر فى العصور الاسلامية شيئا جديدا حتى قيل أنه كان باسنا فى زمن واحد وسبعون (١٩١) شاعرا ، وقد نبغ هؤلاء الشعراء فى فنون الشعر المتنوعة ، وظهرت تبعا لذلك دواوين الشعر تعطى ابعادا شاملة عن معانى الشعر الواسعة •

ومن أشهر الشعراء الذين ظهروا فى الوجه القبلى ، أبو المفتوح نصر المعروف بأبن قلاقس (ت عام ٥٦٧هـ) ، وكان شاعرا بارزا فى ثلغر عيذاب(١٩٢) ، ومحمد بن على بن الفخر (ت عام ٥٧٤) ، وقد أقبل على كنز الدولة ، وألقى فى مدحه عدة قصائد(١٩٣) ، ومن شعراء الوجه القبلى على بن عرام الأسوانى (ت فى حدود سنة ٥٨٠هـ) وله من شعر الغزل(١٩٤) •

ألا من مبلغ سعدى يأتى
ظمئت الى مراشفها العذل

---

(١٩٠) محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس فى مصر ، ص ١٥٧ •

(١٩١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٣٧ •

(١٩٢) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢٠٥ •

(١٩٣) الأدفوى : الطالع ص ٥٥٧ و ٥٥٨ •

(١٩٤) الأدفوى : الطالع ص ٢٧٢ •

الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ص ١٦٤ •

وانى المهيمن حتى تفـــادت
ولـه من الشوق المبرح فى عذاب
كم ليالى نعمت فيها بجـــود
فاقت البدر فى السقا والشتاء

وله فى مدح عز الدين والى قوص وأسوان زمن الأيوبيين(١٩٥):

بلغت بسق الناس أسمى المراتب
فتاج اذا ما شـــئت زهر الكواكب
نرعت الى جرثومـــة من فئوله
نمتك وأعمام الكرام المنـــاصب

ومن شعر الهجاء كتب(١٩٦) :

فمن كثيت الأرض تكوينه فهو ثقيـــل يابس بارد

ومن شعر الرثاء كتب يرثى ابن عمه(١٩٧) :

من لسوء الخطوب غيرك يجلو ها هو وقد غاب منك بدر منير

ومن شعراء الوجه القبلى ، أبو الحسن على بن رستم بن مردوز المعروف بابن الساعاتى الملقب ببهاء الدين (ت عام ٦٠٤هـ) ، وقـــد صنف دواوين شعرية (أجاد فيها كل الاجادة)(١٩٨) ، من بـــين هذه الدواوين ديوان «مقطعات النيل» ، ونذكر من أبيات هذا الديوان ما صنفه الشاعر عن مدينة اسيوط(١٩٩) :

---

(١٩٥) الأدفوى : الطالع ص ٢٨٣ .
(١٩٦) الأدفوى : المصدر نفسه والصفحة .
(١٩٧) الأدفوى : المصدر نفسه والصفحة .
(١٩٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٣٩٥ و ٣٩٦ .
(١٩٩) ابن خلكان : المصدر السابق جـ ٣ ص ٣٩٥ و ٣٩٦ .

لله يوم فى سيولط وليلة
صرف الزمان باقتها لا يلفظ
بقنا وعمر الليل فى علوائه
وله بنور البدر فرع أشحط

ومن شعراء الوجه القبلى – أيضا – عشم بن عز الدين بن عبد الواحد المنعوت بالكمال والملقب بأبى الفوارس (ت عام ٦٤٣هـ) ، وقد كان فى ادفو واسنا أديبا وشاعرا ، ومن نظمه الشعرى « الاسنائية » ، وكانت الاسنائية محببة عند الناس ، فأقبلوا على انشاءها ، فكتبها لهم الحافظ الرشيد عبد العظيم المنذرى(٢٠٠) •

ومن شعراء الوجه القبلى،جمال الدين بن مطروح (ت عام ٦٤٩هـ) وكان على شهرة عظيمة بين الشعراء ، واشتهر بدواوينه الشعرية ، وكانت بينه وبين بهاء الدين زهير منذ الصبا صحبة قديمة ، وقد أقام الاثنان فى بلاد الوجه القبلى ، وعاشا فى صحبة حتى صاروا « كالأخوين » ، « وليس بينهما فرق فى أمور الدنيا »(٢٠١) ، ثم اتصالا بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وقد جرت بين هذين الشاعرين مكاتبات بالأشعار(٢٠٢) •

ومن شعراء سيوط « النجم المغربى القصرى الأكتع » (ت سنة ٦٦٣هـ) ، وقد وصفه أبو شامة(٢٠٣) بقولة (كان متفننا فى علوم شتى وهو الذى كان نظم المفصل) ، من شعراء الجه القبلى

---

(٢٠٠) الأدفوى : الطالع ص ٤٦٢ و ٤٦٣ – ٤٦٤ •
(٢٠١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٦٠ و ٢٦٣ – ٢٦٦
(٢٠٢) ابن خلكان : المصدر نفسه والصفحات •
(٢٠٣) الروضتين ص ٢٣٣ •
توفى النجم الأكتع بسيوط فى ٤ جمادى الأولى عام٦٦٣هـ •

ـ أيضا ـ حاتم بن أحمد بن أبي الحسن المكنى بأبي المجود الفرجوطي (ت في حدود سنة ٦٧٠هـ) ، ويذكر عنه الأدفوي(٢٠٤) أنه كان أديبا له نظم ونثر ، ومنهم الشاعر الحسين بن محمد الأنصاري الأسواني (ت بعد عام ٦٧٠هـ) ، وكان أديبا له نظم حسن ، ونثر جيد(٢٠٥) ، ومنهم موسى بن علي بن وهب بن مطيع الشيخ سراج الدين بن الشيخ مجد الدين ، وقد تصدى لنشر العلم في قوص الى أن مات بها عام ٦٨٥هـ(٢٠٦) ، وكان أديبا شاعرا ، ومن شعره(٢٠٧) :

وحقك ما أعرضت عنك جلالة
ولا أنا ممن تعلمن مفيق
وأصبحت كالظمآن شاهد مشربا
قريبا ، ولكن ما اليه طرق

ومن شعراء الوجه القبلي ـ أيضا ـ الشاعر عبد القادر بن عبد الملك الأسفوني المعروف بابن الفضنغر (ت بعد عام ٦٨٠هـ) ، وكان من شعراء الغزل ، ويذكر عنه الأدفوي(٢٠٨) انه (كان كثير المجون والخلاعة)، ومنهم الشاعر عمر بن عبد العزيز الأسواني (ت عام٦٩٢هـ) وقد رحل من أسوان الى قوص في طلب العلم ، ومن شعره الذي أنشده عندما سأله أحد الأدباء عن حاله(٢٠٩) :

---

(٢٠٤) الطالع ص ١٨٨ .

(٢٠٥) الأدفوي : المصدر نفسه ص ٢٢٩ .

(٢٠٦) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١٥٧ وما بعدها .

(٢٠٧) السبكي : المصدر نفسه جـ ٥ ص ١٥٧ وما بعدها .

(٢٠٨) الطالع ص ٣٢٩ و ٣٣٠ .

(٢٠٩) الأدفوي : المصدر نفسه والصفحة .

ان كنت تسأل عن عرضي فلا دنس
أو كنت تسألى عن حالى فلا حال

قد ضيع المجـد مال ضيعت يدى
ما أضيع المجد ان لم يجمعه مال

وهناك شاعر آخر عاش فى عصر الظاهر بيبرس ، وهو شـرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيرى (ت عام ٦٩٥هـ)(٢١٠)، وقد ولد بدلاص — من قرى الصعيد الأوسط — ، وانتقل الى القاهرة وفيها تعلم علوم العربية والأدب ، واشتغل بالكتابة والشـعر ، وولى الكتابة فى الدواوين ، وتصرف فى مناصب كثيرة بالقاهرة والأقاليم، ويمتاز شعر البوصيرى بالرصانة والجزالة ويكثر فيه مراعاة البديع ، من شـعره قصيدة البرده ، وهى من أفضـل مدائح الرسول — صلى الله عليه وسلم — وأولها(٢١١) :

أمن تذكـر جـيران بذى سـلم
مزجت دمعا جرى من مقلـة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة(٢١٢)
وأومض البرق فى الظلماء من أضم

ومن شعراء الوجه القبلى — أيضا — الشاعر موفق محمـد بن الحسين بن ثعلب الأدفو (ت عام ٦٩٧هـ) ، وقد نشأ بادفو ، وتلقى

---

(٢١٠) توفى البوصيرى بالاسـكندرية عام ٦٥٥هـ ، وله مسـجد كبير بها يعرف الآن بمسجد الأباصيرى ، وقد نقشت البردة على جدرانه

(٢١١) محمد جمال الدين سرور : دولة الظـاهر بيبرس فى مصر ص ١٥٨ ٠

(٢١٢) بلدة تقع على ساحل الخليج الفارسى من بلاد الجزيرة العربية على مقربة من مصب دجلة والفرات (محمد جمال الدين سرور : المصدر السابق والصفحة) ٠

علومه بهـــا ، وتصرف فى المناصب حتى ولى الخطــابة بادفو ، وكان شاعرا فيه « كرم » ، وعنده « اغصاء »(٢١٣) ، ومنهم الشـــاعر شمس الدين محمد بن صالح بن حسن البغاء القفطى (ت عام ٦٩٨هـ)، ويصفه المقريزى(٢١٤) بأنه كان « أديبا شاعرا » ، ومنهم الشـــاعر عثمان بن عبد المجيد الأسوانى (ت فى حـــدود عام ٧٠٠هـ)(٢١٥) ، محمد بن على بن وهب بن مطيع القشيرى أبو الفتح تقى الدين مجد الدين بن دقيق العيـــد (ت ٧٠٢هـ) ، وقد نشـــأ فى قوص ، وتلقى علومه بها ، ونبغ فى العلوم الفقهية ، ومن شعره(٢١٦) :

أهل المناصب فى الدنيـــا ورفعتها
أهل الفضـــــائل مرزلون بينهم

ومن الشعراء ، عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم اليمـــانى (ت سنة ٧٠٥ أو ســـنة ٧٠٦هـ)(٢١٧) ، وكان فقيها فاضـــلا ، نحويا أديبا شاعرا ، ومن شعره قصيدة امتدح بها « طقصبا » والى قـــوص شاكيا فيها فى الوقت نفسه حال أسوان(٢١٨) :

ولعـــلا جنابك كل أمر يرفـــع
واليك حقـــا كل خطب يرجـــع

---

(٢١٣) المقريزى : السلوك ج ٣/١ ص ٨٥١ .
(٢١٤) السلوك ج ٣/١ ص ٨٥١ .
(٢١٥) الأدفوى : الطالع ص ٤٤١ و ٤٤٢ .
(٢١٦) السبكى : طبقات الشافعية ج ٦ ص ٢ ــ ١٩ .
(٢١٧) ترجع أصول هذا الشعر الى مدينة اسنا ، وانتقل منها الى أسوان وتوفى بها الأدفوى : الطالع ص ٣١١ و ٣١٢ .
(٢١٨) الأدفوى : الطالع ص ٣١١ و ٣١٢ .

ما كان يفعله الشجاعى(٢١٩) سالفا
في مصر في أسوان حقا يصنع

وقد تميز الشاعر عبد الرحيم بن محمد اليمانى بظرفه ، وقد نظم العلاليق الى جانب الشعر ، ومن علاليقه واحده نظمها فى ابن المصوص الاسنائى ، ومطلعها(٢٢٠) :

انك قد أرى فى اللصوص
يا ابن المصوص

ومن شعراء الوجه القبلى عبد الملك بن الأعز بن عمران التقى الاسنائى (ت سنة ٧٠٧هـ) ، وكان أديبا شاعرا ، وقد قرأ النحو والأدب على الشمس الرومى ، ونبغ فى شعره ، وله ديوان من أشعاره(٢٢١)، ومنهم عمر بن عيسى بن نصر بن محمد بن على بن أحمد بن محمد بن مجيد الدين اللمطى القوصى (ت سنة ٧٢١هـ) ، وكان أديبا شاعرا ، ومن قصائده المشهورة « تذكرة الأديب » التى نظمها عام ٦٧٥هـ ، والمعروف أن هذا الشاعر قد ترك قوص ، وعاش فى القاهرة وترقى فى المناصب حتى ولى بها النظر على رباع الأيتام ،

---

(٢١٩) الشجاعى : هو علم الدين سنجر عبد الله الشجاعى المنصورى وكان من مماليك السلطان المنصور قلاوون ، وترقى حتى ولى الوزارة فى أول دولة السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وساءت سيرته وكثر ظلمه ، وانتهى الأمر بقتله سنة ٦٩٣هـ .

(الأدفوى : الطالع ص ٣١١ و ٣١٢) .

(٢٢٠) يروى أن سكينة قد ضاعت من الشاعر عبد الرحيم ابن محمد اليمانى ، فوجدها ابن المصوصى ، مما كان منه إلا أن نظم فى ذلك هذه البليقة .

(الأدفوى : الطالع ص ٣١١ و ٣١٢ – الحويرى : أسوان ص ١٨٨)

(٢٢١) الأدفوى : الطالع ص ٣٤١ و ٣٤٤ .

ثم عاد الى قوص ، وأقام بها حتى وفاته فى شوال سنة ٧٢١هـ(٢٢٢)، ومن شعراء الوجه القبلى — أيضا — الشاعر محمد بن عبد المحسن بن الحسن شرف الدين الأرمنتى (ت عام ٧٣٠هـ) ، وكان فقيها شاعرا، ومن شعره(٢٢٣) :

ابن العياد له الأخبار أربعة
مناهج العلم للاسلام فى الناس
ابن الزبير وابن العاصى وابن أبى
حفص الخليفة والخير بن عباس

ومن الشعراء ، أحمد بن عمر بن هبه الله بن أحمد المنعوت بالشمس الاسنائى (ت سنة ٧٣٢هـ) ، وكان فقيها شاعرا ، وله نظم ومن أشعاره ما أنشده فى مدح أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوى — المؤرخ المعروف — (ت ٧٤٨هـ)(٢٢٤) .

ومن شعراء الوجه القبلى — أيضا — عبد المنعم بن أحمد بن عبد المجيد (ت فى شوال سنة ٧٣٢هـ) ، وقد نشأ فى صعيد مصر وتولى عدة مناصب منها الخطابة والقضاء « بعيذاب » و «طود» و«الأقصرين» وظل يتصرف فى هذه المناصب مدة ستين عاما ، وكان شاعرا يقول شعرا « يزن بعضه »(٢٢٥) ، ومن الشعراء — الشاعر ابراهيم بن أحمد بن طلحة الأسوانى (ت عام ٧٣٥هـ) ، ويصفه الأدفوى

---

(٢٢٢) الأدفوى : الطالع ص ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٤ .

(٢٢٣) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ٢٤١ .

(٢٢٤) الأدفوى : الطالع ص ١٠٦ .

(٢٢٥) الأدفوى : الطالع ص ٣٤٥ .

بقوله(٢٢٦) (الشاعر المشهود ، الأديب المذكور ... وله ديوان شعر يدل على فضله ، ويشهد بنبله) ومن أشعاره(٢٢٧) :

أرى كل من أصفيته الود مقبلا
على بوصه ، وهو بالقلب معرض
حذارا من الاخوان ان شئت راحة
فقرب على الدنيا لمن صح ممرض
بلوت كثيرا من اناس صحبتهم
فما مهتم الا حسود وبغض

كذلك كان قطب الدين ابراهيم بن محمد بن علي بن مظهر بن نوفل الثعلبي الأدفو (ت عام ٧٣٧هـ) من شعراء الوجه القبلي(٢٢٨)، كما كان جعفر بن مظهر بن نوفل بن جعفر الثعلبي الأدفوي المنعوت بالنجم (ت سنة ٧٧٠هـ) أديبا ، شاعرا الى جانب نبوغه في علوم الطب(٢٢٩) والفلسفة ، ومن شعراء الصعيد — أيضا — الأديب الشاعر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عثمان بن شيمان المعروف بابن المجد البكرى التيمى (ت سنة ٧٧٣هـ) ، وقد نشأ في بغداد ، وانتقل الى مصر ، فنزل منية بنى خصيب ، وعاش بها الى أن مات في رمضان سنة ٧٧٣هـ(٢٣٠) ، ومنهم الشاعر ابراهيم بن على بن أحمد برهان الدين البهنسى ، وكان أديبا بارعا ، ويذكر السخاوى(٢٣١) انه (اشتغل

(٢٢٦) الطالع ص ٤٦ و ٤٨ .
(٢٢٧) الأدفوى : المصدر نفسه والصفحة .
(٢٢٨) المقريزى : السلوك ج ٢/٢ ص ٤٢٥ .
وقد توفى بأدفو في يوم عرفة بعد ما كف بصره .
(٢٢٩) الأدفوى : الطالع ص ١٨٦ .
(٢٣٠) المقريزى : السلوك ج ١/٣ ص ٢٠٦ .
(٢٣١) التبر المسبوك ص ٤٧ و ٤٨ .

وبرع فى النظم ، وآتى منه ما ينتظر فيه) ، وعاش البرهان البهنسى بالصعيد الأوسط الى أن مات سنة ٨٤٦هـ(٢٣٢) ، وقد رثاه النجم بن مهذب بأبيات شعر ، منها(٢٣٣) :

لمـا رأيت الورد ضاع نجده وعـذاره آس عليـه دائر

ومن الشعراء ــ أيضا ــ عمر بن عبد الله بن عامر بن أبى بكر ابن عبد الله السراج الملقب بالزين الأنصارى الأسوانى (ت سنة ٨٦٦هـ)، وقد ولد بأسوان ونشأ بها ، ثم قدم القـاهرة ، فأقام بها فترة من الزمن وتوجه الى دمشق ، فأشتغل بالأدب ، ثم عاد الى القـاهرة ، وقد اهتم بالدراسـات الأدبية ، فنبغ فى النظـم ، وفى ذلك يذكـر السخاوى(٢٣٤) (سلك طريق المتقدمين فى النظم ، لكنه عريض الدعوى، كثير الازدراء لشعراء أهل عصره ، لا يعد أحدا منهم شيئا) ، ومن شيوخ هذا الشاعر ابن خلدون ، وقد وصفه ابن خلدون بأنه « أشعر أهل عصره بعد خطيب بن داريا »(٢٣٥) ، ومن شعر عمر بن عبد الله الزين الأنصارى قصيدة فى مدح السلطان المؤيد حين تولى السلطنة،وله ــ أيضا ــ معجم شعرى « معجم الرجز » ، ومن أبيات هذا المعجم فى الهجـاء :

---

(٢٣٢) السخاوى : المصدر السابق والصفحات .

(٢٣٣) السخاوى : المصدر السابق والصفحة .

(٢٣٤) الضوء اللامع جـ ٦ ص ٩٥ .

(٢٣٥) كان الخطيب بن داريا من رواد الشعر فى دمشق ، وكان الشاعر عمر بن عبد الله الزين الأنصارى الأسـوانى قد تتلمذ على يديه فى دمشق .

السخاوى : الضوء جـ ٦ ص ٩٥ .

ان ذا الدهـــر قد رمانى بقـــوم
هـــم على بلوتى أشـــد حنينـــا
ان افـــه بينهم بشىء أحـــدهم
لا يكـــادون يفقهـــون حديثـــا

ومن هذه الأبيـــات ما خصه الشاعر فى معجمـــه عن فضل أسوان ،ومن ذلك(٢٣٦) :

ان شئت أن تعرف أسوان العرب لتقتفى الآثار من أهل الأدب

ومن الملاحظ أن المصادر المعاصرة لم تذكر لنا فى عصر المـــاليك الجراكسة سوى عـــدد قليل من الشعراء ، ومن المحتمل أن انعـــدام الشعر والشعراء فى بلاد الوجه القبلى فى ذلك العصر يرجع الى مـــا أصاب هذه البلاد من التخريب نتيجة ثورات العربان ، وجور الولاة، فضلا عن الأزمات التى حلت بهذه البلاد من وراء أخطار الفيضانات •

أما العلـــوم العقلية فهى التى تعتمـــد على الملاحظة والادراك الحسى والاستنتاج ، ويذكر عنهـــا ابن خلدون(٢٣٧) ، انها لازمـــة للانسان من حيث انه ذو فكر ، وتشتمل هذه العلوم على علم المنطق، وهو علم يعصم الذهن عن الخطأ ، وفائدته تمييز الخطأ من الصـــواب فيما يلتمســـه النـــاظر فى الموجودات ، ثم العـــلم الطبيعى ، ومهمتـــه النظر فى المحسوسات من الأجسام العنصرية المكونة من المعدن والنبات والحيوان ، والأجسام الفلكية والحركات الطبيعية ، والعلم الالهى، وهو علم ما وراء الطبيعة ، العلم الرابع وهو الناظر فى المقـــادير ،

---

(٢٣٦) السخاوى : المصدر السابق والصفحة ـ الحويرى : أسوان ص ١٨٩ •

(٢٣٧) ابن خلدون : المقدمة ، الفصل العاشر ، انظر •

ويشـــتمل على علم الهندســة والحساب ، وعلــم الموسيقى وعلــم الهيئــة(٢٣٨) • —

ومن بين العلــوم العقلية فى مصر علــم التاريخ ، وقد اهتــم المؤرخون المصريون منذ الفتح العربى لمصر بتاريخ بلادهم واعتنوا به عنــاية كبرى ، ونلاحظ ان أوائل المؤرخين لمصر الاســلامية كانوا — جميعا — أخبــارين بمعنى أنهم يكتفون بجمع الأخبــار على طريقــة المحدثين فى جمع الحديث دون أن يتعرضوا لتحليلها أو اســتخراج النتائج السياسية والاجتماعية من خلالها ، كما فعل المؤرخين المسلمون فيما بعد(٢٣٩) ، من بين الاخباريين المصريين ، محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى (ت سنة ٣٥٠هـ) ، ومن أشهر مؤلفاته فى التــاريخ كتابه « الولاه والقضاه » وقد بين فيه تاريخ الولاه والقضــاه الذين تولوا حكم مصر منذ الفتح العــربى بحسب الترتيب الزمنى لمجيئهم الى الديار المصرية ، وقد تعدد ظهور الاخبارين من مؤرخى مصر بعد الكندى ، نذكر منهم ابن زولاق (ت ٣٨٧هـ) الذى صنف كتــابا فى فضائل مصر ، وذيلا على قضــاة مصر الكندى والمختــار عز الملك محمد ابن عبد الله المسبحى (ت عام ٤٢٠هـ) ، وكان شيعيا ، وألف عــدة كتب منها كتابا فى تاريخ مصر ، وقد شهد العصر الفاطمى مؤرخا آخرا وهو أبو عبد الله محمد بن سلامه بن جعفر القضاعى (ت عام ٤٥٤هـ) وكان شــافعيا ، وألف عــدة كتب منهــا كتــابه المعــروف باســم « الخطط » •

وظهــر فى العصرين الأيوبى والمملــوكى جمع كبــير من أولئك المؤرخين الذين يختلفون فى نزعاتهم وأهوائهم ، مذاهبهم فى كتــابة

---

(٢٣٨) ابن خلدون : المقدمة ، الفصل الرابع ، انظر •
عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية ص ٢٧٧ •
(٢٣٩) عبد اللطيف حمزة : المصدر نفسه ص ٢٨٩ وما بعدها •

التاريخ ، ولقد رتبهم الباحثون طبقات خمسا فطبقة لكتابة السير الخاصة ، وطبقة للتراجم العامة ، وطبقة لتواريخ المدن والبلدان ، وطبقة لتواريخ البلدان وطبقة للتاريخ العام(٢٤٠) .

وسنرى فى حديثنا عن الكتاب والمؤرخين الذين ظهروا فى بلاد الوجه القبلى أن بعض المؤرخين تخصصوا فى كتابة تاريخ الدول الاسلامية وآخرين تخصصوا فى كتابة التراجم المصرية ، والبعض الآخر انفرد بكتابة الموسوعات .

ومن هؤلاء الكتاب والمؤرخين نذكر أبو الحسن على بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد الملقب بجمال الدين (ت ٦٤٦هـ) وقد ولد بمدينة قفط من أعمال قوص ، وتلقى علومه الأولية بها ، وتتلمذ بالقاهرة ، وانتقل الى بيت المقدس ، وقضى هناك نحوا من خمسة عشر عاما يعكف على الدراسات الاسلامية(٢٤١) .

وكان لجمال الدين اهتمامات شديدة بالكتب التى كانت تحمل اليه من الآفاق ، وجمع منها ما لا يوصف ، وقد اهتم بتاريخ البلاد الاسلامية فألف فيها عدة كتب ، نذكر منها « تاريخ مصر »(٢٤٢) ، « وتاريخ اليمن »(٢٤٣) « وتاريخ آل سلجوق »(٢٤٤) ، كما ألف

---

(٢٤٠) عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى ص ٢٩٢ .

(٢٤١) ياقوت : معجم الأدباء جـ ٥ ص ٤٧٧ .

انتقل جمال الدين من بيت المقدس الى حلب حيث عهد اليه ادارة الأموال عام ٦١٠هـ ، وظل على ذلك الى أن عين وزيرا بمدينة حلب سنة ٦٣٣هـ .

(٢٤٢) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ١ ص ٢٣١ .

(٢٤٣) حاجى خليفة : المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٣٦ .

(٢٤٤) حاجى خليفة : المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٣٠ .

موسوعة تاريخية فى التراجم سماها « أنباء الرواة على أنباء النحاة »، وقد ترجم فى هذا المؤلف لكثير من العلماء والفقهاء حتى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد وضع شمس الدين الذهبى (ت سنة ٧٤٨هـ) مختصر لهذا المؤلف(٢٤٥) ، كذلك كتب جمال الدين ابن القفطى كتابا فى التاريخ العام سماه « تاريخ ابن القفطى » ، وهو تاريخ كبير صنفه طبقا للترتيب الزمنى على احداث السنين(٢٤٦) .

وظهر من أبناء الوجه القبلى أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم المعروف بشهاب الدين النويرى (ت ٧٣٣هـ) ، وقد ولد حوالى عام ٦٧٧هـ بقرية نوير من الصعيد(٢٤٧) الأوسط ونشأ بها ، وسافر منها الى قوص — وهى يومئذ من أعظم البيئات العلمية بالديار المصرية وتربى بها تربية علمية حيث عكف على دراسة كتب السير ، ونسخ بعضها ، وانتقل الى القاهرة ، وقربة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون ، ووكله فى بعض أموره ، ويذكر النويرى أنه اشتغل بصناعة الكتابة ثم اشتغل بأعمال الحكومة ، فعمل فى جرائد الحساب والمقايسات ، وانصرف بعد ذلك الى الأدب ، وقد أخذت الدراسات التاريخية قدرا كافيا عند النويرى وليس أدل على ذلك من أن الموسوعة التى ألفها فى فنون الأدب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » اشتملت على جزء كبير عالج فيه القضايا التاريخية ، فتحدث عن نظام الحكومة، فيصف حقوق السلطان وواجباته ، وتحدث عن الوزارة وأقسامها ، ونظم الجيش ، وشروط القضاء ، وولاية المظالم والحسبة وما يشترط فى المحتسب ، وما يقوم به من الأعمال كمراقبة الأسواق ونحو ذلك ، كما تحدث عن الغزو فى البر ، والغزو فى البحر ، وغير ذلك من الأمور ،

---

(٢٤٥) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ١٥٢ .
(٢٤٦) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ١ ص ٢٣٠ .
(٢٤٧) احدى قرى مدن بنى سويف الحالية .

ويحتوى حديث النويرى عن التاريخ على خمسة أقسام استعان عليها بالاطلاع على مصــادر كثيرة(٢٤٨) ومن ذلك اســتطاع أن يلم بأكثر المعارف الانسانية فى عصره •

ومن الكتاب الذين ظهــروا فى بلاد الوجه القبلى كمــال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوى الشــافعى (ت ٧٤٨هـ) ، وقد ولد عام ٦٨٥هـ بمدينة أدفو — من الصعيد الأعلى — وقد نبغ فى دراسة سير الأعلام المصريين ، وترجم لهم ، وكان أكثر تعصبا فى كتاباته لصعيد مصر ، فوضع كتابا فى تراجم النابغين من هذا الاقليم بوجه أخص ، وســماه « الطالع السعيد الجامع لاسماء نجباء الصعيد » ، وقد ترجم فى هذا المؤلف لثلاثة وتسعين وخمسمائة رجل وامرأة من نجباء صعيد مصر وحده ، ومهد لهذا الاقليــم بوصف جمع فيه حدوده ، ومحاســنه ، وغرائبه ، وأقسامه ، مدنه ، وما به من ربط وزوايا ، وأماكن للعلم والعبادة ، وأسواق وحمامات وغــير ذلك ، ومن كتب الأدفــوى فى التراجم كتاب « البدر السافر فى تحفة المسافر » وخص فيه وفيــات القرن السابع الهجرى(٢٤٩) •

ومن مؤرخى القرن التاسع الهجرى نذكر جلال الدين عبدالرحمن ابن أبى بكر السيوطى (ت سنة ٩١١هـ) ، وقد ألف فى تاريخ مصر والقاهرة كتابا سماه « حسن المحــاضرة فى اخبار مصر والقاهرة » أرخ فيه لملوك مصر ومن دخلها من الأنبياء والحكماء ، ثم أظهر لنا فضائل مصر ، وأهراماتها ، وتحدث عن الاسكندرية ، ومن دخلها من الصحابة والتــابعين ، وذكــر أعيانها ثم ملــوك مصر ونوابهــا فى العصــور

---

(٢٤٨) حاجى خليفة : المصدر نفسه جـ ٢ ص ٦١٩ •
عبد اللطيف حمزة : المصدر نفسه ص ٣١٨ وما بعدها •
(٢٤٩) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ١ ص ١٨٩ •

الاسلامية ، والجيوش والحروب ، واهتم بالاشارة الى المنشآت فى مصر على مر العصور الاسلامية من المساجد والمدارس(٢٥٠) ونحو ذلك ، كما كتب السيوطى كتابا آخر فى التاريخ وهو «تاريخ الخلفاء» أرخ فيه للعهود الاسلامية منذ عهد الخليفة الأول أبى بكر الى عهد السلطان المملوكى الأشرف قايتباى (٨٧٢هـ — ٩٠١هـ) طبقا للترتيب الزمنى ، مبينا الأحداث التى وقعت فى كل عهد ، وركز حديثه على الأئمة ودورهم فى تطور الأحداث ، ويعلق حاجى خليفة(٢٥١) على هذا الكتاب بأنه أحسن ما صنف عند السيوطى .

ومن العلوم الطبيعية التى مهر فيها علماء الصعيد علوم الطب والكيمياء ، والمعروف أن هؤلاء العلماء كانوا على دراية بأمور وعلوم القبط(٢٥٢) ، قد عكفوا على دراسة هذه العلوم واستوعبوها ، ومن العلماء نذكر مبادر ابن نجيب بن حسين بن جعفر بن أبى الفرج الأسوانى المعروف بالفقيه(٢٥٣) الطبيب (ت عام ٥٧١هـ) ، وهبه الله بن عبد الله الأسوانى (ت عام ٦٤٢هـ)، ويذكر السبكى(٢٥٤) أنه «تولى على الأطباء بالديار المصرية»،واشتهر باتقانه لعلم الجراح(٢٥٥)، ويحسبه الأدفوى (٢٥٦) من بين علماء الطب النابغين ، فيذكر عنه

---

(٢٥٠) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ١ ص ٤٣٨ ، انظر .

(٢٥١) كشف الظنون جـ ١ ص ٢٢٥ .

(٢٥٢) من بين هذه الأمور تلك التى كانت على جدران البرابى المنتشرة فى بلاد اخميم ودندرا وانصنا ، انظر .

(المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٣٩ و ٢٤٠) .

(٢٥٣) الأدفوى : الطالع ص ٤٧٤ .

(٢٥٤) طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١٦٣ .

(٢٥٥) ابن أبى اصبيعة : عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٢٢ .

(٢٥٦) الطالع ص ٦٩٠ .

أنه كان قيمازا من الطب ، ومن الأطباء فى صعيد مصر على بن منصور ابن محمد بن المبارك الاسنائى المنعوت بالشمس (ت سنة ٦٨٠هـ) ، وقد أخذ علوم الطب عن « ابن بيـان »(٢٥٧) ، واشتهر بالمعرفـة والحذق حتى اقبل عليه الناس يتباركون بعلومه فى الطب ، ومفضـل ابن هبه الله بن على الجميزى الضياء الاسنائى (ت سنة ٦٩٠هـ) ، وقد عرف « بابن الضـبعة » واشـتغل بالمعقولات فغلب عليه الطب ، وباشر دراساته فى هذا العلم على الشـيخ علاء الدين بن النعيس ، ونبغ ، وصنف عدة كتب من بينها كتاب « الترياق »(٢٥٨) ، ومن أطباء الصعيد ـ أيضا ـ محمد الحسين بن ثعلب الأدفوى (ت ٦٩٧هـ) ، وأمضى حياته بأدفو يباشر علوم الطب(٢٥٩) ، والحسـين بن منصور أبو عـلى الحسام الاسـنائى ، وقد اشـتغل بصناعة الطب ، وعاش « باسنا » حتى أوائل القرن الثامن الهجرى جيد المداواه وكان يجتمع اليه كثيرون لحضـور مجالس مناظراته فى فروع العـلم ، ويذكر عنه الأدفوى(٢٦٠) (قيمـا فى علوم الطب ، متوجسـا ، يطرف جليسـه بمحاسن العلوم ويعرب فى البحث عن كل خص من المعارف مكتهم) ، ومن الأطباء عمر بن على بن أحمد الاسـنائى (ت سـنة ٧٠٥هـ) ، وقد درس الطب على أبيه « المكرم » ، وشمس الدين محمد بن شواق، وقد نبغ فى هذه العلوم ، وباشر صـناعتها فى « اسـنا » من الصعيد الأعلى ، ويذكر عنـه شمس الدين(٢٦١) بن شواق انه « ابقـراط

---

(٢٥٧) الأدفوى : الطالع ص ٤١٨ .

(٢٥٨) الأدفوى : الطالع ص ٥١٥ .

(٢٥٩) الطالع السعيد ص ٢٣٠ و ٢٣٢ .

(٢٦٠) الطالع السعيد ص ٢٣٠ ـ ٢٣٢ .

(٢٦١) كان من علماء الطب المشهورين ، ولد عام ٥٤٣ وتوفى عام ٦٢٣ هـ (الأدفوى : الطالع السعيد ص ٤٤٨) .

عصره»(٢٦٢) ، وكان اسماعيل بن جعفر بن على الأدفوى (تسنة٧١١هـ) من أطباء « ادفو »(٢٦٣) من الصعيد الأعلى ، واهتم بدراسة علوم الطب فى صعيد مصر — أيضا — عبد الرحمن بن أبى بكر الاسيوطى (ت سنة ٨٤٩هـ) ، وقد أكمل دراساته فى القاهرة ، حيث اقبل على دراسة مختصرين فى الطب للطبيب المشهور « ابن جماعة » ، أما جلال الدين السيوطى (ت سنة ٩١١هـ) فقد أولى اهتماما بالغا بعلوم الطب فى كتاباته ومن أشهر ما كتبه فى ذلك كتابه « الطب النبوى » ، وقد بين فيه قواعد الطب ، والأدوية وصناعتها ، وتحدث عن الأغذية ، والأمراض وطرق العلاج ، ويقع هذا الكتاب فى ثلاثة فصول استعان فيها السيوطى بالاطلاع على كتب الطب القديمة ، والنتائج التى توصل اليها الأطباء(٢٦٤) ، وكان هذا المؤلف متداولا ، وكتب فيه رسالة أبو الحسن على ابن موسى الرضا ، وجمع محتوياته الحبيب النيسابورى وغيره من العلماء(٢٦٥) .

كذلك نشط أهل الوجه القبلى فى دراسة علم الكيمياء(٢٦٦) وأخرجوا فيه أبحاثا،ومن اشهر علماء الكيمياء جمال الدين عبد الرحيم

---

(٢٦٢) الأدفوى : الطالع ص ٤٤٨ .

يعتبر ايقراط المعلم الانسانى الأول لمهنة الطب ، وهو أول من رتب الطب وبوبه ، وذلك فى القرن الخامس قبل الميلاد ، ولقد بنى الطب على أسس علمية صحيحة وطهره من الخرافات ، وجعل التجربة الصحيحه أساسا له .

(عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية ص ٢٩١) .

(٢٦٣) الأدفوى : الطالع ص ١٥٧ .

(٢٦٤) حاجى خليفة : كشف الظنون ج ٢ ص ٨٨ .

(٢٦٥) حاجى خليفة : المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٨ .

(٢٦٦) وهو علم يعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية =

ابن الحسن الاسنوى (ت عام ٧٧٢هـ) درس الكيمياء ، وأقام فى بلاد الصعيد فترة من الزمن ، وألف كتابا فى الكيمياء سماه « جواهر البحرين »(٢٦٧) ، ومنهم السيد نورالدين أبى الحسن على بن عبدالله السمهودى (ت عام ٩١١هـ) ، ومن كتبه التى ألفها فى هذا العلم « جواهر العقدين فى فضل الشرفين شرف العلم الجلى والنسب العلى » ، ويقع هذا الكتاب فى مجلد واحد على قسمين وعالج فيه المؤلف فضل العلم والعلماء ، واهتمامات العلماء بجواهر المعادن واستخلاص العناصر وذلك فى ثلاثة أبواب أودعها فى القسم الأول من الكتاب(٢٦٨) .

كذلك كتب جلال الدين السيوطى (ت عام ٩١١هـ) كتابا فى المحسوسات والأجسام عند الحيوان ، سماه « حسن السير فيها فى الغرس من أسماء الطير » ، وقد وضع السيوطى فى هذا المؤلف قائمة بأسماء الحيوان تحوى خمسة وثلاثين اسما ، واهتم السيوطى بدراسة المكونات الجسمية والعناصر المختلفة التى تميز بها كل نوع(٢٦٩) .

كذلك نشط أهل الوجه القبلى فى علوم الرياضيات ، ومن أشهر علماء الرياضيات ، محمد بن ابراهيم بن محمد البكر السبتى (ت سنة ٦٩٥هـ) ، درس الهندسة ، وأقام بمدينة قوص ، وظل بها

=

« وجلب خاصية جديدة اليها » ، كذلك يهتم العلم بالنظر فى المحسوسات الأخرى من النبات والحيوان والأجسام الفلكية .

(حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ٢ ص ٣٤١) .

(٢٦٧) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ١ ص ٤٠٨ .

(٢٦٨) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ١ ص ٤٠٩ .

(٢٦٩) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ١ ص ٤٣٨ .

يعكف على الدراسات الهندسية حتى توفى(٢٧٠) ، والحسن بن على ابن عمر الاسنائى (ت سنة ٧١٧هـ) وكان على دراية بعلوم الجبر والمقابلة والهندسة ، وشارك فى تدريس هذه العلوم بمدينة « اسنا » من الصعيد الأعلى(٢٧١) ، كذلك شارك فى هذه العلوم عطاء الله بن على بن زيد بن جعفر الجميزى المنعوت بنور الدين بن الثقة الاسنائى (ت عام ٧١٨هـ) ، وقد أخذ علوم الجبر والمقابلة من أستاذه بهاء الدين هبة الله القفطى ، وأقام على تدريس هذه العلوم بالمدرسة الافرمية بمدينة « اسنا » ستين سنة أو قريبا منها ، تتلمذ على يديه الكثير من الدارسين(٢٧٢) ، كذلك كان محمد بن عيسى الجمحى الأسوانى (ت عام ٧٢٣ هـ) من النابغين فى علوم التوثيق والحساب(٢٧٣) ،وفى هذه العلوم نبغ أيضا أحمد بن اسماعيل بن داود الأقصرى (ت عام ٧٢٤هـ) وقد أقام على التدريس فى مدينة قوص ، واستفاد من علومه فى الجبر والمقابلة كثيرون(٢٧٤) ، كما برع فى علوم الرياضيات بالوجه القبلى القادر بن المهذب بن جعفر الأدفوى (ت عام ٧٢٥هـ أو ٧٢٦هـ) وعبد الرحمن البوتيجى الذى درس علوم الفرائض والحساب والجبر على أيدى الشمس القرافى بالقاهرة(٢٧٥) .

ومن العلوم العقلية علم الفلك ، وهو علم ينظر فى حركات الكواكب الثابتة أو المتحركة على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها الحركات المحسوسة بطرق هندسية ، وقد عنى المسلمون فى العصر العباسى

---

(٢٧٠) الأدفوى : الطالع ص ٤٧٧/٤٧٩ .

(٢٧١) الأدفوى : الطالع ص ٢٠٨ .

(٢٧٢) الأدفوى : الطالع ص ٣٦١/٣٦٢ .

(٢٧٣) الأدفوى : الطالع ص ٦٠١ و ٦٠٢ .

(٢٧٤) الأدفوى : الطالع ص ٧٩ .

(٢٧٥) السخاوى : الضوء ج ٤ ص ١١٥ .

منذ عهد الخليفة المنصور برصد الكواكب والنجوم(٢٧٦) ، من المعروف أن اليونانين كانوا من أكثر الشعوب التى عنيت بالرصد كثيرا ، ويتخذون له الآلات ليرصد بها حركة الكواكب المعينة ، وأخذ المصريون عن اليونانيين الكثير فى هذا المجال ، وكان القبط الأوائل فى الوجه القبلى من العارفين بعلوم الفلك ، لما لهم من صلات قديمة بعلوم اليونان ، وتوارث أبناء الوجه القبلى هذه العلوم الى أن جاء القرن السابع الهجرى وجدنا علماء نبغوا فى علوم الفلك ، وأخرجوا فيها أبحاثا ، ومن علماء الفلك فى الوجه القبلى ، جعفر بن اسماعيل ابن الشير الاسنائى ، كان من مشاهير « اسنا » فى علوم الفلك ، ونستنتج من اشارات الأدفوى انه ظل يباشر هذه العلوم بمدينة « اسنا » الى أن توفى فى مطلع القرن الثامن الهجرى(٢٧٧) ، وكذلك كان اسماعيل بن عبد الرحيم بن على بن الحسن الأدفوى (ت عام ٧٢٧هـ) على معرفة بأحكام النجوم ، وأقام حياته بمدينة ادفو من الصعيد الأعلى حتى توفر بها حجة فى علم الفلك ، وملتقى الدارسين من سائر البلاد(٢٧٨) .

ومن العلماء الذين اهتموا بعلوم الفلك ، وأخرجوا منها ابحاثا جلال الدين السيوطى (ت عام ٩١١هـ) ، ومن أبحاثه ، وصف اللالىء فى وصف الهلال »(٢٧٩) ، وهو مؤلف يبين لنا اهتمامات السيوطى بعلم الرصد .

---

(٢٧٦) عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية ص ٢٨٤ .

(٢٧٧) الأدفوى : الطالع ص ١٧٨ .

(٢٧٨) الأدفوى : الطالع ص ١٦٠ .

(٢٧٩) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ١ ص ٥٧٤ .

وقصارى القول أن الحركة العلمية سـارت فى بلاد الوجه القبلى بخطى واسعة نحو التقدم والارتقاء حتى ازدهرت فى القرون السادس والسابع والثامن من الهجرة .

أما عن دور القبط فى الحياة العلمية ، فقد أسهموا بنشاط بارز فى مجال العلم والأدب ، ومما ساعد على ذلك أن موقف الحكام فى عصر سلاطين الايوبيين والمماليك قد أتاح لهم أن يعيشوا بجانب المسلمين فى سلام داخلى لم يعكره عليهما غير ما كان يحدث — أحيانا — من جانب بعض الثورات التى حرمت فى طريقها كل نية حسنة .

والمعروف أن اللغة القبطيـة قد زالت من الحياة اليومية منـذ القرن السابع الهجرى ، وضعف أمرها فى الأديرة التى أخذ أصـحابها يكتبون رسائلهم باللغة العربية ، على أن الأقلية القبطية التى ظلت على مسحيتها فى صعيد مصر زمن الأيوبيين والمماليك قد استمسكت بلغتها الأصلية بجانب اللغة العربية ، مما يؤكد تمسكها بعقيدتها ، وقد حافظت هذه الأقلية على عقيدتها ، واتخذت من الدراسات العلمية سـبيلا الى ذلك ، فعكف أبناؤها عـلى الدراسات الدينية ، وبرز منهـم مثقفون أسهموا فى مجال الفكر الدينى .

وتركزت مراكز الثقافة القبطية فى دور العبـادة فكانت بالأديرة دورا واسعة للعلم والأدب ، وتبدأ هذه الدور بالكتاتيب أو المكـاتب التىيتلقى فيها الطفل المسيحى العلوم الأولية ، وتشمل مبادىء الديانة المسيحية وبعض القصص الدينى فضلا عن مبادى اللغة العربية وبعض العلوم التى برع فيها النصارى ، مثل علم الحساب(٢٨٠) .

---

(٢٨٠) أشار ابن الحاج الى أن المسيحيين قد بلغـوا شـأوا عظيما فى تعليم الحساب بالمكاتب مما دفع بعض المسلمين الى تقديم أطفالهم الى هذه المكاتب لتعليمهم .

(ابن الحاج : المدخل ، جـ ١ ص ٣٢٦ — ٣٣٠) .

وقد تولى الرهبان مهمة التدريس بهذه الدور ، ولم يكن التعليم قاصرا على الذكور ، بل كان يتنـاول الاناث ، وقد عثر على مؤلفـات مكتوبة بخط الراهبات يظهر منها أنه كان يوجد بينهم اناث من بنـات كن يحسن القراءة والكتابة بالقبطية واليونانية على السواء(٢٨١) ، مما يشير الى أن التعليم فى الأديرة استهدف أحياء اللغة القبطية وآدابها ٠

وقد أقبل الرهبان على التأليف والتصنيف ، ونسخ الكتب ، وكانت الأديرة غنية بمكتباتها المكتظة بالمؤلفات القبطية التى تتناول موضوعات دينية وعلمية وأدبية (٢٨٢) ٠

ومما يجدر ذكره أن جميع المؤلفات القبطية يقع تاريخهـا بين القرنين الرابع والثامن الهجريين ، فقد اقترنت هـذه الفترة التاريخية بظهور طائفة من الكتاب والمؤرخين والأدباء الأقبـاط ، وكتب هؤلاء ــ جميعا ــ فى تاريخ مصر ، واعتمدوا فى ذلك على مصادر اسلامية ، وكتبوا كتبا هامة فى تاريخ الأديرة ، كما أقبلوا على تأليف الكتب الدينية وتراجم الحياة القديسيين ، واهتموا فى هـذه التراجم بابراز أفعـال القديسيين الطيبة ، وركزوا على حسنات الأدب الشعبى ومساوئه معا ، ودفعهم الى ذلك رغبتهم فى تهذيب النفس بين طبقات الشـعب الغير مستنيرة ، ومن ثم عالجت هذه المؤلفات جـانبا من جوانب المعجزات وفوارق العادات (٢٨٣) ٠

وقد استمرت النهضة العلمية فى الوجه القبلى فى داخل الأديرة حتى القرن التاسع الهجرى ، وقد ظهر من أبناء القبطية بهذا الاقليم

---

(٢٨١) ميخائيل بحر : تمريخ القديس الأنبا يوحنس القصير ص٢٩

(٢٨٢) سعاد ماهر : محافظات ج ٠ ع ٠ م وآثارها الباقية ص٢٢

(٢٨٣) عبد اللطيف حمزة : الحـركة الفكرية فى العصرين الأيوبى والمملوكى ص ٣٥٦ ٠

مجموعة من الكتاب والنساك تولوا قيادة الفكر الدينى المسيحى ، نذكر منهم على سبيل المثال ، بولس البوشى ، وقد ولد فى بوش — من الصعيد الأوسط ، ونشأ بها فى بداية القرن السابع الهجرى ، وتلقى علومه فى أحد أديرة مدينة الفيوم من الصعيد الأدنى — العامرة وقتئذ بالأديرة(٢٨٤) ، وقد نبغ فى الدراسات القبطية حتى صار راهبا ثم قسيسا فى نفس الدير الذى ترهب فيه ، وذلك حسب العادة المتبعة فى الأديرة فى ذلك الوقت (٢٨٥) ، وقد أظهر بولس البوشى حينما كان قسا بمدينة الفيوم نشاطا فى مختلف نواحى المعارف المسيحية ، فألف عدة كتب فى علوم اللاهوت النظرى والأدبى والفصاحة الدينية ، وأصول الجدل ، وتفسير الكتاب (٢٨٦) ، صار من أشهر الدارسين الذين قدموا للأقباط المقالات اللاهوتية التى تعالج العقائد والقضايا فى الأدب المسيحى ، ولا تزال مؤلفات بولس البوشى محفوظة فى النسخ الخطية ، ولم ينشر منها الا الاصحاحان الأخيران من تفسيره لسفر الرؤيا وميمر الغطاس .

ومما يجدر ملاحظته أن مؤلفات بولس البوشى انتفع بها أقباط الوجه القبلى ، حيث انتقلت من الفيوم الى كافة أديرة هذا الاقليم ، وأقبل الدارسون على دراستها ، وأفادوا منها (٢٨٧) .

ومن رجال الفكر الدينى المسيحى فى الوجه القبلى الأسقف كيرلس بن لقلاق ، وكان كيرلس قد تلقى علومه فى دير بالفيوم مع زميله

---

(٢٨٤) يعقوب موزر : انبا بولس البوشى ، ص ٢١٥ .

(٢٨٦) يعقوب موزر : المصدر نفسه والصفحة .

(٢٨٦) يعقوب موزر : المصدر نفسه ص ٢١٥ ، وما بعدها .

(٢٨٧) يعقوب موزر : المصدر نفسه ص ٢٢٠ ، وما بعدها .

بولس البوشى فى بداية القرن السابع الهجرى ، وقد ترقى فى المناصب الدينية حتى أصبح راهبا ثم قسيسا بمدينة الفيوم ، ونبغ فى العلوم الدينية ، وصار من أئمة الأقباط ، فنصب بطركا فى بداية عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، وتذكر عنه المراجع المسيحية أنه كان رجلا عالما ، فاضلا فيه عدة فنون من الفضيلة (٢٨٨) •

وظهر من أبناء الوجه القبلى فى القرن الثامن الهجرى مجموعة من الكتاب الأقباط ، نذكر منهم على سبيل المثال فرج الله الأخميمى ، وقد نبغ فى العلوم الدينية واللغوية ، والفلسفية ، والتاريخية(٢٨٩) ، ونبغ أيضا ــ من أبناء هذا الاقليم فى القرن التاسع الهجرى مجموعة من رجال الكنيسة ، نذكر منهم ، فى الصعيد الأوسط « صليب البنا » ، وقد تلقى علومه فى دير « أبو حنس » (٢٩٠) ، وعكف على دراسة علوم الأولين ونسخ منها عدة كتب (٢٩١) •

وصفوة القول أن الأقباط تمتعوا بحياة هادئة مما كفل لهم المضى فى طريق النهضة العلمية حتى القرن لتاسع الهجرى ، وقامت الأديرة بدور بارز فى نشر الفكر المسيحى فى بلاد الصعيد •

مما تقدم يتضح لنا أن الحياة الثقافية فى بلاد الصعيد أخذت قدرا كبيرا من الازدهار فى عصر الأيوبيين والمماليك حتى القرن التاسع الهجرى ، وأن علماء الصعيد أسهموا بنصيب وافر فى التقدم العلمى فى مصر ، وتجلى ذلك فيما قدمناه من اجتهادات العلماء فى مختلف العلوم •

---

(٢٨٨) G, Graf.
Catalogue de anss Arabes Chrestiens
Conservies au Cairo (stud é test, 83)

(٢٨٩) موريس مكرم : ابن كبر جامع العلوم الفلسفية ص ٢٦٩ •

(٢٩٠) أحد أديرة انصنا •

(٢٩١) ميخائيل بحر : تاريخ القديس ابى حنس القصير ص ٧١

خــاتمة

وبعد فانه يمكننا أن نلخص نتائج البحث ، والحقائق التى كشفنا عنها على النحو التالى :

أن أهم ما يتميز به الوجه القبلى تطور الحضارة فيه ، وظهورها بمظهر يعتبر نواة لنهضة مصر فى عصر الأيوبيين والمماليك ، فيتجلى لنا انتعاش الحياة الاقتصادية فى هذين العصرين بفضل ما بذله السلاطين من جهود موفقة فى سبيل تنمية موارد الثروة فى الوجه القبلى ، وقد رأينا أن محصولات بلاد الصعيد قد أفادت مصر كثيرا ، فارتفع منها الكثير الى سائر البلاد المصرية الأخرى ــ خصوصا ــ فى أوقات الأزمات وظل الأمر على تلك الحال حتى القرن التاسع الهجرى •

وقسمت أراضى الصعيد طبقا للنظام الاقطاعى السائد اقطاعات على السلاطين والأمراء والأجناد ، وكانت هذه الأراضى جليلة القدر بحيث صار للديوان السلطانى جزء كبير منهــا •

واختلفت القيمة الزراعية للأرض باختلاف خصوبتها وما يزرع فيها ، فوجدنا أراضى الصعيد الأوسط أكثر خصوبة ، وازداد محصول الأرض الزراعية فى الوجه القبلى فى عصر المماليك ، وبلغ الأمر أن أكثر خراج الوجه القبلى كان عينا من قمح وشعير وحمص وعدس ونحوها •

وتظهر الأهمية الاقتصادية لبلاد الصعيد ــ بشكل بارز ــ فى مجال التجــارة ، فقد قامت هــذه البلاد بدور هام فى تجــارة مصر مع بلاد الشرق ، وكانت مدن الصعيد الواقعة على رأس طرق القوافل مستودعا هائلا للســـلع التجارية الواردة من هذه البلاد ، ولم يقتصر دور هذه البلاد على ذلك ، بل شمل شــيئا آخر يرتبط بدورها فى ازدهار التجارة الداخلية ، فنشطت حركة التجارة الداخلية فى مصر بفضل تلك الصــلات

التى قامت بين بلاد الصعيد والعاصمة ، وقد يسرت المواصلات الداخلية النيل والطرق البرية الممهدة سبيل هذا الاتصـــال ، وقد رأينا كيف أن حركة التجــارة الداخلية ازدهرت فى المدن النيلية ، والمدن الواقعة على رأس طرق القوافل ، فقد كانت أسواقها تموج بكبار التجار كما كانت الحوانيت تضيق بالباعة فى بعض الأحياء .

كذلك كان للصناعة النصيب الأوفر من عناية أهل الصعيد،وقد فطن السلاطين لذلك ، فوجهوا اهتمــامهم الى ترقية مراكز الصنـــاعة فى الصعيد ، نخص بالذكر منها مركز صناعة المنسوجات فى الفيس والبهنسا وأخميم ، ومركز صناعة السكر فى ملوى وسمهود وقفط ، وقد بلغت هذه الصناعة أوجها فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

كذلك عنى المصريون فى بلاد الصـــعيد ببعض الصنـــاعات التى اشتهروا بها من عهد بعيد ، منها صناعة المعادن ، وقد أولى السلاطين اهتمامات بالغة بمناجم المعادن فى الصعيد بالقرب من قوص والواحات وخصصوا لها المباشرون والأمنـــاء لجمع ما يســـتخرج منها وحمله الى الخزائن السلطانية .

ولم تقتصر بلاد الصعيد على ما كانت تنتجه من هذه الصناعات ، بل انفرد أهلها بعمل بعض الصناعات المحلية التى تجلى فيها الابداع ، وأقبل عليها الناس من سائر البلاد ، نذكر منها على سبيل المثال صناعة الحصر وصناعة الفخار وصناعة اللجم .

وكان يقطن ببلاد الصعيد فى عصر الأيوبيين والمماليك عدة عناصر من السكان ، وعاشت هذه العناصر فى حب ووئام ، وتؤكد المصـــادر أن أهل الذمة من الأقباط واليهود تمتعت فى صـــعيد مصر بحق تنظيم نفسها دون أى تدخل من جانب الدولة ، وقد مـــارسوا كـــافة أنواع النشاط الاقتصادى ، كما أنهم تملكوا العقارات فى ســـائر البـــلاد ـــ

وبالذات الأقباط — ومن الحقائق الهامة أن أهل الذمة ساهموا بإيجابية في نشاطات المجتمع المصرى فى عصر المماليك ، وشاركهم المسلمون الاحتفال ببعض أعيادهم •

والواضح أن سلاطين الأيوبيين والمماليك احترموا أماكن العبادة الخاصة بالأقباط فى بلاد الصعيد ، كما عاملوهم — فى معظم الأحيان — بما ينطوى على العطف والرعاية •

أما العرب ، فقد عاشوا فى بلاد الصعيد — زمن الأيوبيين — فى هدؤ وسكينة ، فى حين كانوا — زمن المماليك — أكثر ضراوة من عربان الوجه البحرى ، وأرسل اليهم السلاطين الحملة تلو الحملة ، وأنزلوا بهم خسائر فادحة •

والواقع أن الأعراب الذين انتشروا فى كثير من أعمال الصعيد كان لهم دور كبير فى تاريخ مصر ، ورأينا كيف أنهم انفوا عند قيام دولة المماليك من الخضوع لهؤلاء الحكام الجدد ، بحيث لم يتمكن المماليك من اخضاعهم الا فى صعوبة ، ومنذ ذلك الوقت والعربان لا يتركون فرصة الا استغلوها فى السلب والنهب ، واستطاعوا بهذه الوسيلة الاستيلاء على مساحات شاسعة من الأراضى ، والاستحواز على ثروات طائلة •

وتلمس استقرار القبائل العربية فى بلاد الصعيد من استطابتهم الحياة المدنية فى زراعة الأرض وعمل بعض الحرف ، وقيامهم بالدور الأكبر فى حركة التعريب وانتشار الاسلام ، كما رأينا من جماعات جهينة وربيعة الذين أسهموا فى تعريب جزء كبير من أراضى النوبة ، ولا ننسى فضائل العرب فى بلاد الصعيد ، فقد لمسنا فيهم عديدا من الفضائل حرصوا عليها والتزموا بها مع غير الحكام •

وتتجلى مظاهر العظمة وأبهة الحياة الاجتماعية ببلاد الصعيد فى ترف الحكام الذين عاشوا فى رغد من العيش ، وجمعوا الثروات الطائلة على حساب أهل البلاد ، وعلى الرغم من المتاعب التى ألمت بأهل الصعيد لم تنعدم روح المرح ونلمس ذلك فى اهتمام الناس بالغناء والموسيقى ، واقبالهم على ألوان اللهو ، وضروب الترويح عن النفس •

كذلك اهتم الناس بالصعيد باحياء الحفلات العائلية الى جانب اسهامهم فى احياء الحفلات العامة التى أقاموها عند قدوم الحكـــام والسلاطين الى بلادهم وفى المناسبات العامة •

أما المرأة فى صعيد مصر ، فقد خرجت من عزلتها ، وشاركت الى حد ما فى النهضة العلمية ، والواقع أن الطابع العام للأسرة الاسلامية ظل سائدا فى بلاد الصعيد فى عصر الأيوبيين والمماليك ، سيما من حيث مركز الأب ونفوذه على زوجته وأبنائه •

كذلك نلمس دور بلاد الوجه القبلى فى الحياة الثقافية وما أحرزته من رقى فى الحياة العلمية والأدبية فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، ويمكن القول أن مراكز الثقافة فى الصعيد الأعلى والأوسط قامت بدور كبير فى نشر العلوم الاسلامية ، وقد رأينا كيف أن المدارس فى هذه البلاد قد ساهمت فى خلق جيل من العلماء مما ساعد على تطور النهضة العلمية واستمرارها •

وهكذا يتضـــح لنا أن بلاد الصـــعيد احتلت مكانة هامة فى تاريخ مصر فى عصر الأيوبيين والمماليك ، وكان من الممكن أن تظل هذه المكانة باقية لولا ما أحاط بهذه البلاد من أحداث منذ بداية القرن التـــاسع الهجرى فقد قاست هذه البلاد منذ ذلك الوقت من فساد العربـــان ، وجور الولاة فضلا عن النكبات التى منيت بها من جراء المجاعات ، مما ساعد على اضمحلال المكانة الاقتصادية ، وتدهور العلوم •

ملحق رقم (١)

اراضى الجيزيه فى دواوين مصر فيما بين سنة ٧١٥ حتى نهاية القرن التاسع الهجرى :

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥ نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
أبو رجوان	٨٢٠ فدان		الديوان السلطانى	أوقاف الأشرفية برسباى
أبو شنيف	٥٣٩ فدان		الديوان السلطانى	المقطعون ووقف
أراضى الملك (صفقة ذات الكوم)				الديوان السلطانى
اخصاص عطية				الديوان السلطانى
البلجير	١٠٧٤ فدان			الديوان السلطانى
البوهات	٩٢٠ فدان			الديوان السلطانى ورزق
الحرانية		٧٥٠٠		الديوان السلطانى
البدقى	٢٢٠ فدان			الديوان السلطانى
الحداى	١٢٠ فدان			الديوان السلطانى
الخيضان				الديوان السلطانى
الصالحية	٥٢٠ فدان			الديوان السلطانى
الطرفاية	١١٩٠ فدان		الديوان السلطانى	أوقاف ورزق متفرقة
العزيزية	٨٢٠ فدان		الديوان السلطانى	الأمير يشبك الجمالى
العطف	٥٦٠ فدان			الديوان السلطانى
العارات				الخاص الشريف والديوان السلطانى

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥ نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
الغائلة	١٤٥٠ فدان			الديوان السلطانى
الغشاشية	١٣٢ فدان			الديوان السلطانى
القطورى	٦١٢ فدان			الديوان السلطانى
الكنيسة (من صفقة الزنار)	٢١٢ فدان		الديوان السلطانى	اوقاف رزق
الكوم الصغير	٢٠٠ فدان			الديوان السلطانى
الكوم الأسود	١٦٠ فدان		الديوان السلطانى	وقف البيمارستان المنصورى
الكوم الأحمر				الديوان السلطانى
اللبينى (من صفقة منية القائد)	٦٣٢ فدان			الديوان السلطانى
المحرقة	٢٨٣٠ فدان	١٠٠٠٠	الخاص الشريف	الديوان السلطانى
المعتمدية	١٨٠ فدان			الديوان السلطانى
المعيصرة (من صفقة دهشور وبرنشت)	٦٥٠ فدان			الديوان السلطانى
المعرقب	٧٠٠ فدان			الديوان السلطانى
المنزلقة				الديوان السلطانى
المنصورية (صفقة ذات الكوم)				الديوان السلطانى
الميمون	٢٢٦١ فدان بها رزق ٧٧	١٣٠٠٠		الديوان السلطانى
النخلة				الديوان السلطانى

الجهـة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥ نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
الهيشة (صفقة بشنبل)	٢٧١ فدان			الديوان السلطانى
أم دينار	٧٧٠ فدان			الديوان السلطانى
أوسيم	٥٢٩٨ فدان			الديوان السلطانى
الأخاص	٢٧١ فدان			الديوان السلطانى
بجما	٤٠٠ فدان			الديوان السلطانى
بوسا	٢٠٢٠ فدان		الديوان السلطانى	وقف الظاهر برقوق
برتس	٢٠٠١ فدان			الديوان السلطانى
برك الخيم	٥٢٠ فدان			الديوان السلطانى
بركة الطين	١٤٠ فدان			الديوان السلطانى
برنشت	٢٩٦٠ فدان	١٤٠٠٠	الأملاك الشرقية شعبان	الديوان السلطانى
بشتيل	١٧٠٧ فدان			الديوان السلطانى
نمهـا	١٧٣٠ فدان			الديوان السلطانى
بنى بكار	٦٢١ فدان			الديوان السلطانى
بنى مجدول	١٣٥٠ فدان			الديوان السلطانى
بنى يوسف	١١١٠ فدان			الديوان السلطانى
بهرمس	١١٦٠ فدان			الديوان السلطانى
بهبيب	١٧٠٩ فدان		الديوان السلطانى	وقف الظاهر برقوق
بولاق التكرورى		٤٧٠٠ ٤٤٥٠	الديوان السلطانى	المماليك السلطانية
بيدف	١٧٩٠ فدان			الديوان السلطانى
جيرا	١٢٦٠ فدان			الديوان السلطانى
جزيرة أبوساعد	٢٧٠ فدان			الديوان السلطانى

الجهـة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥ نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
جزيرة الطاير والطمية		٧٠٠٠		الديوان السلطانى باسم الأمراء وأوقاف وأملاك ورزق
جزيرة الأفواز				الديوان السلطانى
جزيرة يدوى (صفقة ذات الكوم)				الديوان السلطانى
جزيرة صيدح	٤٠٠ فدان			الديوان السلطانى
جزيرة محمد	١٣٩٠ فدان			الديوان السلطانى
حاجر أم دينار	٢٥٠ فدان			الديوان السلطانى
حوض البصل (صفقة باشتيل)				الديوان السلطانى
حوض الدقى (صفقة الزينار)				الديوان السلطانى
حوض السنطة البحرى	١٢٠ فدان			الديوان السلطانى
حوض السنطة القبلى	٢١٠ فدان			الديوان السلطانى
حوض المزارعة				الديوان السلطانى
خليج التبن				الديوان السلطانى
دروى	٢٢٥٠ فدان			الديوان السلطانى
دهشور	٢٠١٢ فدان			الديوان السلطانى أمير المؤمنين المستنجد بالله
ذات الكوم	٣١٢٠ فدان			الديوان السلطانى
ريفه جميل	١٣٠٠ فدان			الديوان السلطانى رزق

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥ نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
زكرى الصغير	٨٢ فدان			الديوان السلطانى
ساقية بيان	٢٦٠ فدان			الديوان السلطانى
ساقية خواجا	١٧٤ فدان			الديوان السلطانى
سرديكة	٢٥٠ فدان			الديوان السلطانى
سفارة	٧٩٠ فدان			الديوان السلطانى
سرايار	٥٦٠ فدان			الديوان السلطانى
شبرى منت				الديوان السلطانى
شيمة	٥٣٠ فدان			الديوان السلطانى
صقبل	١٢٠٠١ فدان			الديوان السلطانى
طموية	٢٩٥٠ فدان			الديوان السلطانى
طهما	١١٠٦ فدان		الديوان السلطانى	وقف الظاهر برقوق
قذاحة (صفقة الزينار)	٦٢٠ فدان			الديوان السلطانى
كلداسة	٩٩٠ فدان			الديوان السلطانى
مرج عنتر البحرى	١١٩١ فدان			الديوان السلطانى
مرج عنتر القبلى	١٢٢٠ فدان			الديوان السلطانى
ملقة أوسنيم	٢٩٩٤ فدان			الديوان السلطانى
ملقة الأقصاب	٩٢ فدان			الديوان السلطانى
ملقة بهاى	٣٦٠ فدان			الديوان السلطانى
منشية دهشور	١٣٦٠ فدان		الديون السلطانى	باسم المقطعين وملك ورزق
منشية طموية	٥٦٠ فدان			الديوان السلطانى

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥ نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
منشية نهيا	١٠٠٠ فدان			الديوان السلطانى
منيل المماليك	٢٧٠ فدان		الديوان السلطانى	باسم سعد الدين الأنصارى
منيل بن عسكر	٥٥٠ فدان			الديوان السلطانى
منيل ثابت	٤٠٠ فدان			الديوان السلطانى
منى الأمير	١٦٥١ فدان		الديوان السلطانى	الديوان المفرد
منية الصيادين	٣٠٠ فدان			الديوان السلطانى
منية القائد				الديوان السلطانى
منية رفيع	٥٥٠ فدان			الديوان السلطانى
منية رهينة			الديوان السلطانى	ديوان الدولة والمقطعين وأوقاف
منية طناش	٣٠٦٠ فدان			الديوان السلطانى
منية قادوس	١٢٠٠ فدان	٦٠٠٠	٣٠٠٠	الديوان السلطانى باسم الأمير أقبردى اليوسفى والأمير اقبوردي بن بلباى
صوالة اوسيم	٣٤٤ فدان			الديوان السلطانى
مهوالة برتس	٣٤٠ فدان			الديوان السلطانى
مونه			٣٤٣٠	الديوان السلطانى
نهيا	١٦٤٠ فدان		٦٠٠٠	الديوان السلطانى

(ب) أراضى الجيزيه فى الديوان المفرد

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
ابو صير السدر	٢٥٩٠ فدان		٨٥٠٠	امير حاج ابن الاشرف شعبان الديوان المفرد

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥ نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
أبو غالب		٤٣٥٠	امير حاج ابن الاشرف شعبان	الديوان المفرد
الشنباب	٢٧٧٠ فدان	٧٠٠٠		الديوان المفرد
منى الأمير	١٦٥١ فدان	٥٢٠٠	الديوان السلطانى	الديوان المفرد
منية عقبة	٢١٧٠ فدان	١١١٥٠	أبو بكر ابن الأشرف شعبان والأمير قانى باى العلائى	الديبون المفرد

(ج) اراضى الجيزية فى الديوان الخاص

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
الفـارات				الخاص الشريف والديوان السلطانى
المحرفه	٢٨٣٠ فدان	١٠٠٠٠	الخاص الشريف	الديوان السلطانى



ملحق رقم (٢)

اراضي الأطفيحية في دواوين مصر فيما بين سنة ٧١٥ حتى نهاية القرن التاسع الهجري :

(أ) الديوان المفرد

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥ نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصري	زمن ابن الجيعان
الحي الصغير		١٢٥٠٠ ٢٩١٦	باسم ايدمر بن حديق	الديوان المفرد
الحي الكبير		٧٠٠٠	باسم الأمير بلاط الصرغتمشي	الديوان المفرد
الصالحية		٢٠٠٠ ١٠٠٠	باسم الأمير اياس الصرغتمشي	الديوان المفرد

ملحق رقم (٣)

اراضى الفيوميه فى دواوين مصر فيما بين سنة ٧١٥ حتى نهاية القرن التاسع الهجرى :

(أ) الديوان السلطاني

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥	نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
بيبج أنشو			١٠٠٠٠	الديوان السلطانى	باسم الأمير قراكز الاشرفى
بركة الصيد			٦٠٠٠		الديوان السلطانى
ذات الصفا واقصابها وحجر الماء فيها		٥٠٠٠	استقرت بحق النصف للديوان السلطانى		
دير أبى جعران		٣٠٠	١٠٠٠	الديوان السلطانى	الديوان المفرد
شابة	٥٤٤٣ فدان	٢١٠٠٠	٢٤٠٠	الديوان السلطانى	وقف الظاهر برقوق
غرق عجلان	٤٢٣٥ فدان	٨٠٠٠	٥٦٧٢	الديوان السلطانى	الديوان المفرد
كنبوت	٣٩٩ فدان		١٠٠٠٠	الديوان السلطانى	وقف الأمير فيروز الأمام
مطر طارش	٣٢٥٢ فدان		١٣٠٠٠	الديوان السلطانى	باسم المقطعين وأوقاف ورزق
مطول والبحر كفرها	٤٣٢٠ فدان	١٢٠٠٠	٦٠٠٠	باسم الأمير صصلان امير اخور	الديوان المفرد والمقطعين
مقطول والزبيبات			٩٠٠٠	الديوان السلطانى	أوقاف الظاهرية برقوق

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥ نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
منية شنهما	٥٢٢ فدان ٢٠٠٠	٦٥٠	باسم المقطعين	الديوان السلطانى والمقطعين
نواحى الجبال خارجا عن سدر والأطرفيه وقلوه وأقنى والماويه حمام ، القصر الوسطانيه سدو		٥٠٠٠	الديوان السلطانى	باسم الأمراء والمقطعين

(ب) اراضى الفيوميه فى الديوان الخاص

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
الظاهريه وتعرف بصمبل		٢٢٥٠	الخاص الشريف	استقرت تحت الغرق
بمويه وسنهور وكفرها		٢٣٠٠٠	الخاص الشريف	وقف خشقدم الاسماعيلى
ثلاث العليا	٥٠٨ فدان بها رزق ٤٣ فدان	١٥٠٠		الخاص الشريف
ذات الصفا واقصابها وحجر الماء بها		٥٠٠٠	استقرت بحق النصف للديوان السلطانى	

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥ نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصري	زمن ابن الجيعان
صقبل		١٠٠٠	الخاص الشريف	استقرت تحت الغرق
فنشا	٣٨٢٠ فدان	١٢٠٠٠	الخاص الشريف	
منية البط		٧٠٠٠	الخاص الشريف	المقطعون
اخصاص الفجميين	٢٥٠٠ فدان	٥٨٠٠		الخاص الشريف

(ج) اراضى الفيوميه فى الديوان المفرد

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥ نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصري	زمن ابن الجيعان
افلول	١١٨٧ فدان	٢٥٠٠	المقطعون	الديوان المفرد
الضفاوية	٧٥٠ فدان	١٧٠٠	المقطعون	الديوان المفرد
بسطا وام السباع	٩٨٠ فدان	٨٠٠٠	باسم الأمير بقطمر الحسنى	الديوان المفرد
دير ابى جعران		٣٠٠٠ ١٠٠٠	الديوان السلطانى	الديوان المفرد
سدرا والأشرفيه	١٧٢٢ فدان بها رزق ٣٠ فدان	٤٣٦٠	المقطعون	الديوان المفرد
شربوه	٩١٦ فدان	٤٠٠٠ ٢٠٠٠	باسم الأمير تغرى من الجاى	الديوان المفرد
شنها	٨٧٣ فدان	٢٤٠٠	المقطعون	الديوان المفرد والمقطعون
عاقوله				الديوان المفرد
غرق عجلان	٤٢٣٥ فدان	٨٠٠٠ ٥٦٧٢	الديوان السلطانى	الديوان المفرد

ملحق رقم (٤)

اراضي البهنساوية في دواوين مصر فيمه بين سنة ٧١٥ حتى نهاية القرن التاسع الهجرى

(أ) الديوان السلطاني :

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥	نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
اطسا	٢٧١٨ فدان بها رزق ٩٨ فدان	٥٠٠٠	٤٠٠٠		
بردونه	٤١٠٨١ فدان		٣٧٠٠	باسم الأمير اسريم	الديوان السلطانى
بوش قرا	٦١٦٣ فدان بها رزق ١٦٠ فدان	٢٢٠٠٠	٢١٠٦٤		الديوان السلطانى
دروط بلهاسه	٢٠٠٠ بها رزق ٥٧ فدان		٥٠٠٠	الديوان السلطانى	رزقة ضريح الشيخ زيـاد
دير القصنون وحصنه	٥٤٠ فدان	٢١٠٠	١٨٠٠	المقطعون	الديوان السلطانى
ديقوف وحصنها	١٤٠٠ فدان بها رزق ١٣ فدان	٦٠٠٠	٥٠٠٠	الأمير ارغون شاى	الديوان السلطانى
سدس وهلاليه	٣٢٩٢ فدان بها رزق ٩٠١ فدان		١٠٠٠٠	الأمير الطنبغا العثمانى	الديوان السلطانى

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥	نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصري	زمن ابن الجيعان
سدمنت	٥٨٠ فدان بها رزق ١٠ فدان			الأمير الطنبغا العثمانى	الديوان السلطانى
شمر البصل	٢٣١٨ فدان بها رزق ٣٦ فدان	٨٠٠٠	٤٠٠٠	الأمير موسى بن قرمان	الديوان السلطانى
طحا المدينة	٤٠٢٨ فدان بها رزق ١٩٩ فدان	١٣٥٠٠	٣٣٧٥	الأمراء	الديوان السلطانى

(ب) اراضى البهنساوية فى الديوان الخاص

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥	نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصري	زمن ابن الجيعان
دهروط	٥٩٣٧ فدان			الخاص الشريف	الأمـراء
كوم ابى سنابل	٩٩٠ فدان		٢٦٠٠	ارباب الرواتب بثغر الاسكندرية	الخاص الشريف
نموى وجزيره الحجر	١٣٥٠ فدان بها رزق ١٤ فدان		٦٠٠٠	الخاص الشريف	وقف الأمير ايتمش
أدقاق	١١٣١ فدان بها رزق ١٦ فدان		٤٠٠٠	الخاص الشريف	باسم الأمير اقبوردى اليوسفى والأمير اقبوردى من بلبباى

(ج) اراضى البهنساوية فى الديوان المفرد

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥	نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصري	زمن ابن الجيعان
سمسطا	١٠٥١٠ فدان	٢٢٠٠٠	٢٢٥٢٠		الديوان المفرد وأوقاف

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥ نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
وكفورها	بها رزق ٥٥ فدان			
العساكره	١٤٢٧ فدان	٥٠٠٠	الأمير طشتمر العلائى	الديوان المفرد
الفشن	٥٢٢٧ فدان	١٢٠٠٠	الأمير جلبان العلائى اللالا	الديوان المفرد
الناويه	١٧٣١ فدان بها رزق ٣٠ فدان	٩٥٠٠	الأمير يشبك الأشرفى	الديوان المفرد
النويره	٢٦٠٠ فدان بها رزق ١٢١ فدان	٩٠٠٠	الأمير تغرى بردى بن الجاى	الديوان المفرد
اهناس المدينة	٣١٥٠ فدان بها رزق ٤٨ فدان	١١٠٠٠	استقرت بحق النصف للامير خليل بن عرام	الديوان المفرد
ببا الكبرى	٧٥٩٠ فدان بها رزق ١٧ فدان	٣٥٠٠٠	٣٢٢٤٤	الديوان المفرد
بيبج قمن	١٣٣٢ فدان بها رزق ٥٠ فدان	٣٠٠٠	الأمير احمد بن يلبغا العمرى	الديوان المفرد

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥	نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
بردنوه	٢٩٦٨ فدان		٧٠٠٠	الأمير محمد بن طمان	الديوان المفرد
بنى هارون	١٦٤٥ فدان	٦٠٠٠	٣٠٠٠		الديوان المفرد والأمير علاء من ططح
دلاص وكفورها	٢٩٠٠ فدان بها رزق ١١٣		٢٠٠٠٠	الأمير يشبك الأشرفى	الديوان المفرد
صفانيه وكفورها	٣٢٤٠ فدان بها رزق ١٢٩ فدان	٨٠٠٠	٤٠٠٠	الأمير محمد بن قارى	الديوان المفرد
طحا بوش	١٦٣٢ فدان بها رزق ٢٨ فدان		٣٠٠٠	الأمير جانى من ططح	الديوان المفرد
طهما وبنى غنى	٢٧١٢ فدان	٣٠٠٠	٢٥٠٠	الأمير بلوط الطرغتمشى	الديوان المفرد
طنشا	١٧٠٩ فدان بها رزق ١١ فدان		٧٠٠٠	الأمير نورى الحلبى	الديوان المفرد
طوبيه	٧٠٠ فدان		١٥٠٠	باسم المقطعين	الديوان المفرد
قاى وكفورها		٦٨٠٠	٣٤٠٠	الأمير طرغتمش الأشرفى	الديوان المفرد
هريشنت	٢٢٧٠ فدان				الديون المفرد
واحات			٥٤٠٠٠	الأمير ملك تمر عبد الله	الديوان المفرد

ملحق رقم (٥)

اراضي الأشمونين في دواوين مصر فيما بين سنة ٧١٥ حتى نهاية القرن التاسع الهجرى :

(أ) اراضي الأشمونين في الديوان السلطانى

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥ نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
الاشمونين	٣١٢٦ فدان بها رزق ٢٦٧ فدان	٢٥٠٠٠	الديوان السلطانى	وقف الأمير ازدمر الابراهيمى
الكوديه	٢٠١٢ فدان بها رزق ٤٢ فدان	٩٠٠٠	الديوان السلطانى	الأمير قانى بك
امشول	٩٢١ فدان	٣٠٠٠	الديوان السلطانى	وقف الأمير صودون
دلجا وكفورها	٥٣٢٠ فدان	٣٠٠٠٠	باسم ولد الأشرف شعبان	الديوان السلطانى
دير سمالوط	١١٠٠ فدان	٢٠٠٠	الديوان السلطانى	الديوان المفرد
كفر بوق من كفور منفلوط	٦٧٨ فدان بها رزق ٤١ فدان		الديوان السلطانى	الديوان المفرد

(ب) اراضي الأشمونين في الديوان الخاص

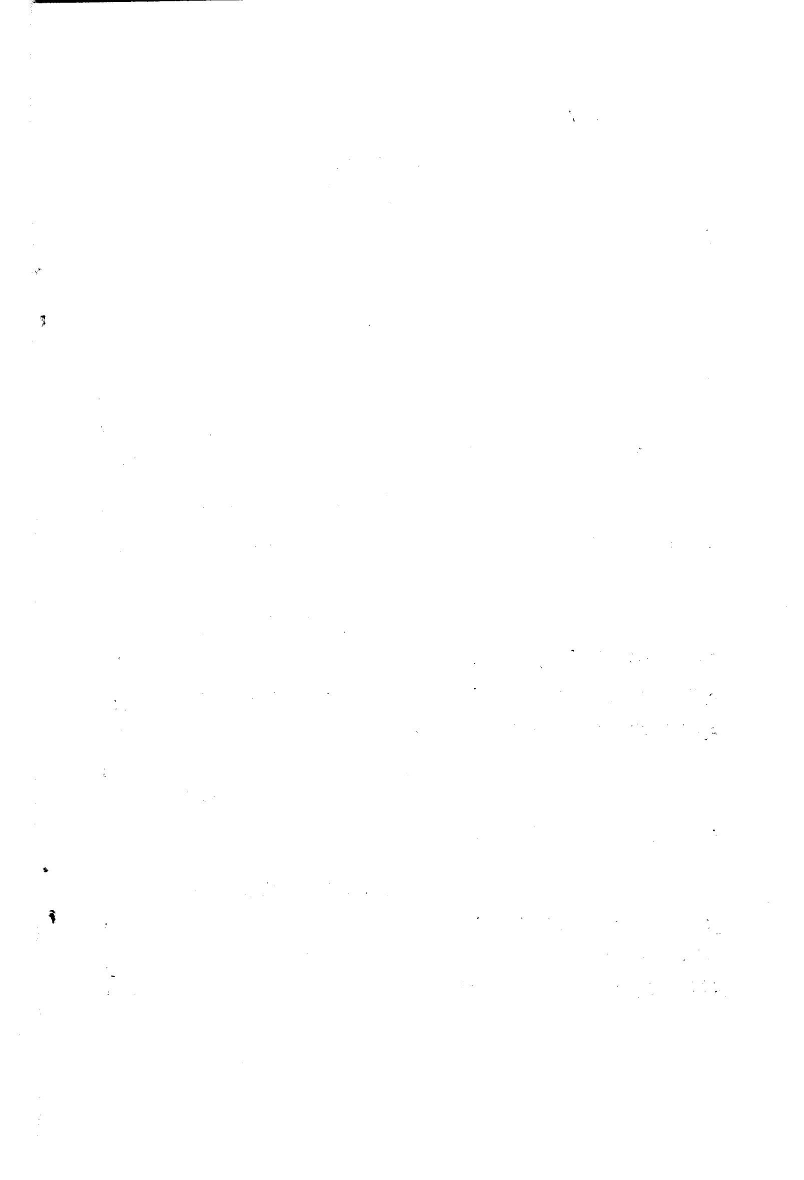
الجهة	المساحة	العبرة بالدينار	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
ممان جورج	١٧٤٤ فدان	٤٠٠٠	الخاص الشريف	المقطعون واوقاف ورزق

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥	نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصرى	زمن ابن الجيعان
(ج) أراضى الأشمونين فى الديوان المفرد					
ابيوها	٢٧٤٨ فدان	٦٢٠٠	٦١٥٥	الأمير جلبان العلائى	الديوان المفرد
القلندول	٣٤١٠ فدان		٣٠٠٠	المقطعون	الديوان المفرد
بنى ليث وكفورها	٣٦٠٠ فدان		١٢٠٠٠	الأمير احمد بن يلبغا العمرى	الديوان المفرد
بنى خيار	٣٧٥٠ فدان		١٠٠٠٠	الأمير اقطمرعبدالغنى	الديوان المفرد
تنده	٤٢٩٦ فدان		١٨٠٠٠	امير حاج ولد الأشرف شعلان	الديوان المفرد
زهره	٤٤٠ فدان		٢٠٠٠	الأمير على بن قمارى المحمدى	الديوان المفرد
دير سمالوط	١١٠٠ فدان	٣٠٠٠		الديوان السلطانى	الديوان المفرد
سنبو	٨١٤٥ فدان	٢٥٠٠٠	٢٤٥٠٠	الأمير ابو بكر ولد الأشرف شعلان	الديوان المفرد
كفر بوق	٦٧٨ فدان		٥٥٠٠	الديوان السلطانى	الديوان المفرد
منهرى وجزائرها	٣٩٨٤ فدان بها رزق ١٢٢ فدان		٩٠٠٠	الأمير قيبغا الأشرفى	الديوان المفرد
منية بنى خصيب وكفورها خارجا عن ماقوسه			٣٨٨٠٠	الأمير طرغتمش الأشرفى	الديوان المفرد

ملحق رقم (٦)

اراضي المنفلوطية في الديوان السلطاني

الجهة	المساحة	العبرة بالدينار سنة ٧١٥ نهاية ق ٩ هـ	زمن الروك الناصري	زمن ابن الجيعان
منفلوط وكفورها				الديوان السلطاني
بانوب	١٤٢٣ فدان	٥٠٠٠	الأمير بلاط الأشرفي	الديوان السلطاني
اراضي السيوطيه في الديوان السلطاني				
مشطا وجزائرها	٥١٥٤ فدان	٩٠٠٠ ٨٥٥٥	الأمير ازبك الأتابكي	الديوان السلطاني
اراضي السيوطيه في الديوان الخاص				
طهنهور وشقلقيل	٧٥٨٧ فدان	٨٠٠٠	الديوان الخاص	اوقاف الظاهرية برقوق
اراضي السيوطيه في الديوان المفرد				
الخصوص		٧٢٠٠٠	الأمير يشبك الأشرقي	الديوان المفرد
دير ابى مفروقه	٣٤٥٠ فدان	١٠٥٠٠ ٤٢٥٠	الأمير علمدار المحمدى	الديوان المفرد
ساقية قلنا	١١٣٩ فدان	٧٠٠٠	الأمير طشتمر العلائي	الديوان المفرد
اراضي الأخميميه في الديوان الخاص والديوان المفرد				
طوخ الجبل	١٠١٨٢ فدان	٢٠٠٠٠	الخاص الشريف	الديوان المفرد
اراضي الأخميميه في الديوان السلطاني				
الرمله	٤٥٢ فدان	٢٠٣١	الأمير بقطمر الساقى	الديوان السلطاني
بلسفوره	٦٧٨٧ فدان	١٥٠٠٠ ١٥٨٠٠		الديوان السلطاني
منشأة اخميم	٢٤٧٧١ فدان	٥٢٦٠٠		الديوان السلطاني



المصـــادر والمراجع

أولا : الوثائق

(أ)

ـ وثيقة وقف السلطان الغورى

أرشيف وزارة الاوقاف رقم ٨٨٣

ـ وثيقة قبطية نشر

ضمن الوثائق القبطية فى كتاب

Edtran Schiller

Ten Coptic Legal texts.
New York, 1932

(ب) المراسيم السلطانية الصادرة الى اهالى الصعيد

١ ـ السلطان جقمق صادر الى أهالى منية بنى خصيب

٢ ـ السلطان الغورى صادر الى أهالى مدينة سوهاج

(جـ) المصادر المـادية

(أ) لوح تذكارى مؤرخ سنة ٧١٧ هـ من مدينة قوص

(ب) لوحتى قايتباى بقناطر الجيزة المؤرخة سـنة ٨٨٣هـ وسنة ٨٨٤ هـ (بجوار الهرم) .

(جـ) القطع المعدنية سجل رقم ٢٤٠٨٤ وسجل رقم ٢٤٠٨٥

المتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ـ قائمة المقتنيات الحديثة .

(د) الكتابات الأثرية التى وردت فى معجم جامع التواريخ

Comb — Suvaq et — Weit
Depertaire chronlagique d'epographic Arab
(Frenc d'Arch Orient du Caire 1931).

ثانيا : المصادر العربية

(أ) المخطوطات

١ ـ ابن الأخوة (ت ٧٢٩هـ) محمد بن محمد بن أحمد البوشى
كتاب الرتبة فى الحسبة ـ مخطوط ـ رقم ٥٠ علوم معاشية ـ دار الكتب المصرية .

٢ ـ الأدفوى (٧٤٨هـ ـ ١٣١٨م) كمال الدين بن جعفر بن ثعلب
الامتاع بأحكام السماع ـ مخطوط ـ تحت رقم ٣٦٨ ـ تصوف دار الكتب المصرية .

٣ ـ ابراهيم الحنبلى ـ عاش فى القرن ٧هـ .
شفاة القلوب فى مناقب بنى أيوب .
مخطوط مصور ـ جامعة القاهرة ـ رقم ٢٤٠٢١ .

٤ ـ السمعانى (٥٦٢ هـ) أبى سعيد عبد الكريم بن محمد
الأنساب صورة من مخطوط بالأوفست عمل مكتبة المثنى
دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤٨٩١ .

٥ ـ العينى (ت ٨٥٥ هـ) محمود بن أحمد بن موسى
عقد الجمان ـ مخطوط ـ تحت رقم ١٥٨٤ دار الكتب المصرية ، جزء ٢٥ .

٦ ـ المقريزى (ت ٨٤٥هـ) تقى الدين أحمد
المقفى ـ مخطوط ـ مصور تحت رقم٥٣٧٢ تاريخ دار الكتب المصرية

٧ ـ النويرى (ت ٧٣٢هـ) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب
نهاية الأرب فى فنون الأدب .
مخطوط مصور تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة .
دار الكتب المصرية أجزاء ٢٥/٣٠

(ب) المصادر العربية المطبوعة

٨ ـ ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ ـ ١٣٣٨م)على بن احمد
الكامل فى التاريخ جزءان ١١ و ١٢ بيروت ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .

٩ ـ الأدريسى (ت ٥٦٠هـ) أبو عبد الله محمد بن محمد
صفة المغرب وأرض السودان والأندلس
مأخوذة من نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق
ليدن ـ بريل ـ ١٨٩٣م .

١٠ ـ الأدفوى (ت ٧٤٨هـ ـ ١٣٤٨م) كمال الدين جعفر
الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد
تحقيق سعد محمد حسن ـ القاهرة ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٦ .

١١ ـ ابن أبى أصيبعة (ت ٦٦٨هـ) موفق الدين أبى العباس
عيون الأنباء فى طبقات الأطباء .
القاهرة ١٢٩٩هـ .

١٢ ـ ابن اياس (ت ٩٣٠هـ) أبو البركات محمد بن أحمد
بدائع الزهور فى وقائع الدهور
جزءان الأول والثانى القاهرة سنة ١٣١١هـ (بولاق)

١٣ ـ ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ ـ ١٣٧٧م) شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله
رحلة ابن بطوطة المعروفة
« تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار »
الجزء الأول ـ بولاق ١٩٣٤ .

١٤ ـ البيرونى (ت ٤٢٠هـ) محمد بن أحمد
الجماهر فى معرفة الجواهر
حيدر أباد ١٣٥٥ هـ .

١٥ ـ بنيامين التطيلى (٥٦١هـ ـ ٥٦٩هـ)
كتاب الرحلة
ترجمة وتعليق عذرا حداد بغداد ١٣٨٤هـ

١٦ ـ ابن جبير (ت ٦١٤هـ ـ ١٢١٧م) أبو الحسين محمد بن أحمد
كتاب الرحلة
سلسلة جيب التذكارية ١٩٠٧هـ

١٧ ـ ابن الجيعان (ت ٨٨٥هـ ـ ١٤٨٠م) شرف الدين يحيى
التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية
المطبعة الأهلية ١٢٩٨م

١٨ ـ ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) شهاب الدين بن على
الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة
تحقيق محمد بن جاد الحق ١٩٦٩م

١٩ ـ ابن الحاج (ت ٧٣٧هـ ـ ١٣٣٦م) أبو عبد الله محمد بن محمد
المدخل الى الشرع الشريف على المذاهب
القاهرة ١٣٤٨هـ

٢٠ ـ حاجى خليفة (ت ١٠٦٦هـ ـ ١٦٥٦م) مصطفى بن عبد الله
كاتب جلبى
كشف الظنون ـ جزءان ١ و ٢
الطبعة الأولى ، مطبعة العالم القاهرة ١٣١٠هـ

٢١ ـ ابن حوقل (المتوفى أواخر القرن الرابع الهجرى ـ العاشر الميلادى)
صورة الأرض
الجزء الأول ـ ليدن ١٩٣٨م

٢٢ ـ ابن الأخوة (ت ٧٢٩هـ ـ ١٣٢٩هـ) محمد بن محمد بن أحمد القرشى
معالم القربة فى أحكام الحسبة .
تحقيق د. محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى
القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٦م

٢٣ ـ ابن خلدون (٨٠٨هـ ـ ١٤٠٥م) .
المقـدمة
طبعة بيروت ـ دار الكتاب اللبنانى ١٩٦٧م ـ وطبعة الشعب

٢٤ ـ ابن خلكان (٦٨١هـ ـ ١٢٨١م) شمس الدين أبو العباس أحمد
وفيات الأعيان
بيروت ـ طبعة دار الثقافة
مجلدات ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧

٢٥ ـ ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ ـ ١٤٠٦م) ابراهيم بن محمد المصرى
الانتصار لواسطة عقد الامصار
جزءان ٤ ، ٥ بولاق ١٣٠٩ و ١٣١٠

٢٦ ـ الداوودى (ت ٩٤٥هـ) الحافظ شمس الدين محمد بن على
طبقات المفسرين •
جزءان ـ تحقيق على محمد عمر
دار الكتب المصرية ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢ ـ الطبعة الأولى

٢٧ ـ الذهبى (ت ٧٨٤هـ)
تذكرة الحفاظ ـ الجزء الثالث
الهند ـ طبعة مجلس دائرة المعـارف النظامية سنة ١٣٣٤ هـ

٢٨ ـ السبكى (ت ٧٧١هـ) تاج الدين عبد الوهاب
طبقات الشافعية
ست أجزاء ـ القاهرة المطبعة الحسينية ١٣٢٤هـ

٢٩ ـ ــــــــ معيد النعم
لندن ١٩٠٨م ـ مصر ١٨٩٩م

٣٠ ـ السخاوى (ت ٩٠٢هـ) الحافظ شمس الدين محمد
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع
ثمانية أجزاء من ١ الى ٨ مكتبة القدس ـ القاهرة ١٣٥٣ ـ ١٣٥٤

٣١ ـ ــــــــ التبر المسبوك
القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٠

٣٢ ـ السيوطى (ت ٩١١هـ ـ ١٥٠٥م) جلال الدين عبد الرحمن
تاريخ الخلفـاء

تحقيق ونشر محمد أبو الفضل ابراهيم - القاهرة ١٩٧٥

٣٣ - ـــــــ حسن المحاضرة
الجزء الأول - القاهرة ط الموسوعات

٣٤ - ـــــــ طبقات الحفاظ
تحقبق على محمد عمر - القاهرة ١٩٧٢م

٣٥ - أبو شامة (ت ٦٦٥هـ - ١٢٦٧م) عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان
الروضتين فى أخبار الدولتين
جزءان - دار الجيل - بيروت

٣٦ - ـــــــ الذيل على الروضتين
فى تراجم رجال القرنين السادس والسابع
دار الجيل - بيروت

٣٧ - ابن شاهين (٨٧٣هـ) تمرس الدين خليل الظاهرى
زبدة كشف الممالك
باريس ١٨٩٤

٣٨ - ابن شداد (ت ٦٣٢هـ - ١٢٣٤م) بهاء الدين أبو المحاسن
« النوادر السلطانية والمحاسن السيوفية » المعروف
بسيرة صلاح الدين ، ط محمد على صبيح ، ١٥ ذو القعدة ١٣٤٦هـ

٣٩ - الشربينى (كان موجودا سنة ١٠٣٠هـ) يوسف بن محمد عبد الجواد
هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف
اعداد محمد قنديل البقلى ١٩٦٣ ، طبعة بولاق ١٣٠٨هـ

٤٠ - الشعرانى (ت ٩٧٣هـ) عبد الوهاب بن أحمد
لوافح الأنوار فى طبقات الأخيار
المعروف ب « الطبقات الكبرى »
جزءان ١ و ٢ - القاهرة ١٣٤٣ - ١٩٢٨

٤١ - ـــــــ « كتاب اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر »
المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٠٧

٤٢ ـ الشوكانى (١٢٥٠هـ ـ ١٨٣٤هـ) محمد بن على
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع
القاهرة ١٣٤٨هـ

٤٣ ـ الشيرزى (ت ٥٨٩هـ ـ ١١٩٣م)
نهاية الرتبة فى طلب الحسبة
نشر السيد الباز العارينى ـ القاهرة ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م .

٤٤ ـ أبو صالح الأرمنى (أرخ لنهاية القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجريين)
تاريخ • المعروف بكنائس وأديرة مصر
نشر ايفتس ـ اكسفورد ١٨٩٣م

٤٥ ـ صفى البغدادى (ت ٧٣٩هـ) صفى الدين عبد المؤمن
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ـ ثلاثة أجزاء
تحقيق على محمد البجاوى ـ القاهرة ١٣٧٣ ـ ١٩٥٤م

٤٦ ـ ابن ظهيرة (من علماء القرن التاسع الهجرى)
الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة
تحقيق مصطفى السقا ، وكامل المهندس ـ القاهرة ١٩٦٩م

٤٧ ـ عبد اللطيف البغدادى (ت ٦٢٩هـ ـ ١٢٣١م)
الافادة والاعتبار
مصر ـ مطبعة النيل ١٢٨٦هـ

٤٨ ـ ــــــ مختصر أخبار مصر ، اوكسفورد ١٨٠٠م

٤٩ـ أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ ، ١٣٣٢م) المؤيد اسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين
تقويم البلدان
نشر ، ماك كوكين ـ باريس ١٨١٥م

٥٠ ــ ـــــــ المختصر فى أخبار البشر ــ الجزء الأول ــ القاهرة
المطبعة الحسينية ١٣٢٥هـ

٥١ ــ ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ) محمد بن عبد الرحيم بن على
تاريخ ابن الفرات
نشر وتحقيق ، قسطنطين زريق ــ بيروت ١٩٣٦م

٥٢ ــ ابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٩هـ ــ ١٣٥٩م)
مسالك الأبصار فى ممالك الامصار
الجزء الأول ــ تحقيق أحمد زكى باشا ، مصر ــ دار الكتب ١٩٢٤م

٥٣ ــ القزوينى (ت ٦٨٢هـ) زكريا بن محمد بن محمود
آثار البلاد وأخبار العباد
طبعة بيروت

٥٤ ــ ابن القفطى (ت ٦٤٦هـ) جمال الدين أبو الحسن
انباه الرواة على انباء النحاة
الجزء الأول ، نشر وتحقيق محمد أبو الفضل
دار الكتب المصرية

٥٥ ــ القلقشندى (ت ٨٢١هـ ــ ١٤١٨م) شهاب الدين أبو العباس
صبح الأعشى فى صناعة الانشا ــ ١٤ جزء
طبعة دار الكتب المصرية ١٩١٣ ــ ١٩١٩

٥٦ ــ ـــــــ نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب
تحقيق ابراهيم الابيارى ــ ط أولى ــ القاهرة ١٩٥٩م

٥٧ ــ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ ــ ١٣٧٢م) عماد الدين أبو الفدا
البداية والنهاية
أجزاء ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ ــ القاهرة ١٣٥١هـ ــ ١٩٣٢م
مطبعة السعادة

٥٨ ــ أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ ــ ١٤٩٦م) جمال الدين يوسف تغرى بردى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
أجزاء من ٦ ـ ١٢ ـ دار الكتب المصرية

٥٩ ـ المقريزى (ت ٨٤٥هـ ـ ١٤٤١م) تقى الدين أحمد
البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب
القاهرة ـ طبعة المعارف ـ ١٩١٦

٦٠ ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا
نشر وتحقيق جمال الدين الشيال ـ القاهرة
دار الكتب ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م

٦١ ـ ــــــ المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار
جزءان ـ بولاق ١٢٧٠هـ

٦٢ ـ ــــ اغاثة الأمة بكشف الغمة
نشر مصطفى زيادة ، وجمال الشيال ـ القاهرة ١٩٥٧م

٦٣ ـ ــــــ السلوك لمعرفة دول الملوك
أربعة أجزاء ، الأول والثانى (٦ أقسام) تحقيق د. محمد
مصطفى زيادة القاهرة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٨
الثالث والرابع (٦ أقسام) تحقيق د. سعيد عاشور
القاهرة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣م

٦٤ ـ ابن مماتى (٦٠٦هـ ـ ١٢٠٩م) .
قوانين الدواوين
جمع وتحقيق عزيز سوريال عطية ـ مصر ١٩٤٣م

٦٥ ـ النابلسى (ت ٦٦٠هـ ـ ١٢٦١م) عثمان بن ابراهيم
تاريخ الفيوم وبلاده القاهرة ـ المطبعة الأهلية ١٨٩٨م

٦٦ ـ ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ ـ ١٠٠٨م)
سفرنامة ـ نقلة الى العربية يحيى الخشاب
القاهرة ـ المطبعة الأولى ١٩٤٥م

٦٧ ـ النويرى (ت ٧٣٢هـ ـ ١٣٣٢م)
نهاية الأرب فى فنون الأدب
الجزء الثامن ـ دار الكتب المصرية ـ ١٣٥٠ ـ ١٩٣٤م

٦٨ ـ ابن النديم (ت ٣٨٣هـ)
كتاب الفهرست لبنان ـ طبعة مكتبة خياط ـ بيروت

٦٩ ـ ابن واصل (ت ٦٩٧هـ ـ ١٢٩٧م/١٢٩٨م) جمال الدين محمد
جزءان (مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب)
الجزء الأول نشر جمال الشيال ـ القاهرة ـ ادارة احياء التراث ١٩٥٣

٧٠ ـ ابن الوردى (ت ٨٥٠هـ)
خريدة العجائب ـ مصر ١٩١٠م

٧١ ـ ياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ ـ ١٣٠٨م)
معجم البلدان
ثمانية أجزاء ٨/١ ـ القاهرة ، ط السعادة ـ الطبعة الأولى
١٩٠٦ ـ ١٩٢٣

٧٢ ـ ــــــــ معجم الأدباء
الجزء الرابع
تحقيق مرجليوت ـ المطبعة الهندية ـ مصر ١٩٢٣

٧٣ ـ أبو يوسف (١٩٢هـ ـ ٨٠٨م)
كتاب الخراج بولاق ١٣٢٠هـ .

ثالثا : المراجع العربية الحديثة :

١ ـ ابراهيم أحمد العدوى
التاريخ الاسلامى آفاقه التاريخية وأبعاده الحضارية
الأنجلو ١٩٧٦

٢ ـ ـــــــــ مصر الاسلامية مقوماتها العربية ورسالتها الحضاريه
الأنجلو ١٩٧٥

٣ ـ ابراهيم على طرخان
مصر فى عصر دولة المماليك والجراكسة القاهرة ١٩٦٠

٤ ـ أحمد شلبى
تاريخ التربية الاسلامية القاهرة ١٩٦٦

٥ ـ السيد الباز العرينى مصر فى عصر الأيوبيين

٦ ـ آدم متز
الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى
القاهرة ١٩٥٧م ـ الجزء الأول ـ الطبعة الثالثة

٧ ـ الشاطر بصيلى عبد الجليل
تاريخ وحضارات السودان الشرقىوالأوسط من القرن ٧م الى ١٩م
القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٢

٨ ـ بور كهارت
رحلات بور كهارت فى بلاد النوبة والسودان
ترجمة فؤاد اندراوس ـ القاهرة ١٩٥٩م

٩ ـ جاك تاجر
أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى الى عام ١٩٢٤ القاهرة ١٩٥١

١٠ ـ جمال الدناصورى
دراسات فى جغراوفية مصر ، بالاشتراك مع آخرين
القاهرة ١٩٥٧

١١ ـ جروهمـان
أوراق البردى العربية ـ أجزاء ٤ و ٥ و ٦
دار الكتب المصرية ـ ١٩٦٧ ـ ١٩٧٤م
١٢ ـ حسن ابراهيم حسن تاريخ الدولة الفاطمية القـاهرة ١٩٥٨
١٣ ـ حسـن الباشـا
الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية
جزءان ١ و ٢ ـ القاهرة ـ دار النهضة ١٩٦٦
١٤ ـ حسن أحمد محمد
الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا
القاهرة ١٩٥٨م
١٥ ـ ـــــــ العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، الجزء الأول
القاهرة ١٩٦٩م
١٦ ـ حبش لبيب وتاوضروس زكى
رحلة فى صحراء العرب والأديرة الشرقية القاهرة ١٩٤٧م
١٧ ـ حسـانين ربيع
النظم المـالية فى مصر زمن الأيوبيين
طبعة جامعة القاهرة ١٩٦٤
١٨ ـ راشد البراوى
حالة مصر الاقتصادية فى العصر الفاطمى القـاهرة ١٩٤٨
١٩ ـ رءوف حبيب
تاريخ الرهبنة الديرية فى مصر وآثارها الانسانية على العالم ـ
القاهرة ١٩٧٨
٢٠ ـ زكى مبـارك
التصوف الاسلامى فى الأدب والأخلاق
جزءان الأول ـ القاهرة ـ مطبعة الرسالة ١٣٥٧هـ ٠ ١٩٣٨م
الثانى ـ القاهرة ـ مطبعة الاعتماد ١٣٥٧ ـ ١٩٣٨م

٢١ ـ زكى محمد حسن
فنون الاسلام
القاهرة لجنة التأليف والترجمة ـ الطبعة الأولى ١٩٤٨م
٢٢ ـ سعاد ماهر
محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية
القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٦٦م
٢٣ ـ ــــــــ النسيج الاسلامى القاهرة ١٩٧٧م
٢٤ ـ ــــــــ الفن القبطى القاهرة ١٩٧٨م
٢٥ ـ سعد الخادم
الصناعات الشعبية فى مصر القاهرة ١٩٥٧ م
٢٦ ـ سيده اسماعيل الكاشف
مصر فى فجر الاسلام القاهرة ١٩٤٧ م
٢٧ ـ سعيد عبد الفتاح عاشور
مصر فى عصر دولة المماليك البحرية
القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية
اشراف ادارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم
٢٨ ـ ــــــــ المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك
القاهرة ١٩٦٢ م
٢٩ ـ ــــــــ العصر المماليكى فى مصر والشام
القاهرة ١٩٦٥ م
٣٠ ـ ــــــــ الظاهر بيبرس القاهرة ١٩٦٣ م
٣١ ـ سليم حسن
اقسام مصر الجغرافية القاهرة ١٩٤٧ م
٣٢ ـ عبد المجيد عابدين
دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل

مع تحقيق لكتاب المقريزى البيان والأعراب

القاهرة ـ نشر عالم الكتب ١٩٦١

٣٣ ـ عصام الدين عبد الرءوف

الحواضر الاسلامية الكبرى القاهرة ـ دار الفكر ١٩٧٦

٣٤ ـ عبد اللطيف حمزة

الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى

القاهرة ١٩٤٧ ـ الطبعة الأولى

٣٥ ـ عبد الرحمن عبد التواب

قايتباى المحمودى القاهرة ١٩٧٨

٣٦ ـ ــــــــ منشآتنا المائية عبر التاريخ

القاهرة ١٩٦٣

٣٧ ـ على ابراهيم حسن

دراسات حول تاريخ دولة المماليك البحرية وفى

عصر الناصر محمد بوجه أخص القاهرة ١٩٤٨

٣٨ ـ على حسن الخربوطلى

مصر العربية الاسلامية الانجلو ١٩٦٣

٣٩ ـ عمر طوسون

كتاب مالية مصر الاسكندرية ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م

٤٠ ـ على مبارك

الخطط التوفيقية الجديدة

القاهرة ـ دار الكتب ١٣٠٥ هـ ـ ١٣٠٦ هـ

٤١ ـ قاسم عبده قاسم

اهل الذمة فى مصر العصور الوسطى

(دراسة وثائقية) الطبعة الثانية ـ دار المعارف ١٩٧٩

٤٢ ـ كتاب وصف مصر
ترجمة زهير الشايب
٤٣ ـ محمد محمد أمين
الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر (٦٤٨ ـ ٩٢٣)
القاهرة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م
٤٤ ـ محمد جمال الدين سرور
دولة الظاهر بيبرس فى مصر القاهرة ١٩٦٠ م
٤٥ ـ ــــــ دولة بنى قلاوون فى مصر
الحياة السياسية والاقتصادية فى عهدها بوجه خاص
القاهرة ١٩٤٧ م
٤٦ ـ ــــــ الدولة الفاطمية فى مصر
سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة بها
القاهرة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦
٤٧ ـ ــــــ تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق
القاهرة ١٩٧٣ م
٤٨ ـ محمد رمزى
القاموس الجغرافى للبلاد المصرية منذ عهد قدماء
المصريين الى سنة ١٩٤٥ .
القسم الأول ـ البلاد المندرسة ـ دار الكتب المصرية
١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ م
القسم الثانى ـ الجزء الثالث ـ دار الكتب المصرية ١٩٦٠ م
٤٩ ـ محمد عبد الستار عثمان
أخميم فى العصرين القبطى والاسلامى الاسكندرية ١٩٨٢
٥٠ ـ محمد عوض محمد
نهر النيل القاهرة ١٩٦٢ م

٥١ ـ محمد صفى الدين ابو العز
موفولوجية الأراضى المصرية ـ القاهرة ١٩٦٦م
٥٢ ـ محمود الحـويرى
أسوان فى العصور الوسطى دار المعارف ١٩٨٠ ط اولى
٥٣ ـ محمود رزق سليم
عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى
القسم الثانى ـ الجزء الأول ـ القاهرة ١٩٤٧
٥٤ ـ مصطفى محمد مسعد
الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى القاهرة ١٩٦٠
٥٥ ـ ميصائيل بحـر
تاريخ القديس الانبا يوحنس القصير بمنطقة « أنصنا »
القاهرة ، مطبعة النيل المسيحية ، مارس ١٩٥٧
٥٦ ـ نبيل محمد عبد العزيز
الخيل ورياضتها فى عصر سلاطين المماليك
الانجلو المصرية ١٩٧٦
٥٧ ـ ـــــــ الطرب وآلاته فى عصر الايوبيين والمماليك
الانجلو المصرية ١٩٨٠
٥٨ ـ نعـوم شقير
تاريخ السودان القديم والحديث
القاهرة ١٩٠٤
٥٩ ـ نعيم زكى فهمى
« طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب
أواخر العصور الوسطى » القاهرة ١٩٧٢

رابعا : المراجع الأجنبية

1 — Bull, Dr. John,
Contributions to the Geography of Egypt, Cairo, 1942.

2 — Charles de la Roncicrs,
La Géographie de l'Egypte à Travers les Ages —
Histoire de la Nation Egyptienne, T I, Paris.

3 — Darrg (Ahmad)
L'Egypte sous le règne de Barsbay, Damas, 1967.

4 — Hume — W— H.
Geology of Egypt
Cairo 1953.

5 — Heyd
Histoire du Commerce de Levant au Moyen Age Vol. II
(Leipzig — 1923).

6 — Huart
Histoire des Arabes
T II, Paris 1913.

7 — Lane Peole — Stanly
History of Egypt in the Middle Ages
London — 1907.

8 — Larin, H
L'Egypte d'aujourd'hui les pays et les hommes,
Cairo, 1926.

9 — Macmechael
A History of Arabe in the Sudan —
Cambridge Vol. I, 1922.

10 — Sir Charles, Wilson
Picluresque Palastine
Sinai and Egypt — (Mamphis — villages and tewn on the nile, by Lane Poole Vol IV, London.

11 — Wiet (laston)
L: Egypte Arabe — Histoire de La Nation Egyptienne
T IV puris, 1937.

خامسا : الدوريات العربية والأجنبية

١ ـ أحمد دراج

عيذاب ـ مجلة نهضة افريقيا ـ العدد التاسع

٢ ـ آمال العمـرى

التحف المعدنية ـ أغسطس ١٩٥٨

معرض الفن الاسلامى فى مصر ٩٦٩ ـ ١٥١٧م

القاهرة ـ وزارة الثقافة سنة ١٩٦٩م ٠

٣ ـ أمين الخولى

مادة تفسير ـ دائرة المعارف الاسلامية

٤ ـ أمين محمود عبد الله

الوحدات الأدارية فى مصر العليا منذ الفتح الاسلامى

حتى وقتنـا الحاضر

(رسالة دكتوراة ـ غير منشورة ـ جامعة القاهرة ١٩٦٤)

٥ ـ جاستون فييت

المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى

ـ ضمن كتاب مصر الاسلامية فى العصور الوسطى ـ

ترجمة محمد وهبى ـ القاهرة ، مطبعة المقتطف ١٩٣٧م

٦ ـ جوزيف نسيم يوسف

دراسة فى وثائق العصرين الفاطمى والأيوبى بمكتبة

دير سانت كاترين فى سيناء ـ مجلة كلية الأداب

جامعة الاسكندرية ـ المجلد ١٨ ـ ١٩٦٤

٧ ـ حسين عليوه

دراسة لبعض الصناع والفنانين فى عصر المماليك

مجلة كلية الأداب بالمنصورة ـ العدد الأول

٨ ـ حجاجى ابراهيم
الحصون الدفاعية فى الأديرة
رسالة ماجستير خطيه ـ سوهاج ١٩٧٩م

٩ ـ صبحى لبيب
التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى ـ
الجمعية التاريخية ـ المجلد الرابع ـ العدد الثانى مايو ١٩٥١

١٠ ـ موريس بكر
ابن كبر ـ جامع العلوم الفلسفية ـ
صور من تاريخ القبط ـ ط مارى مينا العجايبى ١٩٥٠م

١١ ـ يعقوب موزر
الانبا بولس البوشى ـ صور من تاريخ القبط ـ
ط مارى مينا العجايبى ـ القاهرة ١٩٥٠م

١٢ ـ يوسف ناظم رشيد
النشاط العلمى والادبى فى عهد الاسرة الايوبية
مجلة كلية الآداب ـ جامعة الموصل ـ العدد الثامن
١٢٩٧ ـ ١٩٧٧ م

١٣ ـ دائرة المعارف الاسلامية
المجلد الثانى
ربيع الأول ١٣٥٤ ـ يونية ١٩٤٥

14 — Becker

Egypt — Encyclopedia of Islam Vol. II,

Leyden — London — 1927.

15 — Grohman

Tiran — L'ins D'h' Islam, to IV —

Leyden, 1934.

16 — Jean Claude Garcin

La Mosquée Al-Lanati, A Mbye

(Ammales — Eslamotogiques T XIII,

L'inst Franc , d'Arch Orient au Cairo 1977.

Catalogue de anss Arabes Chrestiens

Conservies au Cairo (stud e test, 83)

Vaticano 1934.

18 — Wiet

Kibt — L'Ins, D'L'Islam, Tom IV,

Leyden — 1934.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٠٢٢/١٩٨٧